منشورات ابن النديم
Editions Ibn nadim

الدكتور نسيم بلهول

حرب العصابات الجديدة
من النظرية إلى التكتيك



ابن النديم للنشر والتوزيع
دار الروافد الثقافية - ناشرون

الدكتور نسيم بلهول

أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية ،كلية الحقوق بجامعة تيزي وزو-الجزائر.

هذا الكتاب

يرى نقاد فكرة " حرب العصابات الجديدة " أن كثرة من سمات هذا النوع من الحروب موجودة أصلا في حروب العصابات السابقة، و أن طغيان النهج الثوري الشيوعي غطى على أهمية هذا النوع من "الحروب الصغيرة ذات تعبئة عقائدية عالية الشدة". ثمة شيء من الحقيقة في هذا الكتاب. إن الجانب الرئيس في التمييز بين حرب العصابات الجديدة و القديمة هو تغير التصورات السائدة عن الحرب، و بخاصة عند صانعي الفعل العسكري. لقد أراد هذا العمل أن يشدد على تفاقم أهمية الوعاء الديني في دفع هذا النوع من الحروب إلى جيل جديد من الثورات في الشؤون العسكرية الخاصة بصراع عالمنا الإسلامي مع الآخر و هذا من خلال إبراز ريادية النموذج الشيشاني كوضعية معاصرة من وضعيات ثبات النموذج القتالي أمام إحدى كبريات المدارس العسكرية العالمية (المدرسة الروسية). و من هذا المنطلق يرى هذا الكتاب أن حرب العصابات الجديدة تعكس واقعا عملياتيا جديدا - واقعا كان يتبلور قبل انتهاء الحرب الباردة. و يرتبط بالأساس مع بزوغ فجر نماذج جديدة من المقاومة ، و لعل الحرب في الشيشان توضح الملامح الرئيسية لهذا النوع من الحروب، لا لشيء إلا لأننا اطلعنا على مجرياتها المفصلة. تتلاقى المقاومة الإسلامية الشيشانية مع غيرها من الأعمال القتالية الأخرى التي تنتمي إلى نفس الجيل في العديد من الخصائص المشتركة. لكن حرب العصابات الشيشانية فريدة، بمعنى واحد: إنها غدت بؤرة اهتمام عسكري كوني.

ابن النديم للنشر والتوزيع
الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل
رقم 1 المحمدية
تلفاكس: 41359788 213+
خلوي: 661207603 213+
email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية - ناشرون
هاتف: 204180 (96171)
ص.ب: 6058 - 113 الحمراء
بيروت - لبنان
email: rw.culture@yahoo.com

ISBN 978-9931-369-36-3

حرب العصابات الجديدة

من النظرية إلى التكتيك

حرب العصابات الجديدة
من النظرية إلى التكتيك

ابـن الـنـديـم لـلـنـشـر والـتـوزيـع دار الـروافـد الـثـقـافـيـة ـ نـاشـرون

حرب العصابات الجديدة
من النظرية إلى التكتيك

د. نسيم بلهول

حرب العصابات الجديدة من النظرية إلى التكتيك
تأليف: د. نسيم بلهول

الطبعة الأولى، 2013
عدد الصفحات: 302
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي ISBN: 978-9931-369-36-3

ابن النديم للنشر والتوزيع
الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1، المحمدية
خلــوي: 03 76 20 661 213+
وهــران: 51 شارع بلعيد قويدر
ص.ب. 357 السانيا زرباني محمد
تلفاكس: 88 79 35 41 213+
خلــوي: 03 76 20 661 213+
Email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون
هاتف خلوي: 204180 (96171)
ص. ب.: 113/6058
الحمـراء، بيروت–لبنان
Email: Rw.culture@yahoo.com

المحتويات

الإهــــداء

وإلى خيرة شباب هاته الأمة، من طلبة العلم، العاملين والمجتهدين على سيرة خيرة سلف هذه الأمة.

وإلى العدول من حملة العلم الذين ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وإلى الذين دأبوا على معرفة الرجال بالحق، لا معرفة الحق بالرجال.

لكل هؤلاء وأولئك، أهدي هذا الجهد

مقدمة

إنّ موضوع "حرب العصابات الجديدة من النظرية إلى التكتيك - دراسة حالة المقاومة الإسلامية الشّيشانية - "هو واجهة لما يمثل ملتقى وتزاوج بين حقل العلاقات الدولية وميدان الإستراتيجية العسكرية بأدوات ونظرة إسلامية، ويسلط الضوء على ما يصطلح عليه: "بحرب العصابات" في أشكال جديدة، وكفرع من "إستراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل" ويمثل صورة واقعية ومنطقية لأساليب وخبرات إعداد القوى المبنية على الواقعية، بالابتعاد عن النظريات الجامدة ومعرفة الحقيقة المجردة والميدانية بمحاسنها ومساوئها، واستنباط الفوائد الممكن استغلالها للصالح العسكري الحربي، ولحقل العلاقات الدولية والذي طغت عليه الرؤى والعمليات التنظيرية غير الإسلامية، وسيطرت كبريات المذاهب والمدارس العسكرية الغربية والشرقية منها، والتي كانت لها دوما آخر السيناريوهات المغيرة من مجرى العلاقات الدولية (الحرب هي استمرار للسياسة ولكن بوسائل أخرى) وخاصة ما يمسّ منها العالم الإسلامي: "من كتابات سونزي Suntzu-" و"ماوتسي تونغ Mao-tsé-tung" إلى "كلاوز فيتز". ومن نظرية الحرب الشاملة إلى غاية الحرب الوقائية مرورا بالحروب الشعبية ومنها حرب العصابات:

فلقد بدأ تبلور حرب العصابات بهذا المعنى إبّان غزوة أُحُد حيث وصلت للرسول صلى الله عليه وسلم أخبار عن تحالف الكفار لإعداد العدة لمهاجمة المدينة، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته أن يخرج

لهم أمّ لا؟ فاستشار أكثريتهم، وهم من الشباب والذين رأوا أنّه لابد من الخروج لهم ومقاتلتهم حتى لا يصلوا لهم ويقال عنهم جبناء، ولفطنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمته، وبعد المشورة، رأى أنّه لابد من عدم التسرع والقلق، بلّ الأجدر انتظارهم في المدينة، حتىّ ينقضوا عليهم وهم على فرقة من أمرهم[1]، وتقع حرب العصابات آنذاك تحت مسمى الأنصار نسبة لحمية قلوب الأنصار وأحد سادتها "سعد بن معاذ" لتنطلق شارات أولى حروب الأنصار في بداية السنة الثانية من الهجرة، والتي بنت التصورات الاعتقادية للمسلمين على أسس تجريبية وليست نظريات فلسفية، لذا خاض المسلمون عدداً من السرايا والغزوات الصغيرة والمتتابعة، كان أولها: سرية "سيف البحر" في رمضان من السنة الأولى للهجرة لاعتراض عير لقريش قادمة من الشام، فجاء أبو جهل في ثلاثمائة مقاتل واصطفّ الفريقان للقتال، وكان عدد المسلمين ثلاثون مقاتلاً فقط، وكانت أهمية هذه السرية أنها كسرت هبة المشركين وهيبة مواجهة أعداد ضخمة تفوق المسلمين عشرة أضعاف. إلى جانب "سرية رابع" في شوال من نفس العام، وكان عدد المهاجرين ستون، والمشركين مائتان.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض السرايا مثل غزوة "ذي العشيرة" في جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة، لاعتراض عير لقريش ذهبوا إلى الشام، لكنها سبقت المسلمين فأفلتت منهم، وكانت هذه العير هي سبب خروج المسلمين في "بدر الكبرى" لاعتراضها في طريق عودتها.

فحرب الأنصار بنت التصور الإسلامي لعوامل النصر والهزيمة بطريقة عملية واقعية وقررت أن النصر ليس بالعدد ولا بالعدة، وإنما بمقدار الاتصال بالله الذي لا تقف أمامه قوة العباد.

كما عرف المفهوم تطوراً بعد ذلك على يد الإسبان الذين شكّلوا من

---

(1) الشيخ بن نادر المشاري: القائد الأعلى، الرياض: مكتبة الزهراء، 2003، ص.، 299.

بينهم عصابات مسلحة لمقاومة نابليون وإزعاجه وإنهاكه بعد هزيمة قواتهم النظامية على يديه. وقد ساهمت هذه العصابات الإسبانية فيما بعد مساهمة ملموسة في معاونة ويلنجتون (Wilington) حين دخل بقواته النظامية ضد نابليون في المعركة المعروفة باسم "معركة واترلو" La bataille de Waterloo عام 1815م.

فحرب العصابات هي: "نوع من الحروب التي تخوضها تشكيلات مسلحة في أجزاء مختلفة من العالم، حيث تكون فيها هذه الجماعات تعمل من أجل معتقد أو مصلحة محددة (اقتصادية - سياسية - أيديولوجية ...)، بدعم من طرف أغلبية السكان".

وتطورت حرب العصابات بعد الحرب العالمية الأولى بأفريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية كحركة تحررية ثورية مسلحة ضدّ الوجود الاستعماري بدول هذه القارات مثل (الصين، كوبا، الجزائر الفيتنام ...) وهذا بين بداية الخمسينيات وبداية الستينيات.

وحرب العصابات بهذا المعنى الذي أوضحناه تختلف عن صور أخرى قد تشتبه معها مثل الحرب الأهلية، والمقاومة الشعبية، والثورة، والعصيان، والتمرد:

- فالحرب الأهلية، هي تلك التي تنشأ بين مجموعتين أو مجموعات متكافئة تمّت لبلد واحد.
- وأما المقاومة الشعبية، فهي نوع من الدفاع التلقائي غير المنظم يلجأ إليه الشعب عاطفيا لمقاومة قوات محتلة أو آخذة في الاحتلال، ودون أن ينتهج الشعب في ذلك تنظيما سياسيا معينا.
- وأما الثورة، فهي حادث سياسي جلل، يقلب الأوضاع في دولة معيّنة، ليرتفع بمستوى الواقع إلى مستوى الآمال الوطنية.
- أما العصيان والتمرد، فهما هبة مسلحة تتقرر نتيجتها بسرعة.

وهذه لاشك نماذج لا علاقة لها بحرب العصابات التي نتحدث عنها، والتي يعتبر ماوتسي تونغ أول من وضع قوانينها الإستراتيجية في العصر

الحديث، بحيث صارت بهذه القوانين ظاهرة من ظواهر الحرب تعادل في أهميتها وخطورتها أنواع الحروب الأخرى.

وللتدليل على أهمية هذا النوع من الحروب، نذكّر بالنتائج التي حققتها العصابات الصينية ضد الغزاة اليابانيين، والسوفيتية ضد الألمانيين، والجزائرية ضد الفرنسيين والفيتنامية ضد الفرنسيين ثم الأمريكيين، وأخيرا قوات "حركة موختي باهيتي" في البنغلاديش ضد القوات الباكستانية.

بل إنه ليس أدل على أهمية هذا النوع من الحروب، من أن دولا كالولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الاتحادية -سابقا- وفرنسا، قد استفادت من فكرته بإنشاء قوات تنتهج أسلوب حرب العصابات بالرغم مما تملكه هذه الدّول من إمكانات التعبئة النظامية.

وعلى أية حال، فسوف نقطع تماما بأهمية هذا النوع من الحروب، إذا ما استقينا أنها ليست صورة مصغّرة للحرب التقليدية[2]، وإنما هي حروب مختلفة تماما في قوانينها ومبادئها وكيفية الإعداد لها - وهو ما سيتضح من دراستنا لعناصر هذه الحرب وكيفية الإعداد لها شيشانياً-.

فبعد أن خطت الكفاءة القتالية أشواطا كاملة في تحقيق معادلة المقاتل البارد واختراق مفهوم الفعالية لدى الجيوش والمعلومة الإستراتيجية، وبدخولها في نزاع مسلح مع ما يسمى "بالمقاومة الشّيشانية" تصطدم المدرسة الحربية الرّوسية بواقع ومعطيات مغايرة، برغم كل ما يشاع عن قوة

(2) ويقصد بالحرب التقليدية، ذلك النوع من الحروب الذي تخوضه -بصفة أساسية- القوات النظامية لدولة أو أكثر ضد دولة أو أكثر. ولقد عرفت البشرية هذا النوع من الحروب منذ أقدم العصور. ومن الملفت للنظر أن الأساس الفلسفي لهذه الحروب لم يتغير رغم توالي العصور عليها، فهذه الحروب -عسكريا- تعتمد على أربعة عناصر هي: الاستراتيجية، والتكتيك، والتقدم العلمي المناسب زمانا ومكانا، ثم الخطة.

كما أنها سياسيا تستهدف كسر إرادة العدو، وفرض الإرادة الأخرى عليه.

ولم يضف العصر الحديث لهذه الحروب إلا أبعادا جديدة في متطلبات الإعداد لها، وذلك تحت تأثير عوامل لم يكن للأقدمين فيها خوض من مثل: ظهور الخرائط السياسية الحديثة التي تبلورت تماما بظهور عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة، ومن مثل: شمولية الحرب الحديثة بحيث صار الإعداد لها يتطلب -فضلا عن الجوانب العسكرية- جوانب أخرى اقتصادية، سياسية وثقافية.

المقاتل الرّوسي وصلابته التي تميزه عن باقي الجنود في العالم غير الإسلامي. وهنا يجدر بنا الإنطلاق من سيادة المفاهيم السابقة في مفكرة العلاقات الدولية، في بعدها الحركي العسكري عامة، والأكاديمي الحربي خاصّة.

وسنحاول هنا أن نضع هذه المسألة في إطارها التحليلي المعلوماتي: سنختار نماذج لقادة الجهاد الشّيشاني، ونتعرض لفريقين من الرؤساء والآخر يمثل القادة الميدانيين لكل من الشّيشان والرّوس، دون إهمال الجانب السياسي والتاريخي الإيضاحي لحيثيات ومجرى قضية "الحرب الشّيشانوروسية" والاستفسار حول مسألة "حقيقة استقلال الجمهورية الإسلامية الشّيشانية" كباقي جمهوريات منطقة القوقاز- كما هو الأمر بالنسبة لجمهورية تاتارستان الإسلامية- من روسيا الفيديرالية، وكأي شعب من الشعوب المسلمة المطالبة بكيان ذاتي لها، حفاظا على هويتّها. وهنا سنقف على مقولة القادة الرّوس: "دمّروا الإسلام وأبيدوا أهله"[(3)] وتبيان الأبعاد التي اتخذتها الحرب، حيث سنقف على مقولة الرئيس الشهيد يندربابيف لمعرفة حقيقة حرب العصابات الشّيشانية (التي تعد جزءا أساسي من السلوك الحربي الشامل للجهاد المسلح): "إن الجهاد الإسلامي لا يرتبط بالأشخاص، ونحن متوكّلون على الله، مستعينون به، ومن اختار الجهاد وكان مخلصا في اختياره، فإن الله سيساعده ويثبّته ..."[(4)] وما أحدثته هذه الأخيرة من تجديد على مستوى أساليب القتال والحربية الشّيشانية، وما أحدثته من معاول هدم على مستوى المدرسة العسكرية الرّوسية، وإدخال تغييرات على "استراتيجية حرب العصابات" والنظريات الثورية، وعلى مفاهيم "الحرب العادلة"، قصد تدعيمها بمناهج وتكتيك جديد، سيتسنى لنا معرفة محتواها ومضمونها من خلال دراسة الخلفيات والمنطلقات التي تقوم عليها حرب العصابات الشّيشانية وتكتيكها القتالي.

---

(3) الدكتور عبد الحليم عويس: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، دار إحياء التراث العربي، 2003م، ص69.

(4) هشام محمد الحرك: بداية النهاية لطغاة العالم، الرياض: مطبعة التوحيد، 2005م، ص88.

فعند التطرق لاحتكاك الخبرة الشّيشانية بالحرب منذ القدم، سنرى ما اقتبسته من نظريات عسكرية نابعة من معرفتها وتجربتها السابقة، وعلاقتها بالمحيط الإستراتيجي والطبوغرافي لميدان الحرب.

في الحقيقة الموضوع يمثل حركية مستمرة لما ستعرفه العلاقات الدولية من ظهور لتنظيمات وأساليب حربية، تحمل معها رسالة (من مطلب استقلال وحدات إلى الدفاع عن هوية دينية أو قضايا إنسانية، أو رافضة لسياسات داخلية أو حتى دولية ما). المهم هو أن ظهور هذه التنظيمات والأساليب سيلغي مقولة التفوق العسكري الغربي، بإدخال مفاهيم جديدة في ميدان الحربية أولا، وعلى مستوى العلاقات الدولية ثانيا، التي تفتقد لمثل هذه المواضيع التي تخاطب المجتمع الدولي وفاعليه في الصميم، والتي عليها أن تغير نظرتها اتجاه بعض المفاهيم كـ: "الإرهاب، الأصولية، التطرف الديني، الإسلامية والإسلاميون، والجهاد الإسلامي"، وإيجاد رؤى وتفسيرات أكثر موضوعية وواقعية، ومستقلة، لا تعتريها تأويلات ولا تبريرات صادرة من مغالطات ومزايدات لا تخدم الأمانة العلمية ولا الإنصاف التاريخي. فتوخّي البصيرة والعلميّة في تناول أشباه هذه المفاهيم، أمر جدّ هام، كونها ستشكل البؤرة والبعد الحقيقي لاهتمام وانشغال حقل العلاقات الدولية.

فحرب العصابات الجديدة -والتي هي موضوع الدّراسة- تدخل في إطار استراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل خاصّة، واستعداد المقاتلين عامّة على عوامل الوضع الإستراتيجي، والتي تكتسي أهميّة فعليّة في بناء قوة الجيوش وتحديد ثقلها في الحرب: من أجل حسم أسباب الإنتصار والهزيمة عن طريق أساليب تكتيكية هجومية ودفاعية انتهجتها فصائل حرب العصابات الشّيشانية.

فلكل نظام حربي أفكار ونظريات تنسجم معه. وقد يكون اختيار هذه النظرية أو تلك صائبا في ظروف معيّنة وغارقا في الخطأ في ظروف أخرى. وفي هذه الفكرة تكمن الحقيقة الإستراتيجية الأساسية للمنظومة الهجومية أو الدفاعية لحرب العصابات الجديدة، المستمدة من ثقافة الجهاد في المجتمع

الشّيشاني المسلم، كغيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى، ثقافة راسخة رسوخ العقيدة فيها -وإن غيّبت-.

ومن هذا المنطلق يمكن التفريق بين أن تهزم عدوك بالقوة (وهو نمط حرب العصابات القديم)، وبين أن تملك عناصر الجهاد المسلح وتهزمه بقوة الإيمان والبقاء والتحمل، وهو ما سيبطل كل من نظريات ماوتسي تونغ وأندري بوفر (Andrei Bover) (الخاصة بالمقاومة الشعبية وحرب العصابات)، وتركيزها على العامل الهجومي باعتباره عامل مهيمن، وهو ما يؤدي في العادة إلى ضمان استمرارية نشاط ذلك الطرف المندفع[5] لتتراجع أمام ما ذهب إليه الجنرال الأمريكي "جيمس جونس" (James jones) والذي رأى من الأفضل أن تكون لدى الساسة والعسكريين خطة بديلة في جيوبهم الخلفية، كون أنهم عندما يهاجمون أناسا في وطنهم، فإنهم سيحاربون بشكل يختلف عن قتالهم. كون الدفاع عن الوطن مسألة جديّة لأنهم ليس لديهم أي مكان يذهبون إليه بعد ذلك وهو ما استنتجه العقيد "براتيسلافا فييتشكا" (Bratislava Vietchka) وهو مستشار الأمن الرئاسي التابع لفرق "قوة دلتا" الأمريكية U.S Delta Force " خلال تتبعه للحرب الشّيشانية الرّوسية، وهو ما يعبّر عن ميلاد لعقيدة حربية وأسلوب قتالي سيحسب له ألف حساب في الميزان الدولي آنيا ومستقبلا في نفس الوقت.

إشكالية الدّراسة:

ومن خلال الدّراسة، ومن أجل فهم الموضوع، سيتم التركيز على المنطلقات النظرية والمحتوى الفكري والعملي القتالي لحرب العصابات الجديدة، مع البحث عن مدى نجاعة العامل العقائدي في إعطاء دفع آخر لحرب العصابات وللتعامل مع مسائل الإنتصار والهزيمة في الحرب، وتحديد الأطر النظرية الدينية للجاهزية القتالية.

وسيكون محور الدّراسة هو الإجابة على الإشكالية المركزية التالية:

---

(5) الجنرال، أندريه بوفر: مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الطليعة، 1970، ص128.

* إلى أي مدى يمكن اعتبار العامل العقائدي الديني عاملاً أساسياً ومحفزاً لتحقيق عوامل النصر والبقاء في أسلوب حرب العصابات لدى المقاومة الإسلامية الشّيشانية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، تتمثل في:

- ما هي دوافع ومبررات استعمال الدين كخطاب وأسلوب عمل قتالي في حرب العصابات الشّيشانية؟ وما هي الوسائل التي تستند إليها في تعاملها مع ميزان قوى الأطراف المتصارعة حاضرا، وتحديد معادلة الانتصار والهزيمة مستقبلا؟.
- هل ظهور هذا التكتيك الجديد (لحرب العصابات) هو تبرير لعجز أو فشل العقيدة الحربية الرّوسية في إيجاد حلول وإجابات لتساؤلات طرحها ميدان الحرب في العلاقات الدولية، أم هي تعبير لبداية تآكل وزوال المفاهيم الكلاسيكية للمدرسة الحربية الرّوسية؟.
- هل يمكن القول أن استمرار حرب العصابات الشّيشانية هو دليل على صلاحيتها وفاعليتها؟ أمّ أن الأمر مرتبط بظروف أخرى (خارجية أو متعلقة ببنية العصابات)؟

فرضيات الدّراسة:

ومن أجل معالجة إشكالية الدّراسة، سيتم تحديد هذا الموضوع انطلاقا من الفرضية المركزية التالية:

- بما أنّ حرب العصابات الشّيشانية تحمل في جوفها رسالة دينية تحررية ولعقيدة إسلامية راسخة في بيئته، فإنه من الطبيعي أن تحذو حرب العصابات الشّيشانية حذوا عقائديا جهاديا تربطه غايات حربية وشعور سامي أكثر منه بمعطيات واعتبارات مادية.

ولتدعيم هذه الفرضية المركزية، تم إدراج الفرضيات الفرعية التالية:

- إنّ ظهور حرب العصابات بنمط جديد هو اندحار لنموذج حرب العصابات القديم لصالح قوى تحمل -حسب زعمها - لرسالة

سماوية دينية، لها من عوامل حسم مسائل الانتصار والهزيمة في الحرب، ما يؤهلها لتكوين فكر استراتيجي عسكري مستقل. ولعل أهم حالة يمكن أن تدرج في سياق الكلام هذا: هي حالة الجهاد والمقاومة الشّيشانية.

- على الرغم من كون العقيدة الحربية الروسية لها من المقومات ما يؤهلها لحسم الصراعات، غير أن ثقتها المفرطة في القدرة التكنولوجية والمادية العسكرية، على حسم الصرّاع العسكري، حال دون أن تتحمل تلك الصراعات العسكرية الطويلة المدى، وهي نقاط قوّة في صالح فاعلية حرب العصابات الشيشانية.

- إن استمرار حرب العصابات الشيشانية، هو رهان قوّة الفكرة والبنيّة المقاتلة في نفس الوقت مع الأخذ بعين الاعتبار المحيط المادي العسكري والدولي (المتغيرات الجيوبوليتيكية والعسكرية).

أدبيات الدّراسة:

من بين الدّراسات المعتمد عليها، نجد ما هو باللغّة العربية لبعض الباحثين، نذكر من بينهم: الدكتور عماد فوزي شعيبي[6]، "الإستراتيجية الأمريكية الجديدة وساحة عملياتها العسكرية"، التابع لمركز المعطيات والدراسات الإستراتيجية، والذي تعرّض عبره إلى مخلّفات الحرب الوقائيّة للولايات المتحدة الأمريكيّة مع حلفائها، وطبيعة المقاومة التي تعرّضت لها جراء تطبيق الإستراتيجية. كما تمّ الاعتماد في هذه الدّراسة على بعض المراجع باللغة الأجنبيّة، من بينها كتاب لجاك شاتو[7] (Jacque Châteaux) "La fin de l'ordre militaire est le retour des Mercenaires" حيث ركّز على ظاهرة الشركات العسكريّة الخاصة كاستراتيجية اعتمدتها ما يسمى بالدول

(6) عماد فوزي شعيبي: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وساحة عملياتها العسكرية، سوريا: مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية، 2004م.

(7) Jacque Châteaux: *La fin de l'ordre militaire et le retour des mercenaires, 1991-2001*, France: aix-en-provence, Institut d'études politiques, 2003.

الكبرى لمواجهة القوى العسكرية الصاعدة، وهي ظاهرة عرفت رواجا بعد الحرب الباردة، والتي عرفت فيها العمليات العسكريّة تحولات عميقة، نتيجة زيادة الطلب عليها في السوق العسكرية العالميّة، ومدى أهميّتها في إدارة النزاعات المسلحّة ومواجهة حرب العصابات للقوات النظامية التي فشلت في التكوين القتالي وكذا في إدارة الحرب، وتعويضها بشركات عابرة للقوميات مختصة في العمليات والتدخلات العضويّة والاستشارة الأمنيّة، وهو ما اصطلح عليه الباحث ب"كلاب الحرب Chiens de Guerres كمرادف لمصطلح المرتزقة.

ولقد تمّ الاعتماد أيضا على بعض المقالات التي تناولت هذا الموضوع سواءً باللّغة العربية أو باللّغات الأجنبية، من بينها مقال لجيمس.س. موز[8] (James. C. Moore) حول "When morality Disappears from the battle field, war is lost" بمعنى أن الحرب تصبح خاسرة عندما تغيب الأخلاق عن ميدان المعركة، تناول فيه الباحث الفارق الأخلاقي والنفسي بين المقاتل الأمريكي والرّوسي بالمقارنة مع المقاومين التاتارستانيّين، الشّيشان والعراقيين، وأخطاء العقيدة الحربية الغربية تحت لواء الولايات المتّحدة الأمريكيّة. ومقال آخر لليز ويلار[9] (Lise willar) حول Le commando tchétchène بمعنى المغوار الشّيشاني.

كما أنّ هناك الكثير من الدراسات التي ركّزت على الحركات المسلّحة غير النّظاميّة، تتبنّى المنهج والأسلوب القتالي لحرب العصابات. ويمكن القول أنّ هناك بداية اهتمام واسع لدى مختلف الباحثين، المجسّدة في اجتهادات المدارس العسكرية الغربية والشرقيّة لمحاولة تصحيح مذاهبها ونظريّاتها قصد مواجهة اندفاع ومدّ أشكالٍ جديدة من حروب العصابات، وتركيزها على إستراتيجية الحرب الوقائيّة. إلى جانب مجموعة من الدراسات لمعهد الاستراتيجيات المقارنة (Institut des stratégies comparées): حيث

---

(8) James. C. Moore: When morality disappears from the battle field, The war is lost, *Kavkase times*, January, 1999, p18.

(9) Lise Willar: *le commando Tchétchène*, Fayards, 2003.

ركّزت أغلب أبحاثها حول محاولات روسيا للخروج بعقيدة حربية جديدة، تبعا للدّروس المستخلصة من حرب العصابات الشّيشانية.

أضف إلى ذلك، أهميّة كتاب عبد الحليم عويس[10]: "دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية" مبرزا فيه الاعتداءات العسكرية على الإسلام، حيث يرى أن هناك صراعا في استعمال مفاهيم: الإرهاب والمقاومة والجهاد، تغذّيه وسائل الإعلام خاصّة من قِبل تلك التي تهيمن عليها الإدارة الأمريكية، رغبة منها في الدفاع عن سمعتها بعدما اقترفته في حربها على أفغانستان والعراق، وهو ما يؤدي إلى حرب المصطلحات، فيتصارع -حسب المؤلف- مفهوم القتل والانتحار والاستشهاد، كما يتصارع مفهوم التّحرير مع مفهوم الاحتلال، ومفهوم الاستعمار مع مفهوم الاستدمار، ومفهوم النّصر مع مفهوم الهزيمة.

كما أنّ أغلب المحلّلين يرون أنّه: لا يمكن لحرب العصابات الشّيشانية، أن تلعب دورا فاعلا في حسم أسباب الانتصار أو الهزيمة في المعركة. كما أنّه لا يمكن أن تعوّض دور الجيوش النظاميّة العملياتيّة، ويشبّهها بعض الباحثون بعمليات قتالية لحرس الأباطرة اليابانيين "Samouraî" فهي ستزول بزوال أسباب ظهورها.

غير أنّ جميع الدّراسات أهملت دور العامل الدّيني في إعطاء دور ومبّرر لبقاء هذا النمّوذج من الحروب، وفي تكوين تصّور ومحاولة تقويم السلوك القتالي للإنسان. هذا الجانب العقائدي الذي اختفى في أغلب الدّراسات والأبحاث ما هو إلا نتيجة لعمليات الانبهار والانجذاب المادي العسكري للحضارة الغربية، حيث لا تتعدى تحليلاتهم للعلاقات بين أطراف المعركة تلك التحليلات القائمة على تفسيرات مادية، المفسرة للظاهرة تفسيرا رياضيّا. وإهمال هذا العامل سيوقع العمل البحثي نظريا أو ميدانيا في مغالطات وتصورات لا موضوعية، بعيدة عن التصورات الفكرية والروحية

---

(10) عبد الحليم عويس: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، دار إحياء التراث العربي، 2003م.

للمقاتل كحامل لرسالة ربانيّة، تكون عنده مسألة الغنيمة (النتائج) الحربيّة مرتبطة بمدى تحقيق غاية الرضى الإلهية. والإيمان بالشهّادة والفوز بالجنّة هي العناصر التي تدفعه للاستماتة في القتال والرغبة في الموت، واستسهال طرقه ليتحول حامل الرّسالة الدينية من مجاهد إلى شهيد، وهو ما يترك أثرا إيجابيا لدى رفاق السلاح والزحف.

الإطار النظري:

من أجل إثراء هذه الدّراسة، تمّ الاعتماد على عدّة نظريّات فرضتها طبيعة الموضوع، هي:

(أ) المقاربة الإسلامية:

وهي مجموعة من الاجتهادات والاستنباطات النّظرية، والمكوّنة لمجموعة علمية فقهية، تحل مشكلات الدوّلة والمجتمع معا، لا مرشد لها إلّا كتاب الله وسنّة رسوله، وعقل مدرك نافذ، يوجهّه قلب مخلص يطلب الحق لذات الحقّ، لا يسيطر عليه هوى ولا ينبعث على شهوة أو حبّ سلطان. حيث تكوّنت لكل صحابي من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم مجموعة فقهيّة نظرية: فكان لعليّ مجموعة فقهية (المدرسة العلوية) تناقلتها ذريته وأصحابه، ولزيد بن ثابت مثلها ولعبد الله بن عباس مجموعة، ولعبد الله بن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- وقد اتجه العلماء منذ القدم لجمع مجموعة عمر، بالإضافة لمصادر لأهل السنة والجماعة كمصدر أساسي للتنظير السليم، وهو ما انبثق عنه جملة من المدارس النظرية منها:

- المدرسة الخلدونيّة: نسبة للعلّامة ابن خلدون.
- المدرسة الأفغانيّة: نسبة للفقيه جمال الدّين الأفغانّي، المهتمة بتفسير أمور الدّين والحكم، وأحكام الجهاد والحرب بين دار السّلام ودار الحرب.
- المدرسة السلفيّة الجهاديّة: ويمثّل القطب القديم كل من: شيخ الإسلام. تقيّ الدّين ابن تيميّة وأبو الأعلى المودودي. بالإضافة إلى

القطب الجديد الذي يمثل الاتجاه الإصلاحي السلفي المجسّد في أفكار كلّ من: عبد الله عزّام، السيد قطب، حسن البنا، محمد عبد السّلام فراح صاحب كتاب: "الفريضة الغائبة".

وعمد هذا الاتجاه، إلى التّنظير لمفاهيم الجهاد والحرب: بيد أنها لا تكون شرعية إلّا إذا دفع إليها ظلم واقع أو ظلم متوقّع وهي لا تكون إلا حيث تتعذر وسائل السّلم، ثمّ هي ليست حربا مع الشّعوب بل هي حرب مع المستغلّين الظّالمين ولذلك لا يصحّ قتل آمن في سربه، لا رأي له في حرب، أو ليس من شأنه أن يحارب أو ما هو بمحارب فعلا. بل الحرب في الميدان وحده، أو كما يعبّر منظريّ الإسلام في "معسكر السّلطان" فلا يسوغ في حرب إسلاميّة تجويع شعب والحروب لا تكون إلا حيث يكون بدّ منها، فهي ضرورة تنتهي بقدرها والفضيلة تظلّها في ابتدائها وفي سيرها وفي انتهائها، والرّحمة تحكم، والسيوف تجري بالحقوق، فالرّحمة تعيش وسط الملحمة كما أتى في حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم عن أبي هريرة أنه قال: "أنا نبيّ المرحمة وأنا نبيّ الملحمة"[11]، [حديث مسنده صحيح].

(ب) نظرية المباريات Game theory:

إن تطبيق هذه النظرية في الدّراسة، نجد مبررات استعمالها فيما قام به كلّ من: كابلان (Kaplan) شيلينغ (Schelling) وريكر (Ricker) الذّين حاولوا تطبيقه في مجال السّياسة الدوليّة. ويصف كابلان تحليل اللعبة بأنه: "أحسن أداة متاحة لتحليل مشاكل الاستراتيجية"، ويعتقد أنه لو استخدم استخداما صحيحا، فإنه: "يحتمل أن يزيد من فرص استغلال عن "الاستراتيجية" وهو ما أظهره في تحليله الخاص في كتابه "النظام فصول عن استراتيجية وبراعة الدولة" حيث كان متوقعا أن يتناول العمليات في السياسة الدولية.

وتعتبر الاستراتيجية هي قلب مفهوم نظرية المباريات. فهي تفترض العقلانية في سلوك اللاعبين (حتى أن صانع القرار العقلاني قد يكون تشكيلا

---

(11) صحيح الإمام البخاري، تأليف الدكتور مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، بيروت: دار ابن كثير، 1407 هـ، ص69.

نظريا أو كيانا صناعيا). وأن الغرض الكامن خلف نظرية اللعبة -على أية حال- هو أن اللّاعب ليس فقط عقلانيّا تماما ولكن مدرك من تلقاء نفسه بالأولويات في أغراضه وأن تتوفر عنده معرفة تامة بالاستراتيجيات المتاحة لتحقيق العائد، ويكون مشغولا تماما بمحاولة مضاعفة عائده بطريقة تتماشى مع تكوين عائده الشّخصي أو في ترتيب الأفضليات. وكما قال رالف جولدمان[12] Ralph Goldman) إن: "الاستراتيجية هي برنامج شامل للأعمال يتخذه اللاعب لكي يحقق نتيجة مرغوبة أو مجموعة من النتائج تحت ظروف معاكسة أو صراعية".

وتتكون الاستراتيجية من كل الخطط المختلفة المحتملة، المتوّفرة لدى اللّاعب لكي يحدد ماذا سيفعل بعد ذلك.

(ج) النظرية الجيواستراتيجية Geo-stratigic theory:

حيث وضع أفكارها الألماني راتزل (Retzel) في نهاية القرن التّاسع عشر حينما نبّه إلى الآثار الحتّمية للأوضاع الجغرافية في تشكيل خصائص وسلوك المجتمعات البشرية. ومن ثمّ إلى علم يرتكز إليه علم العلاقات الدوليّة، ذا أساس جغرافيّ، وهو علم دراسة العلاقة بين الأرض والاستراتيجية.

إنّه العلم الذي يوضّح: كيف أن للعوامل الجغرافية كالمناخ والتضاريس والموقع الجغرافي وغيرها، دور حتمّي في تشكيل إستراتيجية الجيوش، ومن ثمّ فإنّ أي تكتيك لابد أن يرتكز على هذا العلم، الذي يكون أساس سليم، يجمع تحته دراسة علاقة التكتيك العسكري والقدرات البشرية بالامتداد الجغرافي للدول، ودور هذا الأخير في تحديد الانطباع والتّوجه العسكري للدّول ومن روادها ألفريد ماهان (Alfred mahan) وماكندل (Makindel)[13].

(12) الدكتور هاني أحمد الدرديري: المدخل للثقافة العسكرية، الطبعة الأولى، قطر: مطبعة التوحيد، 2004م، ص19.

(13) الدكتور محمد أحمد نابلسي، والدكتور عماد فوزي شعيبي: الجغرافيا السياسية والاستراتيجية الجغرافية، سوريا: مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية، 2002م، ص33.

الإطار المنهجي:

لقد تم التطرق إلى هذا الموضوع استنادا إلى عدة مناهج علمية تتماشى وطبيعة هذا الموضوع، حيث تمّ توظيف ما يلي:

1 - منهج دراسة الحالة:

وهو منهج أساسي في الدراسة، ومن خلاله سيتم التركيز على حالة واحدة فقط من بين المجموعة المشكّلة لحرب العصابات الجديدة، وهي "المقاومة الإسلامية الشّيشانية"، وذلك من أجل معرفة مدى أهمية العامل الديني في منح حرب العصابات القدرة على الإسهام في إيجاد صيغ وحلول جديدة (عقيدة حربية جديدة) طرحتها حروب العصابات القديمة، وقيّم عادلة للحرب إلى جانب المساهمة في تحديد موازين قوى الأطراف التي اختارت الاصطدام المسلح أيّا كان شكلها.

2 - المنهج التاريخي:

ومن أبرز دعاته جورج.هـ. سابيبن[14] George. H. Sapine. ووظف لتبيان السيرورة الزمنية للوقائع الماضية، وتطورات النزاع الشّيشاني - الرّوسي، وظهور المقاومة (الجهاد)، خاصة وأن معرفة الخلفيات والأحداث الماضية تعتبر الركيزة الأساسية لفهم أبعاد الحرب العصاباتية الجديدة وأدوارها.

3 - المنهج المقارن:

وسيوّظف هذا المنهج قصد المقارنة بين حرب العصابات الجديدة بحروب العصابات القديمة لمحاولة استخراج الجديد أو المستجد من الظاهرة موضوع الدراسة، من خلال الاعتماد على متغيرات ومحددات وفواعل قد تجمع أو تفرق بين أشكال هذا النوع من الحروب، هذا من جهة.

---

(14) ديورانت ول وايريل: قصة الحضارة: عصر الإيمان، ترجمة: محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد الرابع، بيروت، لبنان: دار الجيل، 1998م، ص15.

ومن جهة أخرى سيتم الاستعانة بالمنهج المقارن للتفرقة بين الجاهزية القتالية الشّيشانية، والجاهزية القتالية الرّوسية، وبين المنطلقات الفكرية والعقائدية لكل من القوّتين المتصارعتين، ومحاولة إظهار الفعّالية والفاعلية في إحداها على حساب الأخرى إن وجدت.

4 - المقاربة المعيارية Normatives Approaches:

وهي المقاربة الساعية إلى تقديم أمثل التصورات، مستخدمة الأساليب الكمية عن طريق النماذج والمتغيرات والأساليب الكيفية عن طريق الإثارة الذهنية والسيناريوهات.

وسيُوظّف جانبا من هذه المقاربة المستعمل للدراسات المستقبلية، وهي تقنية السيناريوهات، وهذا عند التعرض لدراسة مستقبل المقاومة الشّيشانية، حيث سيتم الاعتماد على الطريقة التفاعلية (التفاعل بين الطريقة الحدسية والطريقة النموذجية)، كطريقة بناء سيناريوهات مستقبلية للجهاد الشّيشاني. ويعود اختيار هذه الطريقة العملية لكونها تجمع ما بين الحدس والخيال والكيف في الطريقة الحدسية، والأساليب الكمية في الطريقة النموذجية، للحصول على سيناريوهات جيّدة. ولكونها الأكثر استخداما في بناء السيناريوهات في الوقت الحالي.

وسيتم الاعتماد على أربعة سيناريوهات تتوافق وطبيعة الظاهرة، وهي نفس السيناريوهات التي حددها سلافتر[15] Slaughter، وهي:

- السيناريو المرجعي، أو سيناريو الوضع القائم Status quo scénario.
- سيناريو الانهيار Collapse Scénario.
- سيناريو الحالة المستقرة Return or state scénario، وهو مبني على العودة إلى فترة زمنية سابقة، يفترض من أنها تمثل الحياة المستقرة.

---

(15) الدكتور طه محمد: فروض علمية في تفسير علاقات الحرب والسلام، بيروت: منشورات جامعة بيروت العربية، 1974م، ص113.

- سيناريو التحول الجوهري Transformation or fundamental change scenario.

5 - إلى جانب منهج الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء كبار الفقهاء وأئمة الأمّة التي تتماشى وطبيعة موضوع الدراسة، حيث:

- التزمت الاستدلال بالقرآن الكريم، والأدلة الصحيحة من السنّة.

- اعتمدت في تفسير الشواهد القتالية (الجهادية) من الآيات على أمهّات كتب التّفسير المعتمدة، وكذلك كتب شروح الحديث.

- عنيت بتحقيق وتبيان مراد العلماء الصحيح من كثير من القواعد، والضوابط، والمفاهيم التي جرى تحريف مدلولاتها ومعانيها عند الكتّاب المعاصرين كمفهوم: التترس، الجهاد، العمليات الاستشهادية... الخ.

ولقد تمّ تبني هذا التعدد في المناهج (خمسة مناهج) تماشياً مع طبيعة الدراسة: فلكون الموضوع جوهره حالة حرب العصابات الشيشانية، كان منهج دراسة الحالة هو المنهج الأساسي الذي تدور حوله باقي المناهج، والذي يتخلله تارة المنهج التاريخي (لغرض عرض أحداث وتطورات الصراع الشيشاني - الرّوسي) وتارة أخرى استعمال المنهج المقارن للمقارنة بين تكتيكات البنيتين القتاليتين وعقائدهما الحربية، ومتغيراتها، أما نموذج السيناريوهات، فهي محاولة للتعرف عبر مجموعة من المتغيرات والمعطيات لمستقبل هذا النموذج الحربي وما يمكن استخراجه من نقاط قوّة وضعف بالنسبة إليها، أمّا فيما يخص منهج الاستدلال، فهو من أجل توضيح بعض المفاهيم القتالية الإسلامية، وكذا يأتي في سياق استدلال المجاهدين الشيشان بالكتاب (القرآن الكريم) والسّنة قصد إكساب الشرعية لفعلهم القتالي، وكذا تبيّان من جهة أخرى مدى موافقة السلوك القتالي الشيشاني، - وهو ما يسمونه جهاداً- للنصّ القرآني ولعقيدة أهل السنّة والجماعة.

تصميم الموضوع:

للإجابة على إشكالية هذه الدراسة، جاء العمل في ثلاثة فصول رئيسية، بداية بمقدمة حول الموضوع، سندرج تحتها عرض لموضوع

الدراسة ومدى أهميتها، كفلسفة جهادية أدّت لظهور أشكال قتال جديدة في ميدان المعركة، وهي أشبه بالتكتيك القتالي الثوري يتراوح بين المقاومة الشعبية ومناهج عصابات الكرّ والفرّ أكثر منه لتكتيك الموت حتى آخر رجل، بالإضافة إلى ذكر أهم المنظرين الذين تناولوا موضوع حرب العصابات كـ: ماوتسي تونغ، سونزي، وأندري بوفر كإسهامات نظرية كرّستها المدرسة الحربية القديمة للتنظير لحرب العصابات كمرجعية ومنهج السلوك القتالي الثوري. لنصل للوقوف أمام إشكالية أهميّة الجانب الديني في منح تصورات عقائدية قتالية جديدة لحرب العصابات (كمعضلة للجيوش النظامية الغربية)، وطبيعة هذا الوعاء الديني، وما يمكن أن يضيفه إلى معادلة حسم معارك من نوع رجل لرجل أو رجل ضد عصابة أو عصابة ضد عصابة، أو حتى عصابة ضد أرمادة من الكتائب القتالية، وتوفير عوامل حسم أسباب النصر أو الهزيمة في المعركة.

بالنسبة للفصل الأول: سيتم التطرق من خلاله إلى تقديم صورة عامة عن الجمهورية الإسلامية الشّيشانية، والتعريف بها من ناحية جغرافية وموقع المنطقة، طبيعة السكان مع ذكر البعد الثقافي والحضاري للجمهورية ومميزات وخصوصيات الشعب الشّيشاني عن غيره من سكان نفس الإقليم (القوقاز). دون إهمال للأهمية الجيوسياسية، الجيواقتصادية والاستراتيجية للجمهورية، لتبيان أهمية المنطقة كسبب رئيسي لرفض الرّوس منح الاستقلال الكلّي للمنطقة عنها، وهو ما يمثل بالنسبة لهذه الجمهورية عناصر قوة لها، وفي نفس الوقت نقمة عليها.

مما يجرنا للحديث عن طبيعة حرب العصابات الشّيشانية، وهو ما سيدفعنا لعرض السيرورة التاريخية لظهور المقاومة الإسلامية الشّيشانية وحرب العصابات عبر عدة حقبات تاريخية، مبرزين الطريقة الفريدة لحرب العصابات الشّيشانية والمنطلقات النظرية والفكرية التي ساهمت في دفع شأن الحرب في كل مرة مع إبراز دور القيادة الدينية في توجيه وتأطير حرب عصابات، انبثقت عنها تكتيك قتالي يعبّر عن سمو الروح عن الجسد، وسموّ الدين عن السلاح، وسمو الربّ عن الذات وعن الوطن. وبالتالي حرب

وتكتيك حربي فريد من نوعه، يستعمل فيها وسائل وطرق يعتبرها المتتبعون والمحللون الرّوس، طرقاً غير نظامية، وهذا تحت غياب عناية وتأطير علمي لمفهوم "الجهاد المسلح".

أما الفصل الثاني: وبعد عرض تلك المنطلقات النظرية والعلمية لحرب العصابات الشّيشانية، سنعالج كيفية إسقاط العصابات الشّيشانية لمفاهيم كثيرة اعتادت عليها ساحة الحرب، وكيفية الانتقال من فكرة ترسيخ من مذهبية حربية إلى محاولة لتكريس عقائدية دينية قتالية، مع إبراز كيفية تعامل رجال العصابات الشّيشانية مع المقاربة الإسلامية الجهادية، والتي حولت مفهوم العصابات (كاصطلاح قديم) إلى أنصار ومجاهدين، وحرب العصابات إلى شكل من أشكال الحروب المقدّسة، وإلى جهاد لابد منه.

وبعد التعرض إلى طبيعة المواجهة بين العصابات المسلحة الشّيشانية، والجيش النظامي الرّوسي، سنتعرف على أهم نتائج هذا الاصطدام المسلّح الناتج عن تغلب التكتيك الحربي الشّيشاني على خصمه الرّوسي (بتبيان التغير الجذري للأساليب القتالية لرجال العصابات الشّيشانية)، وعن البعد الديني الحضاري للجهاد الشّيشاني أمام كبر الدعم اللوجستيكي المادي العسكري المقدّم لروسيا.

فتناول الصراع ما بين رجال العصابات الشّيشان ووحدات القوات الرّوسية، هو في حقيقة الأمر نموذج لمواجهة مقاربتين قتاليتين (المقاربة الرّوسية الحربية والمقاربة القتالية الإسلامية الشّيشانية)، وبتبيان أسباب الإخفاق العسكري الرّوسي أمام حميّة رجال العصابات الشّيشانية، ممّا دفع بالإدارة الرّوسية إلى محاولة لتجديد المذهب الحربي نتيجة للفشل والعجز العسكري. على العكس منها، فإن استمرار وبقاء جهاد رجال العصابات (الأنصار) الشّيشان - الذي يترجم فاعلية العصابات -، توّج بظهور مفاهيم حرب عصابات جديدة، تهتم بمحتوى الجاهزية القتالية، وتدخل ضمن استراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل، ومن هاته المفاهيم، ما يلي:

- الاستشهادي.
- الانسحاب الهجومي.

- الدفاع المتمركز.
- العاصمة الطّعم.
- الضربات المفاجئة.
- كتائب الموت ....الخ، وهي مفاهيم يصطلح عليها بمفردات الحرب غير النظامية.

أما الفصل الثالث: سنحاول من خلاله دراسة مستقبل الجهاد الإسلامي الشّيشاني، باستعراض نقاط قوة وضعف العصابات القتالية، وتابعة لطبيعة الروح القتالية الشّيشانية، وهذا عبر جمع المعطيات الآنية والمرتقبة لعناصر هذا التنظيم المسلح، حيث سنحاول تفعيلها في إطار نظري وأسلوب الطريقة التفاعلية للخروج بأربعة سيناريوهات محتملة لمسار العصابات الشّيشانية، والذي لا يمثل إلّا واجهة لبداية نموذج عودة الروح (الإسلام) إلى الجسد (الأمّة).

ومن خلال استعراض السيناريوهات، سنتعرف على أهم العوامل المساهمة في استمرار وبقاء هذا النموذج الجهادي الشّيشاني أو تلاشيه وانتقائه، وأهم العناصر التي قد تؤدي إلى تغيير داخلي في نموذج الحرب هذه أو حتى أهدافها وتكتيكها القتالي، وبالتالي دراسة انعكاساتها على مسألة استقلال الجمهورية الإسلامية الشّيشانية، وعلى تفاعلها مع ميدان المعركة.

وأخيراً، تخرج هذه الدراسة بخاتمة تتضمن جملة من الاستنتاجات، تتعلق بجوانب موضوع الدراسة:

فحرب العصابات الدينية، قد يكون التوجه الغالب للعصابات الشّيشانية (الأنصار) - مفهوم العصابة لا يوازي مفهوم جماعة الأنصار المتزمتّين لفكرة دينية، لها مقومات القوة للذود والزحف من أجلها -ليصبح العامل الديني الغاية والوسيلة التي عن طريقه التنظيمات المسلحة الإسلامية الحقيقية تعدّ القوة ورباط الخيل من أجل إعلاء كلمة الله وتطهير الأراضي الإسلامية من "نجس الكفار والمشركين الغزاة" (كمرادف لدى العصابات لمفهوم "تحرير

الوطن" السياسي)، ليصبح الدفاع عن الوطن عبارة عن التزام ديني شرعي أكثر منه واجب وطني سياسي. غير أن العقيدة القتالية المؤطرة للتكتيك الحربي الشّيشاني قد يأخذ طابع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ولمعارك التتار المسلمين أكثر منه للجهاد المسلح الأفغاني الذي يطبعه التوجه السياسي والصبغة الأيديولوجية (Counter -Communisme)، ممّا يدفعنا لتوخّي الحذر من الخلط بين الجهاد الأفغاني والجهاد الشّيشاني في إدراج العامل الديني كإطار للمناهج والأساليب القتالية، حتى لا تستعمل ولا توظّف ورقة حرب العصابات الدينية هذه توظيفا قد لا يمتّ بأيّة صلة بالدين وبالعقيدة القتالية الإسلامية.

وفي الختام، لا أقول إني قد عُصمت من الزلل، ولكني أجهدت نفسي على قدر طاقتي لعلي أوفق للصواب، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه خطأ فمني، وأستغفر الله، فهو خير مسؤول وأكرم مأمول.

الفصل الأول

طبيعة حرب العصابات الشيشانية

قبل التطرق لمضامين الفصل، المتعلّق بطبيعة العصابات وحرب العصابات الشّيشانية، ولكون جغرافية وميدان القتال تعتبر محددات أساسية للتوجه القتالي، كان لزاما علينا التعرف على منشأ هذه الحرب، والطبيعة الإقليمية التي نشأت عليها المقاومة والمقاتلين الشّيشان، كقيمة جغرافية لها بعدها وأثرها في عمق الاستراتيجية والتكتيك القتالي الشّيشاني، والإسلامية الحضارية لدى سكان الإقليم برمّتهم:

أولاً: المجال الجيو-اجتماعي للشيشان

جمهورية الشّيشان تقع(*) في الأطراف الشرقية لمرتفعات شمال القوقاز، ويحد الجمهورية من الشرق والجنوب الشرقي جمهورية داغستان، ومن الجنوب جورجيا، ومن الغرب أوسيتيا الشمالية[1]. شيشانيًا هو الاسم الذي أطلقه الرّوس على المنطقة التي يحدّها نهر سولاك (Soulak). ومن الغرب نهر سوندجا الأعلى (Upper Soundja)، ومن الشمال نهر سوندجا

(*) انظر الشكل رقم (1).

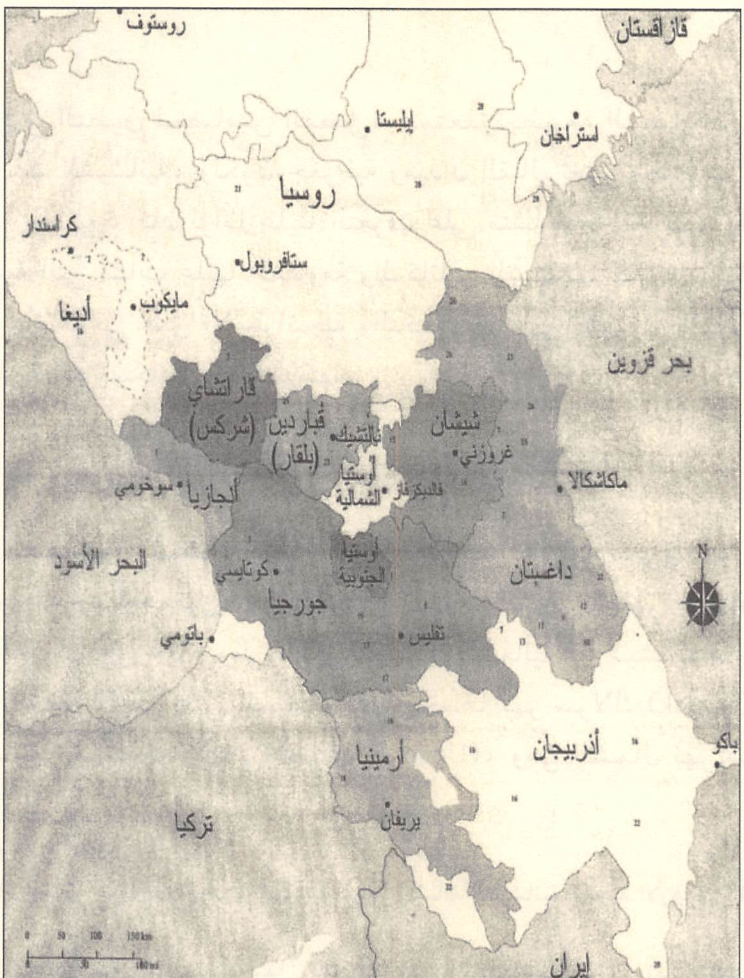
(1) محمد حرب، معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية، مجلة الأزهر، 1415 هـ، ص16.

عاصمتها جوهر غال، مساحتها: 19300 كلم2، كانت العاصمة غروزني سابقا، وتعني بالروسية (الرعب) وسميت منذ 1996م: مدينة جوهر أي الشهيد جوهر دوداييف، قائد ثورة الاستقلال التام عن روسيا. وعلى إثر تغيير دستوري أصبح الاسم الجديد هو إيشكيريا الشيشانية في يوم الأربعاء 25/ 03/ 1998م، ص98.

الأسفل، وتيرك (Terek)، ومن الجنوب تلامس حدودها المناطق الجبلية التي يقطنها العنديون والأفاريون، الداغستانيون والتوشيبتيون، وتتكون جمهورية الشّيشان من (12) مقاطعة و(4) مدن رئيسية، ومساحة البلاد هي 19,300 كيلومتر مربع[2].

الشكل رقم (1)

جمهوريات وأقاليم منطقة القوقاز



(2) محمد عوض الهزايمة: **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه السياسية المعاصرة**، ط1، الأردن: دار العمار، 1997، ص23.

وأما السكان، فالشّيشان من الشعوب القديمة التي سكنت القوقاز منذ آلاف السنين، ويشكّلون أحد الشعوب الأصلية لمدينة القوقاز، ويزيد عدد سكان الجمهورية على (1,3) مليون نسمة، وفي البلاد جماعات عرقية متعددة، منها الشّيشان والأنجوش، والداغستانيون والرّوس، وعناصر أخرى. والشّيشان يمثلون أعلى نسبة، تصل إلى (52,9%) تقريبا.

ويتكلم أهل البلاد اللغة الشّيشانية والأنجوشية والرّوسية. وتتميز الشّيشانية والأنجوشية بتعدد الألفاظ العربية فيهما، وحتى أواسط العشرينات كانت تكتب الشّيشانية بالحرف العربي، واستبدل في الفترة من عام (1928م- 1938) بالحرف اللاتيني ثم استخدمت الحروف الكيريلية الرّوسية.

والشّيشان مسلمون ويتبعون المذهب الشافعي، وتنتشر الحركات الصوفية بينهم، وأهمها الطريقة النقشبندية والقادرية[3].

ولقد كان أول احتكاك للمسلمين بمنطقة القوقاز في القرن السابع الميلادي، وقد كان انتشار الإسلام في شمال القوقاز[4] بطيئا، بسبب طبيعة البلاد الجبلية. وتعتبر بلاد الشّيشان بجبالها الوعرة وغاباتها الكثيفة من المناطق التي لم تخضع عبر التاريخ لأي فاتح أو غاز، بما فيها الفتوحات الإسلامية، وحتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي. وقد بقي الشّيشان بدون ديانة، وكان اعتناقهم للإسلام بدأ على يد الدعاة عبر (بخارى) و(داغستان) و(شيرفان) أو (شيراون)، وكان لكل من الطرق الصوفية النقشبندية والقادرية دورا كبيرا في نشر الإسلام في بلاد الشّيشان.

ومنذ اعتناق الشّيشان للإسلام، أصبحوا من أكثر شعوب القوقاز تمسكا بدينهم وتاريخ صراعهم مع القياصرة، وصراعهم الحالي مع الرّوس

---

(3) قاسم ملكي: نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية، مقال من كتاب: ندوة، " أحرار الشيشان والدب الروسي"، المركز العربي الدولي، 1995، ص.ص.، 196- 197.

(4) يضم شمال القوقاز الدول التالية: جمهورية الشيشان والأنجوش والداغستان والكبارد- البكارو الأديحة وقرشاي -الشركس- انظر: مصطفى دسوقي كسبة، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة 1415، ص18.

يؤكد تمسكهم بالدين الإسلامي، فلا القياصرة استطاعوا تنحيتهم ولا الشيوعيون نجحوا في إبعادهم عن دينهم.

هذا الإقليم المنتمي طوبوغرافياً لسلسلة من الجبال الشاهقة القوقازية، الممتدة من الغرب إلى الشرق بين البحر الأسود وبحر قزوين، تخترقها ممرات ضيقة على السواحل: شمالها وِديان جورجيا وأذربيجان، ويعقبها سلسلة أخرى من الجبال.

وتضم هناك عشرات الأقوام الذين يحرصون على الحفاظ على تقاليدهم ولغاتهم في المنطقة، وقد شقّ الرّوس طريقهم بين تلك الأقوام كلها حتى اصطدموا بالترك والفرس الذين كانوا يحتوون بدورهم على خليطٍ من الأقوام على جهاتهم من الجبال. وكان الشّيشان أصعب تلك القوميات على الإخضاع والقهر، في شمال القوقاز هم شعب تركي مسلم، يقطنون في الوسط بين داغستان إلى الشرق منهم، وبين أنجوشيا وأوسيتيا إلى الغرب.

وموقع الشّيشان هذا، يضعها في رواق المعادلات الجيواستراتيجية الهامّة والصعّبة في آن واحد لدى روسيا(5)، إذ تشكل "جمهورية الشّيشان" بإقليمها ما يمكن اعتباره "منطقة رخوة" في المنظومة القتالية، بحكم تمرّدها الطبيعي عن باقي الجمهوريات التي كانت تابعة للإتحاد السوفيتي سابقا، والمحاولة مرارا الخروج عن نطاق الجغرافيا السياسية والعسكرية التي أرادتها وتريدها سياسة النفوذ والسيطرة الرّوسية(6).

فإقليم الشّيشان، هي منطقة جبلية عظيمة الامتداد(*)، كثيرة الارتفاع

---

(5) وتسمى حاليا ب"الاتحاد الروسي" وهي كومنولث الدول المستقلة (الاتحاد السوفياتي السابق) تبلغ مساحتها 4778005 كلم2 ويبلغ عدد سكانها 149 مليون نسمة (81، 5% منهم روس) ويتكون الاتحاد الروسي ممّا يزيد عن مائة عرقية مختلفة، وهو مقسم إلى 21 جمهورية و89 منطقة ذات استقلال ذاتي. الدخل القومي فيها يصل إلى: 2240 دولار للفرد للمزيد انظر: د محمد صادق صبور: النقاط الساخنة في أوربا وأمريكا اللاتينية، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، مصر: الجيزة، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، 2002م، ص69.

(6) Yves Thoraval: *Dictionnaire de Civilisation Musulmane*, Larousse, 1995, p65.

(*) انظر الشكل رقم (2).

وصعبة الاجتياز تُسّهل عملية انتقال وحدات المشاة الراجلة والعصابات القتالية الكمينية أو المتمركزة، في مقابل صعوبة أو أحيانا استحالة اختراق الوحدات الميكانيكية والآلات الحربية أو قوات المشاة المدرعة لهذا الحاجز الطبيعي، الممتد على بسطة 1200 كلم^2 لتصل المنطقة بين البحرين الأسود والخزر، حيث تعتبر أعلى جبال أوربا، فهي بذلك تشكل الحد الفاصل بين أوربا وآسيا.

الشكل رقم (2)
منطقة (القفقاز) القوقاز



ولقد غزا المنطقة الأشوريون والصينيون والكلدانيون والمصريون، وخضعت لنفوذ بيزنطة في القرن الثالث الميلادي، وكانتا دولتا الفرس والرّوم تتناوبان السيطرة على جنوب وشمال القوقاز الذي تنتمي إليه جمهورية الشّيشان. لأهمية موقع المنطقة ولكونها تشكل عمقا جيواستراتيجي بيد أنها تقع بين بحر قزوين في الشرق والبحر الأسود في الغرب، يشكل الأهالي والمزارعين 70% من سكان سلسلة الجبال العظيمة والتي تسمى جبال القوقاز، سكان المناطق الجبلية هم قوم معتزون بشيمهم القوقازي، زيهم التقليدي وانتمائهم إلى أرضهم، وحبهم الشديد للإسلام، لكن وقوعهم تحت الاحتلال أكثر من أربعة قرون، أبعدهم كثيرا عن الإسلام، في الوقت الذي نفّذ فيه المحتّلون الرّوس في العهد القيصري والعهد الشيوعي جرائم لمسخ هويتهم وتذويبها، وزرع العادات والأخلاق الذميمة في الشباب ومحاولة تفتيت وحدتها الدينية بينهم، مستغلين تعددهم العرقي الذي يصل إلى 70 قومية أشبه بالقبائل.

فطبوغرافيا الإقليم، تجعل منه "قلب القتالية بالقوقاز" فهي تمتد إلى الشمال، على الجبال شبه القارية لأعالي نوغايك (Nogaîque) إلى جانب كون هنالك غابات واسعة كثيفة ممتدة على ضفاف نهر تيريك (Terek) وسونجا (Sunja) الواقعة بقوقازيا الشرقية، والتي تحتل مركز الإقليم الشّيشاني. أما من الجنوب، فتحدها السلسلة الجبلية القوقازية المشكلة لمنطقة جبلية عالية معروفة بالبرودة الشديدة (منطقة ثلجية). والنقطة الهامة لشيشينيا هي مرتفعات تيبيلوس-متا (Tbulos-mta) والتي يقدر علوها ب: 4494 م[7]. إلى جانب كون 20% من غابات الإقليم قصيرة وبالتالي هذه الميزة الطبيعية تجعل من الإقليم حصنا يفسر عمليات دحض تكالب الحملات الاستعمارية عليها منذ القِدَم: منها غزوات أتراك إتشكيريا (Turcs

(7) كلوس كريزر، فارنرديم، وهانس جورج ماير: معجم العالمي الإسلامي، ترجمة: الدكتور ج. كتورة، الطبعة الثانية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998م، ص339.

(de l'itchkérie للأقاليم الشّيشانية الشرقية، وهي أراضي داخلية لها عمقها الحربي، حيث تتيح للغزاة فرصة المراقبة والتحكم في جميع الشعوب التي تعيش على حافتي جبال القوقاز[8]. والأمر الآخر الذي أثار اهتمام الحملات الاستعمارية بالمنطقة هي: كون هذه الأخيرة، تسمح لها برفع مستوى التبادلات التجارية بصورة ضخمة ورفيعة، حيث لا تكتفي بإقامة علاقات تجارية مع جيرانها، بل تمتد إلى دول الجنوب كجورجيا، أذربيجان، تركيا وحتى دولا من أوربا.

ومن المعروف أن الشّيشان قد أقاموا علاقات تجارية جيدة مع الأوربيون. فهذه الجمهورية القوقازية كانت تحظى بقيمة اقتصادية، بيد امتلاكها لأسواق استهلاكية وإنتاجية عديدة. كل هذا الميزان الرفيع لتوازن المنطقة جُعل شيئا فشيئا تحت وقع الشّعار الهدّام لسياسة "فرّق تسد"، وضع ثروة الإقليم تحت جحيم دموي لم تخرج منه المنطقة لحدّ الآن.

فالمسألة تنعقد باختصار في أن تلازم مصطلحي الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكا) والجغرافيا الاستراتيجية (الجيواستراتيجيا) هو الذي يعيّن الاستقرار السيّاسي عموما، واستمرارية أداء اللعبة السياسية بالقوقاز، وفق قواعد السياسة الناظمة:

المقصود هنا بدقّة، هو أنّ الجغرافيا السياسية، يجب أن تتزامن وتتساوق مع الجغرافيا الاستراتيجية، وهو ما يبدو آنذاك غير متوافر على الإطلاق في معادلة السياسة في المنطقة.

فالرّوس باتوا جزءا من الجغرافيا السياسية (أصبحوا جيرانا لجمهوريات القوقاز)، دون أن تكون هذه الجيرة أكثر من إخلال بالجغرافيا الاستراتيجية. ذلك أن الأرض ليست أرضهم والموارد ليست مواردهم، وكل ما هنالك أنهم يديرون الأرض والموارد ويريدون أن يكونوا جزءا من

---

(8) الدكتور حسان حلاق: مدن وشعوب إسلامية (ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري)، الكتاب الثالث، بيروت: دار الراتب الجامعية- سوفتير، بدون تاريخ، ص334.

الجغرافيا الاستراتيجية بالتدخل في شؤون الأراضي القوقازية ورسم سياستها ووسائلها[9].

المشكلة تتمثل بأن كل وافد على الجغرافيا الاستراتيجية صحيح أنه يستطيع أن يدير الأرض والموارد مهما كانت الصعوبات، لكن البشر والتاريخ (نعني الثقل الإيديولوجي وثقل المعطيات والموروث التاريخي للبشر)، أمر لا يمكن إدارته وهو الجزء الأكثر أهمية في تلك المعادلة التي عرف التتار كيفية التعامل معها، عندما صاغوا معادلة أن الجغرافيا البشرية للشيشان تغدو أكثر وأكثر كجغرافية الإنسان. بمعنى التمييز بين العوامل الثابتة والعوامل المتغيرة. ويترافق مع ذلك أهمية المدى الذي يسكنه البشر، أي المكان وهو ما عرف مسايرته القائد التتاري "غازان" (Ghazan)[10].

فإذا كان ثقل تاريخ البشر (بما فيه التاريخ الإيديولوجي للبشر) يفرض نفسه بشدة في المعادلة الجيوستراتيجية، فإن ثقل المكان يفرض نفسه بنفس الشدة في تلك المعادلة، ذلك أن تغيير الأقاليم ليس ممكنا أو قابلا لأن يكون مثمراً لصالح طرف واحد على حساب الأطراف الأخرى، لهذا السبب بالذات.

فالشّيشاني على إسلامه، في حقيقة الأمر، من الرّعاة البدو، الرجل المنظّم على شكل جماعات (عصب)، فهم من أصل قبائل "أوتوشتون" (Autochtones) طُردوا إلى الجبال من طرف الألينس (Les Alains) وبعد تحطيم إمبراطورية هذه الأخيرة من قبل التتّار أعلنوا ولاءهم للـ"كاباراد" (Kabarades). ثم أصبحوا مستقلين إثر ذلك ليتموقعوا بأعداد كبيرة في المرتفعات[11]. فلقد أصبحوا يعدّون أنفسهم جنود الله وحماة الإسلام

(9) Serge Cordellier: *Le dictionnaire historique et géopolitique du 20ème siècle*, Paris: Editions la découverte et Syros, 2000, p666.

(10) وهو قائد تتاري أسلم على إثر الفتوحات الإسلامية بمنطقة القوقاز، ليتحول إثرها إلى قائد إسلامي رفع السيف في بطولات للذود عن الإسلام، مازالت مدينة أسترحان" تحتفظ بشواهده وسيفه المدجّج.

(11) عدد سكان شيشينيا حسب إحصاء أجري في نهاية عام 1991م هو حوالي مليون ونصف مليون شيشاني 73% منهم يقطنون بمناطق وقرى جبلية كدبيورت وقدرميس.

بانتمائهم إلى النهج السنّي، فهم سكان متميزون عن غيرهم من القوقازيين بإيمانهم القوي، حنكتهم وصلابتهم وروح المقاومة والاستماتة في القتال.فداخل حدود جمهورية الشّيشان يعيش مليون شيشاني، إضافة إلى 300 ألف روسي و100 ألف من الشعوب الدّاغستانية و14 ألف أرميني و12 ألف أوكراني و5000 تتاري و5000 انجوشي، ومعظم هؤلاء كان الرّوس قد هجّروهم عنوّة عام 1988م، من آسيا الوسطى.

كما أن هناك شيشانيين يتوزعون على البلاد المجاورة مثل داغستان والأنجوش وكازاخستان، تركيا وسوريا والأردن وكذلك بعض البلدان الأوربية.

فشعب الشّيشان إذاً هو من الشعوب القديمة في العالم، ويتألف منذ القدم من مجموعة من القبائل(12)، وهي ذات صلة رحم وخصال مشتركة، وتنقسم العشائر الشّيشانية إلى قسمين:

- العشائر الأصلية في المنطقة: والتي قَدمت من الجنوب وتوجّهت نحو الشمال وانتشرت في أرض الشّيشان في أزمنة قديمة.
- وعشائر مختلطة: وهي تلك العشائر التي تشكلّت من اختلاط وتمازج بين العشائر وبعضها البعض إبّان اختلاط العشائر الشّيشانية بالبولونديين والأكرانيين في معسكرات الإبعاد الجماعية (1944-1957)، حيث اختلطت العشائر الشّيشانية بالألمان وشكلّت عشيرة جديدة.

فإقليم الشّيشان يقع في قوس الأزمة المحيطة بأوراسيا من الجنوب، أي العالم العربي والإسلامي، فهي "الهلال الدّاخلي" حسب وصف علماء الجغرافيا السياسية "إن الرّوس معنيون بتطوير صناعة النفط والتقنية الغربية أكثر من قضية أيديولوجية أو توسعية ويمكن أن يضحّوا بالكثير من أجل الحصول على هذا الهدف، وسيحكم على تطلعاتهم بالتوجه إلى الغرب، وربّما يفسّر هذا التّفكير، العزوف الرّوسي عن العالم الإسلامي الممزوج

(12) الدكتور حسان حلاق، مرجع سابق، ص330.

أيضا بالشّعور بالمرارة، وربّما بعدم الاحترام"[13].

فموقعها داخل القوس عُزّز ودُعّم بتخلّص الشعب الشّيشاني مثله مثل باقي الشّعوب القوقازية[14] من المسيحية التي كانت قد اختلطت بالأديان القديمة ذات الآلهة المتعددة، ليتشرف باعتناقه الدّين الإسلامي دين الفطرة.

فلقد عاش الشّيشان المنتمون إلى مجموعات عرقية مختلفة تحت راية واحدة هي راية الأخوّة التي ضمّت شملهم تحت شعار الإسلام، كون مع دخول الإسلام إلى المنطقة اكتسبت الجغرافيا الإسلامية دولة ذات أهمية كبيرة سواء من الناحية الجغرافية السياسية أو الاستراتيجية، وأكسب للشّيشاني مزيدا من القوّة وزاد من حدّة مقاومته في الجهاد[15] وقع حائلا دون تقهقر العالم الإسلامي من جهة الشمال، في ثورة[16] أقل ما يمكن قوله أنها تكريس محضّ للعقيدة القتالية الإسلامية، في مضمون عقائدي تكتيكي كُرّس في أهم مراحل مقاومة الإقليم للاجتياح الرّوسي.

---

(13) - Tamerlan Soultanov: *The Chechen Times*, 2005, p12.

(14) أو القفقاسية (وهو مصطلح عربي).

(15) ويُقصد بها: الحروب وأنواع المقاومة. لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله. وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبية. فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع. كانت الحرب، وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل. وسبب هذا الانتقام في الأكثر: إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ودينه وإما غضب للملك وسعي في تمهيده. والثالث منها، هو ما يسمى في الشريعة بالجهاد، مختلف عن باقي الحروب التي هدفها يكون البغي والفتنة بل هو حرب جهاد وعدل. انظر: الدكتور رفيق العجم: موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي، الطبعة الأولى، الطبعة الألفية، مكتبة لبنان ناشرون، ص. ص255-256.

(16) الثورة يقصد بها حالة ثورة لتدارك تأخر تاريخي النظرية سابقة للوضعية الملائمة لها، تكون صورة المجتمع الذي يهدف إليه الثائرون، موجودة في أذهانهم وتخيلاتهم قبل أن تتموضع، والمنظّر هو الذي يملي على السيّاسي، فالعقيدة إذن ضرورية، تنتج أولا عن كون مضمون الثورة هو إعادة ما وقع فعلا في زمن ماض بكيفية تدريجية، (تحصيل الحاصل). وثانيا عن كونها مفروضة من فوق.

وهناك ارتباط منطقي وثيق، لا مفر منه، بين العقائدية والتصميم أو التخطيط. انظر: الدكتور. رفيق العجم، نفس المرجع، ص266.

ثانياً: نشأة وتطور حرب العصابات الشّيشانية

قرب نهاية عام 1994م، عندما ثبّت يلتسين (B. Eltsine) مركزَه في روسيا[17]، بدأ يدرك خطورة السّماح للجمهوريات الإسلامية في الاتحاد الرّوسي بالانفصال. كادت تاتارستان - الواقعة على نهر الفولجا- أن تعلن استقلالها، ولكنّها قبلت بحكم ذاتي الذي طالبت به جميع الجمهوريات الأخرى داخل الاتحاد الرّوسي، ولم يكن أحد يدري ماذا يقود إليه كل هذا التفكك المنتظر. كان هناك انفراط في العقد وفقد للسيطرة على الحكم في موسكو نفسها، وسادت الجريمة في البلاد، وكانت عصابات الشّيشانيين من وراء انتشار الجرائم في كل الاتحاد الرّوسي، وتولّت جميع أنواع تهريب البضائع والأسلحة، وصارت جمهورية الشّيشان المستقلّة وراء كل هذا الإجرام -حسب مزاعم روسيّة-.

لم يكن هذا هو السبب الذي دعا يلتسين أن يأمر مدرّعاته ودبّاباته لدخول جمهورية الشّيشان، ولكن كانت هذه هي العلّة الرئيسية التي جاهر بها، دفعته الوطنية القديمة إلى مهاجمة الجمهورية الوليدة، وكان تخوفه من كافة القوميات التي يتكوّن منها الاتحاد الرّوسي أن تحاول أن تحذو حذو ليتوانيا وجمّهوريات آسيا الوسطى وأوكرانيا وتعلن استقلالها عن روسيا. حمّسه لاتخاذ هذا القرار قادة القوات المسلحة والوطنيون من خاصّته، خاصّة وزير دفاعه "يافل جراتشيف" (Yafel Gratchev)[18] والذي أقنعه أن كتيبة واحدة من المشاة الراكبين تستطيع إعادة غروزني في ساعتين اثنتين، صدّقه يلتسين وأمر الجيش الرّوسي بالتقدم لاستعادة غروزني -بدون أية

---

(17) تنتاب روسيا الحديثة، على شكل مستمر مزعج، تاريخها الفظيع من قبل حماقات لينين وستالين. أولى الحروب- وأولى الهزائم- التي حدثت بعد تفكك الإتحاد السوفيتي- كانت في الشيشان، ويرجع أصلها إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عندما هزمت الإمبراطورية الروسية القوقاز، وقد سجلت تفاصيل حرب الشيشان التي استمرت لأربعين عاما في الرواية الأدبية الرائعة التي خلدّها تولستوي Tolstoï باسم "الحاج مراد".

(18) لقد سبق وأن هاجم بدباباته البرلمان الرّوسي عندما حاول الشيوعيون القيام بانقلاب ضد يلتسين في أكتوبر 1993م.

استعدادات- في 11 ديسمبر 1994م. كانت تلك الحملة كارثة كبيرة على روسيا من بدايتها إلى نهايتها. كان الشّيشان يستعدّون منذ سنوات ثلاث بعكس الرّوس - وكانوا شديدي التسليح. هاجمت ثلاثة طوابير روسية مدينة غروزني وتم إيقافها جميعا، وفُقد عما يزيد عن 200 مقاتل من الرّوس في الجولة الأولى للقتال.

واصطاد الرّماة الشّيشان قوات المشاة الرّوس لدى محاولتهم دخول المدينة في ليلة رأس السنة الميلادية، وتمت هزيمتهم للمرة الثانية، ثم أحيط بقواتهم وتمّت إبادتها.

لجأ الرّوس إلى الهجوم الجوّي وبدأوا يقصفون غروزني بالقنابل. حشد المدنيون- وغالبيتهم من كبار السنّ الرّوس في البدرومات بدون وسائل تدفئة أو إضاءة أو مياه، وأقل القليل من الطعام، وكان هذا مشهدا يعيد للأذهان ويلات الحرب العالمية الثانية في أوربا. ركز الشّيشان دفاعاتهم على مبنى البرلمان واستّمروا يقاومون -ضد القوة الرّوسية- لمدة خمسة أسابيع.

تدفقت القوات الرّوسية والمصفّحات والدّبابات إلى المدينة وأخيرا استولوا على البرلمان يوم 19 جانفي 1995م. استمرت مقاومة الشّيشان في ضواحي المدينة لشهرين آخرين- حتى تم انسحابهم في مارس-[19]. غادر غالبية الشّيشان المدينة ومعظم من بقي فيها كانوا من الرّوس الذين بلغت معاناتهم القمة. صارت غروزني تشابه برلين في عام 1945م. استمر الرّوس في قذف سائر المدن وقرى الشّيشان بالقنابل وادّعوا أنهم أحرزوا النّصر أخيراً في أواخر الرّبيع (مع الاحتفال الخمسين بانتهاء الحرب العالمية الثانية في جوان). أعلن الرّوس استيلائهم (على قرية شاتوي) على سفوح تلال القوقاز، ومركز المقاومة الشّيشانية في 13 جويلية[20].

---

(19) يقدّر عدد القتلى في تلك المعارك ما بين 20 ألف إلى 30 ألف نسمة، من بينهم 1400 مقاتل من الروس ومثلهم من الشيشان. عرف فيما بعد أن عدد القتلى من الروس بلغ حوالي خمسة آلاف. انظر كتاب: Isabelle Facom: *«La seconde guerre de Tchétchène - Les aspects politico-militaires»*, France: Strasbourg, I.E.P, 2001, p134.

(20) د. محمد صادق صبور، مرجع سابق، ص60.

في اليوم التّالي مباشرة، عبرت قوة شيشانية -قِوامها 200 مقاتل- تحت قيادة شامل باسييف الحدود، واستولوا على (مدينة بوديونوفسك Bodionovsk) التي تقع داخل روسيا نفسها بحوالي 70 كيلومتر. جمع الشّيشان الأسرى الذين تمّ اعتقالهم - وعددهم 2000 أسير- ولم يتمّكن الجيش الرّوسي من اختراق دفاعات الشّيشان. اضطّر حينها رئيس وزراء روسيا -آنذاك- فيكتور تشيرنوميردين للسّفر إلى (مدينة بودونوفيسك) للتّفاوض مع الشّيشان والسّماح للفدائيين بمغادرة المدينة سالمين يوم 19 جويلية 1995 نظير الإفراج عن الرّهائن. أفرج الشّيشان عن معظم الرهائن ولكنّهم احتفظوا بمائة وخمسين فردا أخذوهم معهم أثناء عودتهم لبلادهم في موكب انتصار. قَبِل الشّيشان وقف إطلاق النار يوم 30 جويلية، وكان هذا معناه إيقاف لكل العمليات العسكرية المنّظمة ولكنّه يعني أيضا بدء حرب العصابات:

وتجدر الإشارة إلى أن ظهور حرب العصابات الشّيشانية مقرون بالحرب الشّيشانوروسية الثانية الممتدة من (1999م لأيّامنا هذه) وتأتي كمحصّلة للتحوّل في الاستراتيجية والسيّاسة الرّوسيّة، وظهور قيادات ميدانية جديدة في المقاومة العسكرية الشّيشانية، فتفجير الصراع للمرة الثانية، يأتي في المقام الأوّل كنتيجة من نتائج حرب شمال القوقاز الأولى التي تفجرت فيما بين عامي (1994م و1996م)، فهذه الحرب التي أزهقت أرواح من 50 إلى 80 ألف مدني، قد انتهت باتّفاق تمّ التّوقيع عليه في أوت 1996 يقضي بتحديد نهاية عام 2001م كآخر موعد للتوّصل إلى الوضع المستقبلي لما ستكون عليه العلاقة بين روسيا والشّيشان. وهنا تكمُن الإشكالية المستترة والتي حكمت تصوّرات وتصرّفات الطّرفين منذ أوت 1996م وحتى تفجر الصراع في 14 أوت 1999. والتّي تتمثل في تفسير كلا الطرفين للاتفاق بأنه يعني نصرا له، فالشّيشان اعتبروه تكريسا لقرارهم بالاستقلال والذي أعلنه رئيسهم السابق دوداييف في أكتوبر 1991، وأضفى عليه الشرعية بالقرار الصادر عن البرلمان الشّيشاني في مارس 1992م. أمّا الرّوس فقد اعتبروا الاتّفاق تكريسا لشرعية سيطرتهم على المنطقة الجنوبية للإتحاد الرّوسي[21].

(21) تجدر الإشارة إلى أن التاريخ الحديث والمعاصر يحمل في صفحات يومياته =

فلقد سبق الاجتياح الرّوسي الثاني توترات حدودية بين داغستان وروسيا والشّيشان تلاها محاولات شيشانية للسيطرة على المناطق والقرى الداغستانية الواقعة قرب الشريط الحدودي بين البلدين، ثم جاء الردّ الرّوسي لدرء الخطر عن داغستان والذي تزامن مع تفجيرات عديدة شهدتها موسكو وداغستان. وهي التفجيرات التي حملّت روسيا مسؤوليتها للشيشان، واتخذتها كذريعة منطقية لبدء الاجتياح الثاني على جمهورية الشّيشان.

ففي مقال له نُشر بدورية أخبار الدراسات الدينية (Religious Studies News) إبّان الحملة العسكرية الرّوسية في 1995، يقول (ديفيد دارميل David Darmyl) الأستاذ بقسم الدراسات الدينية بجامعة أريزونا- بعد أن استعرض تاريخ الصّراع الرّوسي الشّيشاني: "لن يفلح يلتسين في سياسة القصر والإبادة فقد فشل من سبقوه، فكلما واجه الشّيشانيون عدواً مشتركا زادت وحدتهم، وتعضدت أخوتهم الروحية"[22].

= إشارات عديدة على استمرار وتواصل الخلاف الروسي- الشيشاني حول السيّادة في منطقة شمال القوقاز. ولعل ذلك ما تؤكده أحداث 1864 و1877، حيث قامت القوات الروسية بالرّد بحروب دموية على المحاولات الشيشانية للمطالبة بالحرية والاستقلال. وقد استغل الشيشان انشغال الروس وانغماسهم في الحرب العالمية الأولى، فأعلنوا في 11 جوان 1918 عن تشكيل جمهورية اتحاد شمال القوقاز، وهي الجمهورية التي اعترفت بها كل من ألمانيا والإمبراطورية العثمانية والنّمسا وبلغاريا وروسيا البلشفية. غير أن روسيا البلشفية قامت عام 1922 بغزو جمهورية اتحاد شمال القوقاز، وذلك في خطوة عكسية تماما لخطوة الاعتراف التي سبق وأن أقدمت عليها. وقد شهد عاما 1929 و1940 محاولات شيشانية لمقاومة النظام الشيوعي الروسي. وفي 23 فيفري 1944، أصدر الرئيس السوفيتي ستالين أوامره بنفي الشعب الشيشاني كله إلى سيبيريا، وهو الأمر الذي استمر ثلاثة عشر عاما حتى عام 1957 عندما أصدر الرئيس السوفييتي خروتشوف أوامره بإعادة الشيشان إلى ديارهم وأراضيهم.

وطوال فترة السبعينات والثمانينات، تعاملت السلطات السوفيتية مع غروزني كمنطقة غير آمنة وغير مستقرة، ومع الضعف الذي اعترى الإتحاد السوفيتي، تمّ إعلان الشيشان عن استقلالهم في أكتوبر 1991.انطلاقا من ذلك، رفض قادة الشيشان إمضاء وثيقة الإتحاد الروسي، الذي ورث الإتحاد السوفييتي والتي تم التوصل إليها في مارس 1992 أيضا، ومن ثم رفضوا الانضمام إليه. ثم كان الاجتياح الروسي الأول لشمال القوقاز الذي بدأ في ديسمبر 1994م وانتهى في أوت 1996، باتفاق تمّ التوقيع عليه بين الطرفين- كما سبقت الإشارة- وذلك قبل أن يبدأ الاجتياح الثاني لشمال القوقاز في أوت 1999.

(22) James Town: *Les forces fédérales russes restent incapables d'émerger dans le bourbier Tchétchène*, Défense Foundation, Mai 2002, p109.

والحقيقة أن يلتسين ليس أوّل من يستخدم هذه الطريقة، فالحرب هذه ممتدة منذ عصر القياصرة في العقد الأخير من القرن الثامن عشر (1789م) حين أُجتيحت أرض الشّيشان، وضُمّت عنوة إلى أراضي القيصرية الرّوسية على يد "كاترين الكبير" في معركة طاحنة عند نهر "السونجا" وكان قائد الشّيشانيين يومئذ هو الشيخ "منصور أوشورما"[(23)] الذي أعلن الجهاد، وقام بتوحيد أكثر من ثلاثين عرقا في القوقاز تحت شعار الإسلام.

ولكن الحرب الدائرة منذ 1999 حتى اليوم هي من نوع آخر وهي حرب عصابات التي وصلت إلى حد زرع الذعر في نفوس كبار القادة لروسيا تجاه الشّيشانيين.

فالرّوس على يد "بوتين" يعلمون أن الشّيشانيين لم ولن يستسلموا حتى وإن انتهت الحرب لغير صالحهم، فهم كما قال أحد الأسرى البولنديين الذّين عاصروا محنة إبعاد الشّيشانيين إلى سيبيريا في 1944: "شعب قد يُهزم ولكنه لا يستسلم"[(24)]، فإذا كان الأمر بهذا الوضوح فلماذا تخوض روسيا الحملة العسكرية الثانية بأثقال مالية ضخمة، وعدم استقرار سياسي واضح، وصراع بين الساسة والجنرالات؟

فالحرب روسيّا على جبهتها العسكرية، هي ثأرية نتيجة هزيمة الرّوس في الحرب الشّيشانية الأولى في 1994، إضافة إلى ذلك، الحالة المعنوية التي يعاني منها الجنود الرّوس واضطرار روسيا إلى الاستعانة بالقوات الخاصة، والضربات الجوية من أجل الحفاظ على تفوقها العسكري. فعدم وضوح الأهداف العسكرية الرّوسية بيد أنه ليس هناك حرب إلى ما لا نهاية أو بدون أهداف، أو قضاءً على الإرهاب كهدف عسكري واضح، بل هو هدف سياسي تسعى الدول إلى تحقيقه عبر وسائل المقاومة أو الاحتواء

---

(23) يعتبر الإمام منصور مؤسس أول إتحاد وطني في القوقاز. كما أنه قد جاهد لتأسيس دولة إسلامية. الاسم الأصلي لهذا القائد الشّيشاني الذي أسسّ فكره على مفاهيم المريدية و"الغزوات" هو "أوشورما".

(24) Alain Barnier et Xavier Ranfer: *La guerre ne fait que commencer*, Paris: J.C, lattes, 2002, p89.

وليس الحرب، فالحرب ضدّ الإرهاب في العديد من الدول لم تدفع إلى قيام حرب، بل إلى القيام بإجراءات قد تكون الأمنية وليست العسكرية إحداها.

فخلافة بوتين ليلتسين أصبحت حديث الحرب وليس الانتصارات العسكرية، ومعناه تحول قيادة ساحة العمليات من القادة الميدانيين للجيش الرّوسي، إلى فروع المخابرات السوفيتية سابقا (K.G.B) تحت استعار الحرب والجنود الرّوس يفشلون في اقتحام غروزني، مع طول فترة الحرب رغم سيطرة الرّوس على أكثر من ثلثي الشّيشان، معنى ذلك أنّ تغيير أنماط القيادة والخطط الرّوسية، يقابله تغيير في أنماط الحرب لدى الشّيشان، ذلك أنّ الحرب التي ينتظر البعض إنهاؤها بمجرد اقتحام غروزني هي حرب غير موجودة، لأنّ الحرب الحقيقيّة هي تلك التي قد تبدأ بعد اقتحام غروزني بمعنى حرب العصابات التي يجيدها الشّيشانيون، وظهور هذا النّمط من الحروب يرجع لعوامل عديدة، تدعّم من نفاذّية وفاعلية الحرب، ومنها[25]:

1 - الطّبيعة الجبليّة لمنطقة جنوب القوقاز والمحاذية لجورجيا، والتي رفضت التّعاون مع الرّوس في مواجهة الشّيشانيين بحجة مواجهة الإرهاب، كما ترفض إنزال قوات روسية على أرضها لاستكمال الحصار حول الشّيشان من جهة الجنوب، واستراتيجيا هي المنطقة الوحيدة التّي لم ولن تسيطر عليها روسيا إلّا بالتعّاون مع جورجيا.

2 - الخطّة العسكريّة الرّوسيّة التّي وُضعت في أوائل شهر سبتمبر 1999[*]، والقائمة على إنشاء منطقة عازلة في الشّمال السهلي للشّيشان، وإقامة حكومة موالية تتوّلى شؤون الحرب ضدّ الشّيشانيين دون كلفة بشرية روسية، وبالفعل فحتى آخر سبتمبر وصل قرابة 50 ألف جندي إلى منطقة الشّمال حتى حدود نهر التيريك، وفي نهاية أكتوبر وصل العدد إلى مائة ألف، ورغم هذا العدد إلّا أنّ حكومة موالية لروسيا لم تظهر إلى النّور. وهو

---

(25) Ibid, p69.

(*) انظر الشكل رقم (3).

ما يعني اعتماد الرّوس على أنفسهم، وفشلهم في خلق حالة انقسام شيشانيّة رغم ما يبدو من انتصار مرحليّ.

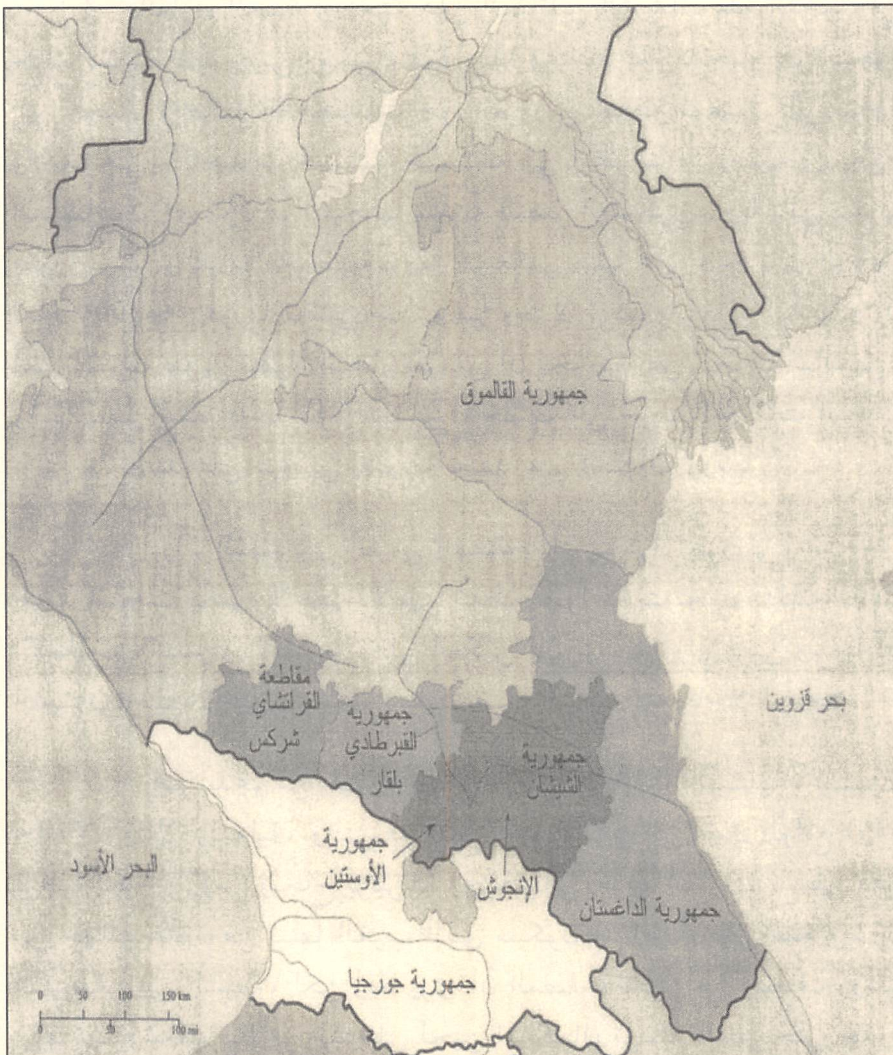
3 - الفارق العسكري يُحتّم على المقاتلين الشّيشان عدم الدّخول في حرب نظاميّة ضد جيش روسي متفوّق عدّة وعددا، لذا فالخيار هو اللّجوء إلى الجبال وإحكام التّحصينات حول غروزني بهدف الوصول إلى نتيجة واحدة هي: "إحداث خسائر جسيمة في القّوات الرّوسيّة وإن هُزم الشّيشانيون" ويكون من نتيجتها تشويه النّصر العسكري، وبالتالي تشويه صورة بوتين والقيادة العسكرية، ممّا سينعكس سلبا على انتخابات الرئاسة لعام 2000م، وهو ما تخشى منه روسيا وما لا تريده بالفعل، لذا يبدو أنّ أمد الحرب طويل بطول انتظار الرّوس أن يخرجوا من الحرب سالمين، وربمّا يقصر أمده إذا ما غير الشّيشانيون خطّتهم إلى حرب العصابات البحتة، والتّي لا تعتمد على غروزني بقدر ما تعتمد على استنزاف روسيا[26].

4 - إدراك الشّيشانيين أنّه من المصلحة أن يتركوا "غروزني" من أجل حشد الشّعب بأسره لاحقا، لأنهّم آنذاك كانوا لا يتمتعون بذلك الدعم المطلوب لاستمرار المقاومة وعلى العكس فإن ترك غروزني يعني رسمياً أنّ الشّيشان تحت الاحتلال، وهذا سيثير غضب الشعب كلّه عاجلا أم آجلا.

5 - وممّا يدعّم من ظهور ونجاح حرب العصابات الشّيشانية، استمرار حالة اللّامبالاة الدّوليّة، والتي قد تدفع بالشّيشانيين إلى قبول الواقع (وهو فرضية نجاح الرّوس ونجاح بوتين)، وجرّهم إلى حرب استنزاف ستلقى دعم من جهات عدّة، من بينها الغرب الذّي سيكون قد اطمأنّ إلى عدم وصول الشّيوعيّين إلى السّلطة، لكن ربمّا يرى أنّ المصلحة تكمن في إضعاف روسيا وإنهاكها وشغلها بالأمر الداخلي لحين استكمال توسيع الناتو حتّى حدود روسيا (جورجيا- أرمينيا).

(26) فالوضع الاقتصادي في روسيا يحتاج إلى 6 مليارات دولار، وهو القسط الأخير من قرض صندوق النّقد الدّولي (قيمة القرض 10,5 مليار دولار)، وهذا القسط هامّ وحيويّ لميزانية عام 2000، والتي أقرّها الدّوما في 30 نوفمبر 1999م.

الشكل رقم (3)
الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي
في شمال القفقاس سنة 1958م



6 - ضف إلى ذلك، تنامي التّنديد بهذه الحرب في أوربا، نظرا لعدم الحسم من ناحية ولأوضاع اللاجئين من ناحية أخرى. وفي العالم العربي والإسلامي، نظرا للمهانة التي يتعرّض لها المسلمون في العالم، ممّا قد يعني أنّ الأمور قد تسير لصالح الشّيشانيين على المدى البعيد.

7 - قرار مجلس الشّورى الشّيشاني وتحويل القيادة الميّدانية إلى كلّ من خطّاب وأبو الوليد، وبهذا لن تتغيب حرب العصابات الشّيشانية فترة وجيزة عن الأحداث، حتى تعلن عن ميلادها لروسيا بطريقة مدهشة على المسرح السيّاسي، على إثر عملية اقتحام مسرح في موسكو من طرف "مقاتلين بقيادة موسى برايف" أثناء وجود أكثر من ألف وثلاثمائة من الحضور، مطلقين سراح المسلمين والأطفال ومَن لم يكن روسيّا، في حين تبقّى أكثر من 850 روسي قيد الاعتقال. وأكّد قائد المجموعة موسى برايف على الشّرط الأساسيّ لإنهاء العمليّة، وهو خروج القوّات الرّوسيّة من الشّيشان.

ولا يمكن لموسكو أن تزعم أنها لم تعلم بالتّغييرات التّي طرأت على تكتيكات القتال الشّيشانية، ولا أن تأخذ بجدّية أوهامها الذّاتية عن انتهاء الحرب أو القضاء على المقاومة. فالحقيقة أنّ البيانات الصّادرة عن "مجلس الشورى العسكريّ" سواء منها الموجهة إلى المقاتلين، تعاقبت كثيرا كنداءات مؤكّدة ما يلي[27]: " إننّا حين نحارب روسيا لا نحاربها وحدها.. إننا نحارب جند الكفر من اليهود والنصارى أجمع، والذين فرغوا لنجدتها وهبّوا لنصرتها، فبذلوا الأموال وزوّدوا بالعتاد وأفادوا بالرأي والتّخطيط...".

أمّا من النّاحية الميدانيّة، فلقد أوضح بيان آخر لـ"مجلس الشورى العسكريّ" تبنيّ الشّيشانيين تحت قيادة خطّاب[28] لحرب العصابات، قائلا:

---

(27) Isabelle Facom: *La seconde guerre de Tchétchénie, les aspect politico-militaires*, France: Strasbourg, I E P, 2001, p39.

(28) وهو شيشاني أردني ولد ونشأ في السّعودية، وقد انتقل من أفغانستان- حيث كان من الأفغان العرب الذين كانوا يقاتلون فيها- إلى طاجكستان عام 1992م، ثم انتقل إلى الشّيشان =

"إنّ هذا الأسلوب هو الأسلوب النّافع أمام القّوات الغاشمة المكثّفة في المنطقة والتي تفوقنا بمراحل كبيرة جدّا في العدد والعدّة..." وفي نفس البيان فنّد المجلس تصريح الرّئيس بوتين في الرابع والعشرين من سبتمبر 2002 "أنّ العمليّات العسكريّة قد انتهت" وقوله: "إن التشكيلة العسكريّة المعقّدة في القوقاز قد أنجزت عملها بعد تدمير المعسكرات والمخازن التّابعة للمقاتلين وتحطيم قوّاتهم هناك، ونعتبر أنّ القوّات نجحت في استئصال الإرهاب"[29] ويعني هذا أن الشّيشانيين لم يكفّوا في الواقع عن توجيه الإنذار تلو الإنذار إلى الرّوس بأنّ لاشيء انتهى وأنّ المقاومة - وهذا هو المهمّ - قرّرت الانتقال إلى مرحلة جديدة لا تواجه فيها القّوات الرّوسيّة مباشرة، وإنّما تسلك مسلك حرب العصابات التّي تقتضي حركيّة أكبر ومرونة، ولا تستبعد كذلك العمليّات الإرهابيّة الخاطفة من النّوع الذي وقع في أحد مباني العاصمة الرّوسية.

ويعتبر أمير مجلس الشّورى العسكريّ شامل باسييف[30] أنّ "الرّوس يتكلّمون منذ زمن عن المفاوضات ويمهّدون الأرضيّة لكي يهربوا، ولكن مجلس الشّورى يأبى التّفاوض معهم، ولن نتفاوض معهم فيما يناقض الشّريعة..."، فالمسألة لدى قادة حرب العصابات الشّيشانية لا تتعلق بالنظام المنشود في الشّيشان، بقدر ما تتعلق بنوعيته -أي مطابقته للشّريعة

= عام 1995م بالتّنسيق مع شامل باسيف. رغم الشّهرة الكبيرة التّي نالها عبد الرحمان خطاب في روسيا، ووسط آسيا، والقوقاز، فإن عمره لا يتجاوز 33 عاما. وهو ممّن بدأوا رحلة جهادهم عبر المرور بالمحطة الشهيرة أفغانستان (حيث أصيب عدّة مرّات أدّت آخرها إلى فقدان أصابع من يده اليمنى)، وهناك قاتل في صفوف الأفغان العرب في مطلع الثّمانينات، وعاد منها إلى موطنه ليهجره ملتحقا بالشيشان في عام 1995م.

(29) استفادت موسكو من حادثة 11 سبتمبر الأمريكية لإبراز القضية الشيشانية بوصفها قضية حرب ضدّ الإرهاب، ومحاولة الحصول على صفقة سياسية مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة والحلف الأطلسي، بحيث يقع التركيز على المطالب السياسية الاستقلالية للشّيشان، وإنّما فقط اعتبار المسألة متعلّقة بتّمرد داخلي على السّلطة المركزيّة، والحرب ضدّ عصابات إسلامية متطّرفة.

(30) وهو كذلك قائد ميداني شيشاني، مطلوب عند السلطة الروسية حيا أو ميتا منذ الرابع عشر من جويلية 1995م. وشامل باسييف يَعتبر الإمام شامل الذي ناضل ضد القوات القيصرية الروسية مثَله الأعلى في الجهاد.

الإسلاميّة-، وهذا ما يزيد من التعقيد إلى القضيّة، بحيث لم تعد فقط قضية تحرّر- كما هو الأمر بالنّسبة للقضيّة الفلسطينية مثلا- وإنّما أيضا وبالخصوص قضيّة اختيار نوع الحكم والسّلطة المرجوّة.

8 - تصاعد دور القائد خطّاب على القائد الميداني الشّيشاني شامل باسيف والمضفي على المقاومة أساليب وتكتيكات حرب الأنصار(31)، حيث تعمل جماعات صغيرة على تشتيت قوى العدوّ واتبّاع أسلوب الكرّ والفرّ، ومهاجمة مؤخرة العدو بمقاتلين لا تتراوح أعدادهم ما بين 10 إلى 30 مقاتلا. وصرّح خطّاب قائلا: "أقسم بأنّنا سنواصل النّضال حتىّ لو تطلّب الأمر التّضحية بآخر شيشانيّ على الأرض".

9 - ظهور حركة الدّعوة الإسلامية على يد خطّاب الجديدة، معتبرا أنّ مسألة خوض حرب عصابات ضدّ القوّات الرّوسيّة، هي أرقى أشكال العبادة والطّاعة لله بالنّسبة للمسلم الشّيشاني أو المجاهد، وهذا هو العنصر الفارق في وصول هذا الخِطاب إلى كل من جماهير الغرب وخاصة الرّوس، وجماهير العالم الإسلامي، فالمقاتلون (المجاهدون) يخوضون الحرب من ثابت مرجعيّ وليس من عابر واقعي مثل المصلحة السياسيّة الوقتيّة أو غيرها، ومن ثمّة فإنّ الرّسالة الأولى الواصلة للرّوس تتمثّل في أنّ حرب العصابات لن تتوقف حتىّ يكتمل المشروع الإسلاميّ باسترداد كلّ الأراضي التيّ كانت تستظلّ بالحكم الإسلاميّ على مدى فترة امتداد الحضارة الإسلاميّة، فالوعد هو بحرب عصابات طويلة الأمد بحيث يصنّف القائد والإمام خطّاب هذا النّوع من المقاتلة، كفرض عين على كل مسلم -حاليّا- ، وكفرع من فروع فريضة الجهاد المستمّرة حتى استرجاع أراضي نَشر الإسلام بالمنطقة أو حتى خارجها، فالقوى الجهاديّة الجديدة هي قوى حماية الثّوابت مهما امتّد الوقت، حتىّ أنّ فترات الهدنة هي فترات لالتقاط الأنفاس.

---

(31) وهو الاصطلاح الإسلامي لـ "حرب العصابات" انظر: د. أحمد الموصلي: موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004م، ص75.

فظهور حرب العصابات الشّيشانية مرتبط بمعضلات بنيوية داخل هيكل المقاومة بحد ذاتها، وبظروف أحاطت بالشعب الشّيشاني على إثر انتصار المقاومة في الحرب الأولى ضد القوّات المسلّحة الرّوسيّة:

فلقد شكّل الإقصاء عنوان شديد البروز، تختلط فيه الرّؤى والمواقف والنظرات اتجاه الشّيشاني، فهو الضحية والنتيجة والسبب، وعانى الشّيشاني في هذه المرحلة من اضطهاد روسي وضغط الرواية الصهيونية[32]، ومن العزلة الاجتماعية والسياسية، حددت له المواجهة والإقصاء كمقابر جماعية للأحياء في انتظار لحظات الموت فرادى وجماعات بمدن دبيورت، آرغون وشاتوي ولكن قوة الهوية والثقافة الشّيشانية وما تحمله من وعي جماعي، كانت قادرة على صياغة استراتيجيات للبقاء التاريخي بمنتهى الذكاء، فقد تمّ اعتماد التعليم الديني والحربي كإستراتيجية تعويضية للمقاومة باعتباره رأس مال منقول، ومن أوساط هذه الفئة المتعلمة ذات الأصول الاجتماعية البسيطة، بدأت تظهر بوادر تَشكل تكتيك جديد في المقاتلة الشّيشانية. وعملياً فإنّ التّاريخ الرسمي لحرب العصابات كمنهج للكفاح الشّيشاني ارتبط شديد الإرتباط باتصالات "جماعة أبو سيّاف" بالمقاتلين الشّيشان وعلى رأسهم القائد الشّيشاني الأردني خطّاب، وإنّ تبلور الهويّة القتالية للشيشانيين لم يكن ممكنا بدون الشرارة التي أشعلتها حرب العصابات، فلقد برز هذا التكتيك على يد فئة متديّنة مقاتلة من منشأ اجتماعي متعدّد، الذي كان إطاره الجبال، القرى والمداشر، وهذه الفئة بما تملكه من صفات، تمكّنت من إعلان اعتناقها لمنهج السلفية الجهادية ولحرب عصابات ناتجة عن مُحصلة قرارات مجلس الشورى العسكري ولتفهّم الطموحات الشعبية وأيضا من تحليل واقع المنطقة وميزان القوى القتالي، لإيجاد إجابات واقعية لأسئلة ميدان الحرب آنيّا ومستقبلا. وبذلك أصبحت حرب العصابات الشّيشانية حاملة لمشروع إسلامي ثوري شامل، وتدّعم هذا التوجه بعد الهزيمة التي

---

(32) لقد حذّر يهود روسيا من خطر انبعاث إسلامي بالمنطقة على يد القوقازيين، وهو ما عَرف روتشلدي روسيا صياغته على شكل حتمية خوض حروب صليبيّة بالمنطقة، يكون اليهود سببا في إشعالها.

مني بها الجيش الرّوسي ربيع عام 1995م، والتي جعلت المقاومة الشّيشانية تدرك بأن المرحلة تتطلب الاعتماد على الذات وعلى أسلوب قتالي جديد، وخلق عقيدة قتالية[33] تقوم على المبادرة والفعل وتستند إلى الكتاب والسنّة ونهج السّلف الصالح.

فحرب العصابات كحاضنة للمستضعفين من القوقازيين عامة والشّيشانيين خاصة وكعمود فقري، كانت موجودة ولا تزال في كل تفصيلة من تفاصيل تاريخ المقاومة والحياة اليومية الشّيشانية خصوصا[34]، وفي تفاصيل الحياة في القوقاز عموما، وما انجرّ عن ذلك من بطولات وإخفاقات وانتكاسات وإنجازات وصراعات وتحالفات ودماء وانقسامات مسّت ما هو شيشاني وقوقازي وإسلامي في آن واحد، لكن حرب العصابات في المرحلة الجديدة حافظت على صورتها وهيبتها ومكانتها، ويعود ذلك لأنّ أبناءها وقادتها كانوا لا يزالون أقرب إلى صفاء الفكرة، وكانت الاستراتيجية واضحة على بساطتها تتلخص في تحرير كامل التراب الشّيشاني، فالدين والسلاح هما القاسم المشترك الذي يوحّد المقاتلين باعتبارهما الطريق الوحيد لطرد روسيا.

كما أنّ ظهور حرب العصابات جاء موازيا لتجربة إبعاد عائلات رجال المقاومة الإسلامية الشّيشانية كما لم تعش عائلات مقاوَمة أخرى قط. فقد تنقلت من داغستان إلى شالي بحثا عن قاعدة للانطلاق نحو الفعل، وبالتالي تَوّزع المعسكرات على بقع وجغرافيات متعددة، ممّا دفع بالقائد خطّاب إلى اختيار قدرميس كطريق أوّل لعمل العصابات الشّيشانية (المجاهدين) لإمكانية خلق كيان إسلامي وطني على جزء من إقليم القوقاز التاريخي.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه منذ انطلاق عمل حرب العصابات

---

(33) وهو ما سيأتي ذكره في سياق الحديث عن مبادئ ونظريات حرب العصابات الشيشانية.

(34) لقد انتهج كل من الإمام الشامل والشيخ منصور حرب عصابات ضد القيصرية الروسية، ولكنها لم تكن كذلك بل يعتبرها خبراء القتال كمصادفة قتالية، لم يعرف حتى قادتها أنها قتال من نوع حرب عصابات.

الشّيشانية، فلقد اعتمدت على شكل تنظيمي بدائي، فقد ظلّت قيادة المقاتلين الشّيشان تعتمد على التقسيمات التقليدية للتنظيم المبني على: الخلية فالشعبة فالجناح والمنطقة فالإقليم، فالخلية كانت ضرورة مُلحة في العمل السريّ الذي يتطلب درجات التكتم والحيطة والغربلة، وأعضاء الخلية كان يتم انتقاؤهم بكل تروي وبناءا على القدرة والإمكانية، فحضور العمل السري مع انطلاقة حرب العصابات -الذي كان قرار مجلس الشورى العسكري[35]- بحثا عن شكل جديد للتنظيم يلائم التطورات التي حدثت فعلاً وتماما كالآلة، فشكل التنظيم في المصنع يتحدد بتطور الآلة، ولكن في المقاومة تطور الواقع (كمحدد) أدى إلى الحفاظ على طبيعة وجوهر المقاومة ولكن غيّر أشكالها إلى حرب عصابات كفيلة بضمان المتابعة وزيادة الاهتمام بالأجيال المقاتلة الصاعدة، ودفع تمثيل الأجيال الشابة في فصائل وسرايا الحرب المعلنة (حرب العصابات) مما يعزز من احتمالية تواصل الأجيال، والتعامل مع شباب حرب العصابات والملتزمين كرصيد وقيمة حربية دينية في مسار المجاهدة الشّيشانية، وجعلهم عناصر فاعلة في بنية أفراد حرب العصابات.

وتستند في ظهورها كذلك على مقاربة الشرعية الدينية التاريخية، والتي ترى قيادة المقاومة في نفسها الشرعية والاستمرارية التاريخية، ولديها ما لديها من الرمزية والتدين في آن واحد، وترى هذه المقاربة أنّه بفضلها ما زال هناك ثوابت وسعي نحو تحقيقها. وهذا دون إقصاء ما يستوجب من لزوم ضخ دماء جديدة في بنية المقاتلين، ويؤكد شامل باسييف[36] على ضرورة النظر بجدية لوجود أجيال جديدة وطاقات داخل البنية الرسمية للمقاومة الشّيشانية كما يجدر إلقاء الضوء على التوجه الشعبي لحرب العصابات الشّيشانية، والذي عزّز من وتيرة ظهورها، وهو ما عُرف بمرحلة التأسيس

(35) ويعتبر أعضاء مجلس الشورى العسكري هم قادة ميدانيين، يعملون تحت قيادة عليا، تستند إلى أوامر وتعليمات الرئيس الانفصالي (أصلان مسخادون) كرئيس شرعي وحيد لجمهورية الشيشان.

(36) Andrei Kosovoi: *Le Caucase dans les livres d'histoires russe: comment les manuels russes parlent du Caucase*, Switzerland Strategic studies, 1996, p218.

لكتائب المجاهدين الأحرار كشق غير رسمي، وكجسم يجب التسليم به نمى في أحشاء المقاومة، ولكن تشكيلها كان بقرار من رجال المقاومة، وهذه الظاهرة (حرب العصابات الشّيشانية) استوعبت بداخلها الجزء الأكبر من أبناء جيل المقاومة الندي، عادة ما نظر لنفسه كونه قد تعرّض لكثير من الإهمال والاضطهاد من قِبل الإدارة الاستعمارية الرّوسية والممثَّلة في حكومات عميلة كحكومة (قاديروف)[37]، ويعاني أبناء المناطق الريفية كدبيورت أوضاعا أمنية بمنتهى الخطورة نتيجة المطاردة والاغتيالات والاعتقالات وهدم البيوت وقلة مصادر الدخل، وبالتالي ينظرون إلى أنفسهم كأبناء حقيقيين للمقاومة، وامتدادا لحركة الاستقلال وفعلِها العسكري، وهم يبدون احتراما منقطع النظير لرأس هرم المقاومة.

ويعتبر أهالي جبال القوقاز[38] أنّ حرب العصابات الشّيشانية هي: "الخيمة بعمودها وغطائها وأوتادها والتي يستظل بظلها كل الشّيشانيين، وهي تحمل بداخلها بذور النهوض بواقعها وواقع المجتمع بأسره". وممّا يدركه أفراد وقادة حرب العصابات أتم الإدراك، هو أنه يجب أن يظلّ حاضرا أمام جميع أبناء الجمهورية الإسلامية الشّيشانية وأبناء إقليم القوقاز، بأنّ هناك رؤى يهودية وروسية عبرّت أكثر من مرّة عبر مراكزها البحثية من أنّ حركة المقاومة الشّيشانية والإسلامية يجب أن تُهدّم، لأنّ هدمها وتقزيم دورها وإضعاف بنيتها سيكون الممر نحو إيجاد حل سياسي كما يريده الآخر (الرّوس).

فخيار "حرب العصابات" هذا معناه أنّ صانع القرار الرّوسي سيجد نفسه أمام هواجس أمنية وتحدّيات استراتيجية معقّدة وفق مبدأ" النزّاعات ذات النطّاق المحدود" أو ما يسميه جوزيف ناي (Joseph Ney) المحلل الأمريكي "القبليّة الجديدة" بحيث طبيعة الصراع والفاعلين فيه طرأ عليهما

(37) لقد أعلن القائد شامل باسييف على موقع www.qoqaz.com عن استعداده لاغتيال أي رئيس عميل وموالي لإدارة موسكو.

(38) Celine Francis: *Le courrier Tchétchène: le compte- rendu en langue française de l'actualité russo- Tchétchène*, group Tchétchène, Paris: Novembre, 2004, p69.

تغيّر جذري، ولم تعد الدول وحدها تحدد قواعد اللعبة وشروطها وفق منطق "الحروب غير المتوازية"[39]، إذ لم يعد الصراع مطروح على أساس الاستراتيجيات الحربية الكلاسيكية بل على مستوى مجموعات مسلحة قد تكون مجهولة الهوية تضرب بدقة في عمق الأمن القومي الرّوسي دون القدرة على الرد الحاسم من الجانب الرّوسي، ولذلك فقد عبّر عن الوضع الجديد جدا وزير الدفاع الرّوسي سيرغي إيفانوف (Sergei Ivanov) حينما ذكر مبرّرا فشل السلطات في الكشف عن ملابسات تفجير في ميترو موسكو معبّرا: "إننا في مواجهة عدوّ خفيّ غير مُحددّ الهويّة وغير مَرئي". ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ ظهور حرب العصابات بالشّيشان كاختيار، مرتبط بتصاعد عصبية الدين لدى أفراد العصابات الشّيشانية من العرب الأفغان المنتمين لجنسيات مختلفة، المشاركين في الحرب الأفغانية-الرّوسية ذوي الولاء للتيار السلفي الجهادي وغيرهم، من بينهم: أبو الوليد، عبد الرحمن الخطّاب والقرتشائي والمثنى وغيرهم.

ذلك لأن النّصر عند هؤلاء المقاتلين إنما يحصل بالتغلّب، والتغلّب إنما يكون باختيار أسلوب المقاتَلة بالعصابات، واتفاق الأهواء على المطالَبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة الله في إقامة دينه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ

(39) أو ما يصطلح عليها بـ:Les guerres asymétriques الحروب غير المتوازية، وهي من أشكال حروب الدول الضعيفة مع الدول القوية، ويعتبر كلاوزفيتز، أنّ روسيا بلد لا يمكن التغلب عليه بقوة السلاح." فمثل هذا البلد لا يمكن إخضاعه إلا بنقاط ضعفه الخاصة، وبآثار ونتائج الخلافات الداخلية فيه. فلكي تضرب هذه النقاط الحساسة من كيانه السياسي، لابد من زعزعته وخلق الاضطراب فيه حتى المركز.

وبعبارات أخرى لا يمكن التغلب على روسيا وقهرها إلا على جبهتها الداخلية- وهذا يعني الانتصار بواسطة الثورة. وفي الحروب غير المتوازية فإن التأثير الكامل لسكان بلد من البلدان على الحرب له تأثير يحمل معنى كبيرا، حتى ولو لم يكن هذا التأثير مُمثلا في الواقع بثورة شعبية. ويضيف المفكر كلاوزفيتز قائلا: "وتسيير الأمور بشكل أفضل دائما عندما نقاتل داخل بلادنا شريطة ألّا يتعارض هذا القتال مع عواطف المواطنين، ويلقى تأييدهم. ويعد التعاون الاختياري للسكان مهم جدا أيضا" للمزيد راجع: الجنرال ج.ف.س. فوللر: إدارة الحرب من عام 1789 حتى أيامنا هذه، تعريب: أكرم ديري، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر: 1971م، ص. ص114-115.

إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63]، وسرّه أنّ القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف. وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدّت وِجهتها، فذهب التنافس وقلّ الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك، فتقوّت شوكة المقاتلين(40).

والسبب في ذلك، أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصابات، وتفرد الوجهة إلى الحق. فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء، لأنّ الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه. وأهل نصرة الدّين التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لبقية الموت حاصل، فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم، بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من التّرف والذّل.

وهذا كما وقع لمقاتلي جمهورية تتارستان الإسلامية إبّان الاجتياح الرّوسي، فكان المقاتلين التتار بضعة وثلاثين ألفا في كل معسكر وجموع الرّوس مائة وثمانون ألفا، فلم يقف للتتار أحد من الرّوس وهزموهم وغلبوهم على ما بأيديهم، كون الاجتماع الديني ضاعف قوة القبائل والجماعات التتارية المقاتلة بالاستبصار والاستماتة، فلم يقف لهم شيء. وهذا ما يطابق مقولة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: "إذا حالت صبغة الدين وفسدت، كيف يُنتقص الأمر ويصير الغالب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين، فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصبيات المكافئة لها أو الزائدة القوة عليها بالدين، غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها، ولوكانوا أكثر عصبية منها وأشدّ بداوة(41).

فلقد خصّص الإمام الغزالي الجزء الأكبر من كتابه" إحياء علوم

(40) العلّامة عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ضبط ونشر وتقديم: د. محمد الإسكندراني، الطبعة الثالثة، بيروت: لدار الكتاب العربي، 1422هـ-2001م، ص156.

(41) نفس المرجع، ص177.

الدين" للحديث عن التربية النفسية وأهميتها في سيطرة الإنسان على حواسه، عن طريق التخلق بأخلاق الفضيلة والتحلي بخصال الاستقامة، وهذا الأثر التربوي ينعكس على أسلوب تعامل أهل حرب العصابات الشّيشانية في ظهورها تحت إمامة وقيادة شامل باسييف والخطّاب، حيث تبرز خصائص جديدة في أسلوب التعامل مع الحرب، تتمثل فيما يلي:

1 - أن يكون الهدف الأسمى للمقاتلين الشّيشان في سعيهم وجهدهم وتضحيتهم وحربهم نُصرة دين الله، وتقوية الحق ودعمه، والانتصار للفضيلة، لكي تكون كلمة الله هي العليا، وهذا الهدف الكبير يصبح الغاية القصوى التي ينطلق أفراد العصابات الشّيشانية لتحقيقها، باذلين كل جهد، مضحين كل غال، مستميتين في سبيل تلك الغاية.

2 - أن يكون الإخلاص في العمل والتضحية من أهم مبررات قبوله عند الله تعالى، لأن العمل الذي يفتقد لصفة الإخلاص يعتبر باطلا، لا يؤدي الغرض منه، ولا يُثاب الإنسان عليه.

وفي ظل هذه الخصائص التي تعد كمكوّنات هامّة للعقيدة القتالية لدى حرب العصابات الشّيشانية لا يمكن تصور خصال التّنافس البغيض أو التّحاسد المقيت، التي تنمو-غالبا-في ظل انعدام الغايات المثلى لذلك الجهد والتضحية، مثلما هو الشأن لدى المقاتلين الفدراليين الرّوس، فالعصابات الشّيشانية قوة مدافعة ومغالبة ومطالبة، وهذه العوامل تُنمي رغبات الجماعة المقاتلة وتطلعاتها إلى المجد والرياسة. فابن خلدون يقول: "لأنّ التغلب يمنح النفس البشرية شعوراً بالثقة والاعتزاز والتميّز والتفوق، وهذه المشاعر تُقلّص قوى النفس الروحية، وتنمي لديها مشاعر المنافسة والتطلع إلى الرياسة، مما يجعل تلك المطامح متزاحمة على أهداف واحدة وتبرز في هذه الحالة مشاعر التحاسد، وبخاصة في ظل تغلب الأقوياء على الضّعفاء"[42].

(42) الد. محمد فاروق النبهان: الفكر الخلدوني-من خلال المقدمة، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ-1998م، ص98.

فالدين لا يقوّي فقط من ظهور وبقاء العصابات الشّيشانية، بل يحافظ على توازنها الداخلي الذي هو أساس دوام وفعالية الجاهزية القتالية لدى حرب العصابات الشّيشانية.

فبالتالي ظهور حرب العصابات الشّيشانية تتحكم فيها أربعة عناصر أساسية تكون حسب ما يلي:

1 - طبيعة العدو: فتعداد وعُدّة الجيش الرّوسي، وتفوّق ميزان قوته على صعيد المعركة يجعله نظريا وعمليا متفوقا في حرب نظامية يعرف جيدا طبيعتها، أمام احتمال تراجع دوره في العمليّات القتالية المنتمية للحروب غير المتوازية التي قد تخوضها أمام خيار المقاومة الشّيشانية لأسلوب حرب العصابات.

2 - الطبيعة الجغرافية لجمهورية شيشينيا خاصّة، وإقليم القوقاز بصفة عامة، بحيث يعطي للمقاتلين الشّيشان انطباعا جيواستراتيجيا، وامتدادا طبوغرافيا قتاليا، يخدم أسلوب حرب عصابات أكثر منه من حرب الأسلحة التكتيكية الثقيلة، وتحصر عمل ميدان المعركة في مدى مطابقة ومعرفة المقاتل لطبيعة أرض المقاتَلة، وهو ما يمثل بالنسبة للمقاتل الرّوسي حاجزا قتاليا بل وحتى نفسيّا.

3 - الانتماء الحضاري والدّيني للمنطقة، كعنصرين لا يمكن للمقاتل الشّيشاني تجاهلهما بحكم انتمائه لنفس المنطقة والتاريخ، ولو أنّ العَرب الأفغان هم حديثي الحضور بالمنطقة، غير أنّ وجودهم يُعتبر هام، بإضفاء مستوى آخر للقتال الشّيشاني تحت وعاء سلفيّة جهادية معاديّة لكل وجود ماديّ ومعنوي لكل ما هو نصراني أو يهودي معادي للإسلام.

4 - طبيعة القيادة العملياتية القتالية الشّيشانية، فبعدما كانت تستند إلى الخبرة السياسية والإدارة القتالية العسكرية الشّيشانية سواء تحت قيادة الرئيس جوهردوداييف[43] أو أصلان مسخادوف، تحوّلت القيادة فعليا وميدانيا

---

(43) وُلد مُحقّق حلم جمهورية الشيشان بالاستقلال جوهر دوداييف في عام 1944 =

إلى إمامة وقيادة عملياتية عسكرية سواءً تحت لواء أبو الوليد أو عبد الرحمان خطّاب بالتنسيق مع رئيس مجلس الشورى العسكري القائد شامل باسييف.

وتحويل إدارة العمليات العسكرية، إلى قادة ينتمون لتيار الدعوة، هو مُكرّس أو مُحصلة لنظريات ووعاء مبدئي للجاهزية القتالية الشّيشانية، المُكونة لما يُسمى بالعقيدة القتالية لدى مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية، وهو ما سنحاول التطرق إليه في المبحث الآتي.

ثالثاً: نظريات ومبادئ الجاهزية القتالية الشّيشانية

إنّ معظم النظريات والمبادئ هي ما يُكوّن عقيدة قتالية تكون المنطلق والموجّه النّظري للسّلوك القتالي لدى أفراد العصابات الشّيشانية، وبالتالي يمكن تصنيف الإطار النظري للجاهزيّة والإعداد القتالي للعصابات الشّيشانية إلى ثلاثة (3) أقسام:

(أ) قسم مرتبط بالخلفية التاريخية لمنطقة الشّيشان، ويتعلق الأمر هنا: بتاريخ المذهب الصوفي وطرقه سواء تعلق الأمر بالطريقة المريدية أو الطريقة الغزواتية، الطريقة النقشبنيدية أو القادرية.

(ب) قسم مرتبط بفعل الحركة الإسلامية بعد الحرب الأفغانو-روسية، ويتعلق الأمر بظهور السلفية الجهادية كحركة وإطار نظري لفعل الدعوة في الإقليم وبالمنطقة.

(ج) وقسم آخر مرتبط بأثر الفتوحات الإسلامية والتجربة الاستعمارية القديمة بالمنطقة واحتكاك الشّيشان بكبار المحاربين في المنطقة، من كوزاك روس وتتار إلى غزوات إسلامية وتمازج العنصر الشّيشاني مع الرّوس في الجيش الرّوسي، وما يمثله محصلة كل هذا في تكوين خبرة وهويّة قتالية لدى المقاتل الشّيشاني آنياً ومستقبلاً.

= في قرية يالهو الواقعة في جمهورية الشيشان، وقد وعي منذ نعومة أظافره ظلم الاحتلال الروسي، إذ كانت عائلته ضمن العائلات التي هُجّرت إلى سيبيريا.

وقبل الخوض في هذه الأقسام، لابدّ من الإشارة أن هذه الأخيرة لم تُلازم بأكملها شخصية المقاتل الشّيشاني، فكثيرا ما يُعتمد على قسم على حساب الآخر حسب المرحلة التي يحذوها الصراع، وتبعا لمدى نفاذية القائد الميداني وتأثيره على عناصر المقاتلين، ودرجة تحقيق توازنه بين المهمة الدعوية والقتالية في قيادة وتوجيه صفوف أفراد العصابات بإصدار أمر قتالي "دعوي"، باعتبار أنّ مسألة خوض حرب عصابات ضد القوات الرّوسية هي أرقى أنواع العبادة والطاعة لله ولأولي الأمر (القائد الميداني) بالنسبة للمقاتل الشّيشاني (أو المجاهد)، وربما بعد استعراضنا لمختلف الأقسام النظرية المُحفزة والمُوجهة للسلوك القتالي لحرب العصابات الشّيشانية، سيتضّح العنصر الفارق في وصول الرسالة القتالية (الفكرة التي تختفي وراء السلوك القتالي) إلى كل من جماهير الغرب (حلفاء روسيا) والرّوس على وجه الخصوص، وجماهير العالم الإسلامي.

ولنستهل الحديث الآن، عن أهم الأقسام النظرية المؤججّة في أفراد حرب العصابات الشّيشانية الروح القتالية والقناعة في الذوّد والاستماتة في المواجهات الدموية:

1 - الصوفيّة المقاتلة:

إنّ الصّوفية في أحسن الظروف تعمل في مجال مُجاهدة النفس، واعتزال صوارف الدنيا، والسعي إلى طريق الله[44]، وكل ذلك يتم من خلال منظومة يقف على قمّتها شيخ الطريقة، كما توجد لهم مفاهيم بها قدر غير قليل من الإشكالات الشرعية، وهذا الرصيد به قدر من التعميم والخلط الغير قليل. وفي هذه السطور سيكون التوجه إلى إظهار مدى إسهام الصوفية بطرقها عامة، في الدعوة لمَريديها من المقاومين الشّيشان إلى النهوض لمقاتلة الأعداء، وسنأخذ كل طريقة على حِدى:

(44) أبو النور محمد فراج: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز-مستقبل العالم الإسلامي-، السنة الثانية، العدد 5، شتاء 1992، ص193.

أ - الطريقة النقشبندية[45]:

وترجع النقشبندية في أصلها إلى الشيخ، محمد بن بهاء الدين بن لطف الله (توفي سنة 952هـ/1545م). كان أبو بهاء الدين مدّرسا للشّريعة، وجدّه كان صوفيا وفقيها في بالي كسرى. وقد كان بعض مشايخ الطريقة يقودون حركة الجهاد في مناطق مختلفة، وكان الشيخ منصور أشورمة أوّل قائد عسكري صوفي. بمنطقة الشّيشان وداغستان، وقاد هجمات ناجحة على قوات القيصرية الرّوسية، واستطاع أن يفني سرية روسية كاملة على نهر سونجا عام 1785م، وقد أسره الرّوس في إحدى المعارك عام 1791م، وحُكم عليه بالمؤبّد. ولم تتوّقف مسيرة الجهاد، وتوّلى الشيخ حاس محمد أفندي الباراغلاري النقشبندي قيادة حركة الجهاد، ويستشهد في ساحة المعارك ويتولى مشايخ الطريقة النقشبندية قيادة حركة الجهاد في وسط آسيا، ويقود ثورة مدينة أنديجان[46] في سنة 1898م شيخ النقشبندية بها، وبعد قمع الثورة (1899م) يُشنق على يد الرّوس.

وقبل هذه الثورة كان القاضي ملّا محمّد الكمراوي النقشبندي يقود المجاهدين في انتصارات متوالية على القوات الرّوسية حتى أُطلق عليه اسم الغازي محمّد، حيث ظلّ يحقّق انتصارات متوالية على القوّات الرّوسيّة بين عامي 1832م إلى 1834م، يستشهد الرجل في الميدان، ويحمل الراية تلميذه الأمير (حمزة الخنزاجي)، ويلحق التلميذ بأستاذه شهيدا، ويتحمّل مسؤولية القيادة الإمام محمد شامل[47] تلميذ القاضي محمد وشيخ النقشبندية،

---

(45) الدكتور محمد مجاهد نور الدين: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: دار هجر للنشر والتوزيع، 1998، ص201.

(46) الدكتور محمد عمارة: موسوعة-الحضارة العربية الإسلامية: الثورة، سوسة، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص54.

(47) وُلد شامل في عام 1797م طفلا مريضا حاملا اسم "علي"، وعندما بلغ الثامنة من عمره غيّر أبوه اسمه إلى شامل-يعني السعيد- أملا في أن يتعافى الصبي، وكانت سنوات الطفولة والساعات الطوال التي قضاها مشتغلا بالرّعي عند أقدام جبال القوقاز فرصة في أن يتأمل ما تعلّمه في المسجد من دروس في الحديث واللغة العربية والشريعة الإسلامية، كما كانت الساعات الطوال سببا في الارتباط الشديد بجغرافية المكان الذي سيدافع عنه فيما بعد، حينما =

واستطاع الإمام شامل تحقيق انتصارات رائعة ببطولة وعبقرية نادرة، ويَسترد الإمام شامل كثيرا من القلاع والحصون التي استولى عليها الرّوس، واستطاع أن يُقيم دولة مجاهدة، ويقيم العدل، ويقوم برسالة الإسلام من دعوة، وتربية وجهاد خلال خمس وعشرون سنة، وأقام الشيخ مَحاكم شرعية في كافة الجهات التي تقع تحت سلطانه، وفي نفس الوقت يقوم ببناء القلاع والحصون، ومصانع السلاح والبارود، ويرسل النواب للدعوة إلى الجهاد في كافة المدن والقبائل، ومتابعة أعمال الجهاد ضد روسيا، ويقوم بإجراء اتصالات دولية للاستعانة ببعض الدول المعادية لروسيا، وينجح في استثمار أجواء الصراع الدولي ضدها في حرب القرم 1853م، ولكن تسويّات دولية بين القوى المتصارعة أدّت إلى انتهاء مصالح هذه الدول مع الإمام شامل، ويلتف الجيش القيصري على دولة الإمام ويستشهد مشايخ النقشبندية في الميدان، ويظلّ يناوشهم بقليل من عدد وعدّة طوال عشر سنوات، حتى خرج من الميدان بعد أن فقد كل ما لديه من مؤن وسلاح، وانتهى إلى جوار رسول الله–صلى الله علية وسلم- حيث دُفن في البقيع عام 1871م.

وبعد أن نجحت الثورة البلشفية في روسيا عام 1917م بدأت تسير الثورة في الأراضي المحيطة، وتقوم بالقمع والمذابح الجماعية لكل من يعارضهم، فقام شيخ النقشبندية نجم الدين دي غوتسو في منطقة داغستان بالوقوف أمام الزّحف الشيوعي بدءا من عام 1917م، واتحّد مع مشايخ النقشبندية في الشّيشان أوزوت حجّي، ومحمد البلوكاني وسراج الدين حجي وغيرهم، وبدأت الانتفاضة الكبرى في عام 1918م، واستمرت حتى 1928م، وقد سميت باسم ثورة (الباسمشية البسماجي) وهي كلمة تعني قاطع طريق بالتركية، ولكنها صارت مرادفة لكلمة مجاهد عند المسلمين. وقد نجحت هذه الحركة بتأسيس حكومة بالمنطقة في خريف عام 1919م، وتمّ تنظيم أمور الدولة، وساعد على تقوية الانتفاضة العسكرية دعم المُلا عبد القهّار من كابل، وقيادة إبراهيم بك أمير بخارى العسكرية، وقدم إليهم قائد هو أنور

= اختاره المَريدون إماما بعد وفاة حمزة بيه في عام 1834، حيث أعاد تنظيم الجيش على نمط أعدائه الكوزاك.

باشا[48] من الدولة العثمانية، واستطاع أن يحقق انتصارات رائعة على القوات الرّوسية، ولكن الضغائن وسلاح الوقيعة، وبعض المعاملات الخشنة من أنور باشا مع الأمراء والقادة، فضّت الاجتماع، وفرّقت القلوب، وانسحب كل أمير بقوّاته، واستشهد أنور باشا، وانهزمت القوات المسلمة، وذُبح ما يقرب عن 20 ألف مسلم بيد القوات الرّوسية، وانتهت الدولة والثورة، وتمّ تعقّب قادة الطريقة النقشبندية وإعدامهم بالجملة[49].

ورغم القمع البربري، ورغم أنّ ستالين ألغى هذه المحافظة وقام بنفي أهلها جميعا إلى سيبيريا، إلا أنهم عادوا وتجمّعوا، ونظّموا صفوفهم وعبدوا الله، وتوجهوا إلى القتال (الجهاد) تحت راية مشايخ النقشبندية، مواصلين طريق أجدادهم، ومن بينهم القائد الميداني ورئيس مجلس الشورى العسكري شامل باسييف الذي تأثّر بفكر وأسلوب قتال الإمام شامل.

ومن مبادئ النقشبندية، ضبط النفس والقدرة على التحليل والتعلّم من الماضي، والاعتقاد بدور الكاريزما في تسيير الشعوب، واليقين بأنّ الإسلام دين فوق القوميات.

ب - الطريقة القادرّية:

ولقد ظهرت القادرية بقوة، وهي أكثر تطرفاً سياسياً وعسكرياً من النقشبندية، حيث نشبت ثورة عام 1877م، وصُفيّت بعد سنة بإعدام قادتها، ثم أخذت المقاومة طابع الهجمات السّريعة الخاطفة على المواقع الرّوسية حتى عام 1917م.

ونشبت ثورة عام 1925 بقيادة سعيد بك القادريّ حفيد الإمام شامل، ولكنها صُفيّت عام 1927، ودُمجت بلاد الشّيشان في الثقافة الرّوسية الشيوعية

---

(48) وهو أحد زملاء مصطفى كمال في انقلابه، ضد السلطان العثماني، ولكنه اختلف مع توجهات مصطفى كمال العلمانية وفرّ من تركيا إلى وسط آسيا لمساعدة الثوّار عسكريًا.

(49) وسُميّت بالنقشبندية نسبة للشيخ محمد بن بهاء الدين بن لطف الله، وقد اتّخذ لنفسه صنعة وهي التطريز الأطلسي، ومن هنا جاء اسم الطريقة نقشي-بندي (أي التطريز الأطلسي).

وأوقفت الكتابة بالأحرف العربية، مما قطع الأجيال الجديدة عن تراثها وأعدم ونُفي عدد كبير من قادة القادريّة الشّيشان.

ثم أُستؤنفت الثورة عام 1928 بقيادة شيخ القادرية استاميلوف حتى سنة 1935، وأُعدم على إثرها عدد كبير من القادة الدينيين، لتظل القادرية والطرق الصوفية الأخرى تؤدي دورا مهماً في هذه الثورة التي استمرت حتى عام 1942م، ولقد عمدت الطريقة القادرية على معارضة جوهر دوداييف، إبّان تحوّل السياسة الشّيشانية تحوّلا واضحا منذ عام 1993 من الليبرالية إلى الإسلامية ومن السياسة الغربية إلى العالم الإسلامي، ولقد كانت الحركة القادرية كباقي الحركات الإسلامية الأخرى عاملا مهمّا في هذه التحوّلات، وتكوّنت مجموعة إسلامية صوفية على الطريقة القادرية تعتمد على إسلاميين لمعارضة كل رئيس شيشاني ذي التّوجّه الليبرالي والمتطرف قومياً وسياسياً.

وكانت أهمّ المجموعات المعارضة لدودابيف "فريق السّلام"(50) بقيادة رسلان حسبو لاتوف الرئيس الأسبق للبرلمان الرّوسي والذي سُجن فترة من الزمن، ويقوم فريق السّلام على مجموعة من الشخصيات الإسلامية المعتمِدة على الطريقة القادرية، مثل بشير أرسو نكاييف المفتيّ الأوّل لجمهورية الشّيشان، وإلياس دينيف رئيس الطّريقة القادرية، و"شهدي حجّي مقامي" أستاذ الشّريعة الإسلامية والحائز على الدكتوراه من الأزهر، ومجموعة من الفقهاء قادة الحركة القادرية، وتدعو هذه المجموعة إلى العمل على نقل العنف إلى روسيا الاتحاديّة.

واعتمد أغلبية المقاتلين الشّيشان على الطّريقة القادريّة المتطرفة سياسيّا، والتي تمُثل الأرياف والطبقات الشعبية لمواجهة النخبة السياسية والثقافية والمدنية الموالية للإدارة العسكريّة الرّوسيّة.

ج - الطريقة الغزواتية (مَريديّ الغزوات):

ومفهوم الغزوات لدى أصحاب هذه الطريقة هو الجهاد فخلال حكم

---

(50) الدكتور، أحمد الموصلي، مرجع سابق، ص113.

بطرس الأكبر في عام 1722 وقع أوّل صدام بين القوّات الرّوسيّة والشّيشانيّين الذين كسبوا المعركة أمام قوة فتية منكشفة، وسرعان ما تُنتظم صفوف المقاومة تحت زعامة الإمام الغازي مولاي في عام 1829، والذي استطاع بفهمه العميق للقرآن أن يحوّل شيوخ القبائل إلى الإسلام، ونَظمّ عبر مجالس الصوفية (الطريقة الغزواتية) حركة من الأتباع والمريدين لمواجهة التوغّل الرّوسي في القوقاز، وحقّق مجموعة من الانتصارات حتى أوقع به الرّوس.

ولقد لَعبَ دورا كبيرا في تحريك شعوب الجبال نحو حرب مقدّسة لمواجهة روسيا، وتعتمد الطريقة على قُدرة التأثير على الجنود بسحر الكلمة وبلاغتها. كما قطع الإمام الغازي شوطا كبيرا في إرسال الدُّعاة من داغستان إلى سكان الجبال الشّيشانية لتحويلهم إلى الجهاد.

وأمام تماسك قوة مريديّ الغزوات، اتخذّ الرّوس أسلوب حرق الدّور على ساكنيها كي يجبروا المقاومين على الخروج، وشنّوا هجوما واسعا إلى أن سقط الغازي مولاي في معركة غمري بين جثث آلاف المريدين.

وبعد مقتل الغازي مولاي، أُختير "حمزة بيه" من قِبل المريدين قائدا بعد تزكية من كبار الشّيوخ، وأفنى حمزة العامين التاليين في ترتيب الصفوف وتدعيم قوة الجيش، إلّا أنّه لقي الهزيمة، ثم اغتاله العُملاء وهو يؤُم المُصلين في المسجد الجامع، بمعقل المقاومة في هونزا بداغستان.

وممّا يتبّين أثناء عرضنا لمختلف الطرق في شقّها القتالي والمبدئي، تتجلّى أهمية الفكرة (الجهاد) والقيادة العسكرية (الإمامة) في تولّي الحملات القتالية ضد الرّوس، فالعقيدة الحربية هنا وفي الصوفية ليست كيانا وأفكاراً مجرّدة يقوم بها القادة المقاتلين الشّيشان. ولكنها في ذات الوقت تحتوي على بعض التفاصيل الحركية النافعة والحريصة على استمرار العقيدة وحمايتها، لذلك توليّ قيادة العمل العسكري من طرف الإمامة وإتقانه هو جزء لا يتجزّأ من العقيدة والإيمان بالله لدى المحاربين الشّيشان.

ويظهر الجهاد-ككلمة- جليّا في كل الطّرق الصوفيّة الشّيشانية، حيث

لا تستطيع أي لغة أن تُترجمها، فهي تُنطق Gehad بالإنجليزية[51]، حيث إنه لا يوجد معنى مرادف لها في المعجم الغربي حتىّ الديني منه، فالجهاد يُسمى إرهابا أو عصيانا أو تمرّدا، ولكنه لا يُصنَف بأنه فعل عبودية مبني على الغيب.

غير أنه في الصوفية المقاتلة الشّيشانية، فالجهاد -كمفهوم- يصعب إدراكه من خلال التصورات الغربية وذلك حتى على المستوى العسكري، فهو (الجهاد) يختلف عن العسكرية الغربية بشقيها النظامي والعَصبي، لأنّ الظّاهر الحَركي لا يفيد في تقييم الظاهرة.

ومن ذلك نخلص إلى أنّ قِيم خوض المعارك لدى الرّوس وضعيَة ووقتيَة، لأنها خاصّة بالمجتمع وبتشكيلات اتخاذ القرار بداخله، وبالتالي اختفاء القيم الثابتة التي يتحرك على أساسها المجتمع، مما يؤدي بدوره إلى سيطرة منطق المصلحة ولاأخلاقيات المنفعة مهما اقترنت بشعارات دينية أو أخلاقية.

فإطار المشروعية في خوض الحرب لدى الصوفية الشّيشانية يأتي من خلال عدالة القضية، حيث الكيانات الفكريّة والعقائديّة كامتداد لإرث تاريخي وحربي عرفه المقاتل الشّيشاني على فترات من الحقب التاريخية، أكسبته خبرة في التمرّس وصناعة سلوك قتالي خاص به.

2 - الإرث التّاريخي (الاستعماري) والحربي لمنطقة الشّيشان:

إنّ تاريخ المنطقة يرتبط بطريقة مباشرة بخلفية تاريخية حربية ساهمت في دفع وإعطاء انطباع قتالي للشخصية الشّيشانية للتنشئة الحربية للإشكير الشّيشان (Tchétchenie d'Itchkérie) وتجديد الطاقات الاندفاعية للجاهزية القتالية الشّيشانية.

---

(51) الدكتور. عدلي علي أبو طاحون: سوسيولوجيا التطرف الديني-جذور مظاهر التطرف الديني بين أتباع الديانات السماوية مع دراسة للواقع المصري، الأزاريطة- الإسكندرية: المكتب الجامعي للحديث، 1989م، ص68.

وسيكون حجم وطبيعة العدو أو المنافس أهم متغير سنلجأ إليه من خلال تحليل درجة الخبرة القتالية بمستوى المنافس (الطرف الآخر)، للتوّصل إلى المقامات (الجوانب) الأساسية المؤسّسة للفعل القتالي وللعقلية الحربية الشّيشانية:

يَعتبر المحلّل السياسي الرّوسي فاسيلي بارتولد (Vassily Bartold)[52] أنّ الغزو التتارو-منغولي (1237-1240) كان له أثره السلبي في الحفاظ على حياة الأقاليم القوقازية بالمنطقة، غير أنّ اندماج أهالي ومُزارعي القوقاز في الجيش التتاري-المنغولي قوّى من شوكة التتار الدمويين على سلطة وحروب جنكيزخان أو حتىّ هولاكو، نظرا لكفاءتهم ومعرفتهم مع تحكمهم في بيئتهم. فالتتار يشتركون في طباعهم القتالية مع غالبية شعوب القوقاز وبالخصوص الشّيشان (الشجاعة-الاندفاع-الفروسية-الدموية-الرجولة...)، غير أنّ العقيدة التي كانت تحُرك قتال التتار ليست نفسها بالنسبة للشيشان: فعقيدة التتار قائمة على الاعتداء والتسلّط والغابية المتحكّمة فيها بوذية متطرفة ذات منشأ قبلي همجي، أمّا الشّيشان وحتى في قتالهم ضمن الصفوف التتارية فالعقيدة القتالية هنا كانت قائمة على دفع الضرر عن باقي الشعوب التي قد تطأ إليها خيول التّتار مع تقويم السّلوك القتالي التتاري بتصعيد دور ألويه الشّيشان في صفوف الجيش التتاري، والذي تحقق بفضل المجاهد نجم الدين قطز بمساعدة بيبرس اللّذان بمساعدة الشّيشان استطاعا هزم الجيش التّتاري على يد غازان وإدخال هذا الجنس الدموّي إلى دين الحنيفية الإسلام، ليُصبح غازان ويتحوّل إلى قائد إسلامي في جيش إسلامي يتقاسم فيه التتّار والشّيشان ألوية التوّحيد والشهادة، في حروب دامية بين مسلمي غازان وجيوش أسترخان (Asterkhan) وسبيريا والرّوس، غير أنّ هزيمتهم دفعت بالقيصرية الرّوسية إلى ضم التتار المسلمون والشّيشان للقوة الرّوسية قصد تصعيد التكوين والدور الحربي للروس بالإستعانة بالحنكة والاحترافية القتالية للمسلمين (التتار والشّيشان وبقيّة القوقازيين).

---

(52) Vassily Bartold: *Le rôle de l'islam dans la formation des cultures impériales dans les états crées par les nomades de l'eurasie*, Moscou: 1922, p43-44.

وهو ما أدّى إلى ظهور المعهد الاجتماعي العسكري للكوزاك (Les cosaques)[53]، التي شكلت بالنسبة لروسيا جبهة خاصة للاحتراف العسكري، خاصّة باحتكاكهم السلبي مع المقاتلين وأهالي القوقاز، مع الاستناد إلى تنظيم وشارات عسكرية تركية.

فلقد مثّل الشّيشان القوة الضاربة في الفيالق الرّوسية، وخاصّة في جيش ايفان غروزني (Ivan Garozny)[54] وفي جيوش غازان، وحتى في الجيش الليتواني-البولندي تحت قيادة "الدون ستيبان رازين" (Don. Stipan Rasine) في 1667-1671م، وأصبح الشّيشان كمقاتلين وبعد خيانتهم للقيصر بيير الكبير (Pierre Le Grand) يُلقبون "بالكوزاك" كونهم كانوا يمثلون أحسن المقاتلين في الجيش القيصري، حيث شاركوا في كل الحملات العسكرية. وكان دورهم هاماً في كل الحروب مع تركيا وإيران وخاصة إبّان غزو سيبيريا، الشرق الأقصى، شمال القوقاز وآسيا الوسطى[55].

غير أنه يمكن تسجيل أنّ الإمبراطورية الرّوسية لم يتسن لها بسط نفوذها، ما عادا في الأقاليم الإسلامية الممتدة على نهر الفولجا (La Volga) بسيبيريا، وبالقوقاز وآسيا الوسطى، حيث يعيش عليها 18 مليون من المسلمين.

وبالعودة إلى الصّراع في المنطقة كلّها (القوقاز) مع القياصرة، نجد أنّ الإمبراطورية القيصرية استغلّت خلال الحرب، صِلاتها العِرقية (السلافية)، والمذهبية (الدينية الأرثدوكسية) مع شعوب المنطقة، لكسب تأييدهم خلال مواجهة المسلمين، وهو ما ضاعف قوّتها وساعدها على ترسيخ كيانها.

لقد كان السبّب الرّئيسي للنزاع بين القيصرية والمسلمين، هو التحالف الوثيق بين المسلمين الشّيشان والحركات القومية المحلية، وتناول

---

(53) كوزاك أو كازاك، معناه لدى الأتراك والمغول: "الرّجل الحر أو المقاتل الحرّ".

(54) ويُلقب أيضا بالشرس، وسُميت عاصمة الشيشان باسمه نظرا للحملات الدّموية التي مارسها على المدينة.

(55) R.G. Landa: *Les musulmans dans l'histoire de la Russie*, Moscou: Académie des Sciences, 1997, p128.

الإصلاحات العصرية التقاليد الدينية بصورة حتمية، بسبب ارتباط الحياة المدنية والحياة الدينية ارتباطا وثيقا، فعولج الوضع في البدء بمزيد من المُداراة، وتأخّرت العلمنة عنها في أوروبا.

غير أنّ العديد من أبناء الشّيشان قد نالوا ميداليات بطولة القيصرية، كما قد تحصّلوا على أغلبية أوسمة الإستحقاق الحربي للإتحاد السوفياتي بعد انهيار القيصرية، لأنهم أبلوا بلاءاً حسنا في الدفاع عن ستالينغراد، فضلا عن أنّ عدد القتلى من الضباط والجنود من أبناء هذه الجماعة يزيد على 30.000 ضابط وجندي في معركة ستالينغراد وحدها[56].

وممّا زاد من عنفوان المقاتل الشّيشاني وانتقاميته في الاندفاع بالسلوك الحربي هي سياسة التهجير الرّوسية والتي أعقبتها ممُارسات لا إنسانية في حق الشعب الشّيشاني: ففي فيفري 1944م بزعامة ستالين أُقيدت حركة تهجير واسعة في حقّ الشّيشان، وهذا إلى مناطق سيبيريا القاسية، تصل درجة الحرارة فيها إلى 50 درجة مئوية تحت الصفر، وقد مات 50% من الشعب الشّيشاني أثناء هذا التهجير، ومات الشيوخ والأطفال والنساء بسبب سياسة التجويع حتى الموت.

لقد كانت وسائل التهجير في غاية من اللاإنسانية بالنسبة للشعب الشّيشاني، الذي وُضع بأكمله في محطّات القطارات دون السّماح لهم بحل أي شيء، وهذا تحت طلقات الرصاص وتهديد الحِراب لحشر الناس في عربات القطارات من دون البضائع، ودون طعام ولا ماء ولا كِساء، وكل من يرفض تنفيذ الأوامر يُقتل مباشرة أمام النّاس.

أمّا أهل الجبال، أصحاب العزائم الشديدة، فقد جُمعوا في إسطبلات للخيول ومخازن البترول وأُحرقوا أحياءاً.

ومن بين المواقع التي أُحرقت فيها أعداداً لا حصر لها، قرية "خيباخي" التي ما زالت شاهدة على الضحايا الجسام، وقد أثرّ في نفوس

(56) Revue Militaire Suisse: *Edition Tchétchène, les grandes cimetières sous la lune*, Suisse: R.M.S, Juin 2000, p76.

المقاتلين الشّيشان، والذي يتمنوّن الإنتقام لأنفسهم، وكانت قرية "خيباخي" بها ألف نفس بشرية، هم أهل القرية جميعا، شيوخا ونساءً وأطفالاً.ثم بدأت في العودة سنة 1956م، بعد أن جاء إلى السلطة خروتشيف (Nikita khroutchev) خليفة ستالين، وبدأ الشّيشان في العودة إلى أراضيهم وبيوتهم التي قد احتلّها الجنس الرّوسي، رجع بعد 12 عام 30% فقط من الشّعب، والبعض منهم بقي في مواطن التهجير يعاني المأساة(57).

لقد انتشروا في كل بُقعة حتى وصلوا إلى الكويت، فمازالت عائلة الشيخ غازي في منطقة "الأحمدي"، شاهدة على بصمات تهجير الرّوس للشعب الشّيشاني، ولذلك فالعديد من المنْضمين لصفوف المقاتلين الشّيشان يُكَنون للحكم الرّوسي الكراهيّة التي جعلت متأصّلة في نفس الشّيشاني جيلا بعد جيل، يتشرّبها الولد عن والده عن تاريخ أجداده، الذين قُتلوا وشُردّوا، ولم يُعرف لهم مكان، وماتوا جوعا وعطشا. ويُعتبر هذا الشعور هو من أسرار الصمود الشّيشاني في وجه العدوان الرّوسي في كل مرّة.

ولقد نمت الرّوح القتّالية الشّيشانية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م، حيث بدأ المقاتلون الشّيشان المسلمون في الظّهور إلى العَلن، وتمكنّوا بعد فترة طويلة من القهر التي أرادت الشيوعية مسخ هويتها الدينية من التعبير عن الذّات القتالية الحقيقية الإسلامية للمقاومة.

فالتغيّرات السّريعة التي مرّ بها الاتحاد السوفياتي عام 1991م، وخاصّة بعد الانقلاب الفاشل الذي قام به الشيوعيّون المحافظون في المكتب السياسي في أوت 1991م، عجلّت في البروز العسكري لمسلمي شيشينيا وجمهوريات إسلامية أخرى(58)، وهو بروز تمّ التعبير عنه بأساليب شتىّ، أهم مظاهرها الجهاد في سبيل الله، العودة إلى الإسلام والإقبال على العبادات وبناء مساجد ومدارس تعليم الدين. وهذه أمور كادت الشيوعية أن

---

(57) حتى الآن ما يزال ذوي الأصل الشيشاني في تركيا والشام ومصر وبكازاخستان وسوريا وروسيا. . . الخ.

(58) Broxup, Marie Bennigsen (editor): *The north Caucasus barrier: The Russian advance towards the Muslim world*, London: hurst, 1992, P.P., 1-3.

تقضي عليها بصورة كاملة لو لا إصرار المسلمين على التمسّك بدينهم ورعاية المقاتلين على الحفاظ على الدين في هذه البِقاع بتأسيس إمامة دينية مقاتلة (مجاهدة)، حتى ظن الكثيرون أنّ طريق عودتهم إلى حظيرة الإسلام باتت أقرب إلى المستحيل.

عِلما أنّ الرّوس اتجهوا نحو الأراضي الشّيشانية الإسلامية في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، حينما بدأت روسيا تُخطط للوصول إلى المياه الدافئة، وكانت منطقة الشّيشان مفتاحا لدخول الرّوس إلى المنطقة الإسلامية سواءً في القوقاز أو في آسيا الوسطى. فلم يتمكّن الرّوس من السيطرة على أراضي الشّيشان خلال القرن السابع عشر، وكانت الحروب طاحنة بينهم وبين المقاتلين والأهالي الشّيشان ولكن أهالي القرم والأتراك هي التي منعتهم حتى حلول العام 1604م، ومنذ هذه السنة حتى 1783م كان الرّوس بعيدين عن الشّيشان وإقليم القوقاز بأكمله لانشغالهم بالحروب في الساحة الأوروبية، ولأنّ الأتراك والإمارات الإسلامية في القِرم كانت في مواجهة لهم، وحينما حلّ العام 1783م، بدأت المرحلة الجديدة من الاستيلاء الرّوسي على هذه المنطقة الحيوية من العالم الإسلامي، فقد تمّ في هذا العام تصفية إمارة القِرم والسّيطرة على عسق . Azacq

ومع بدء هذه الأعمال الرّوسية بدأت أعمال قتالية شيشانية إتخذت طابع حركة الجهاد الإسلامي، واستمرّت المقاومة بصورة متقطّعة حتى انتفاضة الشّيشان والأنغوش في عام 1943م. وعند الحديث عن قتال المسلمين الشّيشان والقوات الرّوسية، ففي الحقيقة أعقب هذا القتال عدة هدن ووعود من الطّرف الرّوسي، كوعد باحترام العقيدة الإسلامية وبأن المسلمين الشّيشان لن يدخلوا الخدمة العسكرية في القوات الرّوسية، وهذا راجع لسببين رئيسيين:

الأول: الخوف من الرّوح والقدرات العسكرية للشيشان.

الثاني: الخوف من انتشار" التعصّب الديني" بعد مهاجمة الشّيشان والأنغوش وداغستان معا. وهو خوف يرجع إلى طبيعة العلاقة بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

ولقد كان من الواضح أنّ روسيا كانت تُبالغ في تقدير القوة العسكرية للشيشان، ولكن مخاوفها كانت حقيقةً من الإمامة المقاتِلة أي من قوة تأثير علماء الدين الإسلامي وقوة معارضتهم للتواجد العسكري الرّوسي في بلادهم، فقد مارست الإمامة ضغوطا قوية على الأهالي للقيام بعمل لدعم المقاتلين قصد تمكينهم من منع أو إيقاف التوّسع الرّوسي، ليدعم بذلك صفوف المقاتلين الشّيشان كل من المزارعين في الريف والحرفيين في المدن. وتحمُس هؤلاء لمقاومة الرّوس هو لسببين:

أولهما: كراهيتهم للروس كمحتلين ولكونهم كفّار (حسبهم).

وثانيهما: أنه بسبب السياسة الرأسمالية لروسيا، فإنّ اقتصاد الشّيشان تعرّض لنكسات مفجعة في أواخر القرن الماضي.

وممّا لا بد من تسجيله، هو أنّه كان من السهل على الرّوس القضاء على ثورات المسلمين الشّيشان وانتفاضاتهم، لانفراد الرّوس بالإقليم وعدم حصول هؤلاء على مساعدات من إخوانهم في البلاد المجاورة، ولأنهّم لم يمتلكوا السلاح اللازم لمقاومة القوات الرّوسية الجيّدة التسليح والتدريب والإدارة. فلم يكن سلاح الشّيشان إلا العقيدة وبعض الوسائل البدائية للحرب (أغلبها غنائم قتالية).

ولم يقتصر المسلمون الشّيشان على الثورات لمقاومة النفوذ الرّوسي وحدها، وإنمّا نمت لديهم حركة إصلاح فكري تُحاول دراسة الأسباب التي أضعفت الحكومة الإسلامية بشمال القوقاز ودفعت الرّوس إلى احتلال البلاد .ونشأت حركات فكرية تُحاول إصلاح العِلل في الفكر الإسلامي السائد وتجديد الفكر وإخراجه من جوّ الرّتابة الذي كان طاغيا على المؤسّسات الدينية، مرتبطة مع بروز حركة الإصلاح الفكري والاجتماعي التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر، وكان من دعاتها الشيخ الفقيه جمال الدين الأفغاني(59). ومن الشّيشان شهاب الدين مرجاني "1818-1899"،

---

(59) Carrer d'encause, helene: *Islam and the Russian Empire*, London: Tauris, 1988, p.p., 58-62.

وإسماعيل بي كاسبيرالي "كاسبير نسكي " "1851-1914 " وأبو النمر الخرصومي التتاري "1783م-1813م"، حيث أرادوا معالجة مشكلة الجمود الذي حلّ بالمسلمين والتقاعس عن القتال والجهاد، وانتقدوا تَلاشي الأسلوب الصُوفي في القتال، وطرحوا بعض الحلول كمطالب للإصلاح الديني، أهمها:

1 - إطلاق حرية الاجتهاد ودعوة الناس إلى فهم القرآن الكريم بصورة مباشرة، والتخلي عن التقليد الأعمى.

2 - مُطالبة المدارس الدينية برفض الأسلوب المتحجر والمحافظ في دراسة فلسفة الجهاد، ورَفض المنطق الأرسطي الذي اعتمد أجيال من الفلاسفة المسلمين، واعتبره مرجاني عائقا أمام حركة العقل المسلم وأحد العوامل التي أسست وخلقت الجمود الفكري والعملي الذي حلّ بمسلمي الإقليم.

3 - المطالبة بتركيز المدارس الدينية على دراسة القرآن والحديث والتاريخ الإسلامي، على أن تقوم بدراسة العلوم الحديثة واللغة الرّوسية باعتبارها" الطريق الذي يمكن من خلاله فهم العدو وتطوّراته".

4 - العودة إلى الثقافة الإسلامية الأصيلة، والنقاء الذي كان الإسلام عليه في عصر الرسالة.

فلقد مزج هؤلاء المفكرين بين دعوتهم للصحوة الدينية ومناصرتهم للعمل القتالي ضد الرّوس، وبين ضرورة إعادة النظر في العلاقة بين المسلمين وروسيا، بحيث يمكن لمسلمي الإقليم الأخذ من الرّوس في معالجة مكامن الضّعف الداخلية لهم.

غير أنّ أهمّ فترة زادت من حماسية المقاتلين الشّيشان في الاندفاع نحو مقاتلة بلا هوادة ضدّ الرّوس، هي الفترة التي أعقبت حلول القرن العشرين، حين شعر مسلمي شيشينيا بوطأة الاستعمار الرّوسي خاصة وأنهّ تزامن مع عمليات استيطان روسية في جمهوريات شمال القوقاز، انطلق فيها التأثير الثقافي الرّوسي الذي زاد من تضايق المسلمين. غير أنّ هزيمة الرّوس في الحرب الرّوسية-اليابانية عام 1904م، بعثت الأمل من جديد في إمكانية

التخلص من السيطرة الرّوسية، فالانتصار الياباني أثبت لأول مرة في التاريخ الحديث أنه بإمكان غير الأوروبي إلحاق هزيمة موجعة بالأوروبي "الأبيض" (الرّوس)، وفوق ذلك كله، فإنّ القوة المهزومة كانت هي التي تستعمر بلادهم، وإزاء هذا التغيّر المهم نشبت ثورة عام 1905م قام بها أهالي القوقاز وآسيا الوسطى المسلمون، وتطورت إلى حركة مقاومة واسعة ضد الإدارة الرّوسية بالشّيشان.

وخلال الفترة 1906–1910م، اتخذت الثورة منحى جديد اتسم بمحاربة الإدارة الرّوسية، ولقد قاتل الشّيشان إلى جانب "نماز بريموكولوف" الذي يُعد فارس آسيا الوسطى ومُحررها. لكن الرّوس تمكّنوا من إجهاض الثورة، فأُصيب الشّيشان بخيبة أمل كبيرة وحاولوا تحصيل حقوقهم السياسية والدينية ضمن الإمبراطورية الرّوسية.

كانت استجابة الرّوس لهذه المطالب زيادة في " الطغيان" والقيود. وزاد في الأمر سوءا تلاعب التجار الرّوس بالوضع الاقتصادي للشيشان، الذي سبّب زيادة الشعور بالخيبة لدى مسلمي شيشينيا، وكانت إجراءات الرّوس تدفع بالشّيشانيين إلى البحث عن البدائل لتُخلّصهم من نير الاحتلال الرّوسي، وفي عام 1916م صدر قرار روسي يُخضع الشّيشان للخدمة العسكرية الفعلية، وبهذا شعر الذين تتراوح أعمارهم بين 19 إلى 45 سنة بالتهديد والخطر، مما أعطى للثورة وَقوداً ودفعاً خاصاً. فقد تمكّن محمد قريان جيندخان "1860–1936م" من قيادة الشّيشان والقبائل التركمانية في "إمارة خيوه"، مستغلاً انشغال الرّوس في مناطق أخرى، لكن القوة الرّوسية تمكّنت من ضرب العشائر المقاوِمة بصورة مرعبة ولّدت حالة من المرارة الشديدة لدى الشّيشان.

وتؤكد الدراسات الحديثة[60] بأنّ كارل ماركس (Karl Marx)، لم يُظهر تعاطفا إلا مع ثورة مسلمي شيشينيا في شمال القوقاز في القرن التاسع عشر، خاصّة ثورة "الشيخ شامل" ضد الاحتلال الرّوسي لشمال القوقاز،

---

(60) Bennigsen and et.al: *Soviet Strategy and Islam*, London: Manillan, hamiltan, 1989, p.p.,5-6.

كما أظهر تعاطفا مع الدولة العثمانية في حربها الدفاعية ضد روسيا، ويرى كُتّاب غربيون أنّ سبب هذا الموقف يعود إلى كراهية ماركس الشديدة للروس ولأسلوبهم في استعمار الشعوب.

أما "لينين"، فلم يُعر أية أهمية للإسلام وللمقاومة الإسلامية بالإقليم، وكان يتخذ موقفا عدائيا من العالم الإسلامي قبل 1917. وقد أولى اهتماماً بثورة الدستور في إيران عام 1906م، ليس لاعتبارها الإسلامي أو لأنها تُمثل نموذجا للدينامية الإسلامية وخاصة دور العلماء المسلمين الشيعة فيها، وإنما كان اهتمامه بها لاعتبارها منبعا لفهم دروس الثورة.

ولكن الفكر الثوري الرّوسي لا يمكن فصله عن الأداء القتالي الشّيشاني وما أضفته من حيوية واندفاع في صفوف الجيش الرّوسي، كمرحلة تَعايش قصيرة بين النظام الشيوعي في موسكو ومسلمي شيشينيا، بسبب انشغال البلاشفة بالحرب الأهلية. وهذا التعايش لم يكن نابعا من بعض التلاقي بين الأيديولوجية الشيوعية والإسلام، وإنما هناك دوافع دفعت بالنظام الشيوعي الرّوسي إلى التعايش المَصلحي مع المسلمين الشّيشان لتتقوّى بهم على أعدائهم من المعارضين لحكم البلاشفة، وأهم هذه الأسباب:

أولا: إنّ المسلمين الشّيشان بجموعهم يكوّنون قوة قتالية كبيرة يمكنها تغيير ميزان الصراع العسكري لأية جهة يميلون إليها، وضمّ الشّيشان إلى الجيش الأحمر يزيد من قوته من جانب ويُضعف قوة خصمه "الجيش الأبيض" من جانب آخر.

ثانيا: إنّ المسلمين وخاصّة الثّوريين منهم، يُطالبون بتحقيق استقلال بلادهم، فإذا تُركوا وشأنهم فقد يلجئون إلى تكوين دولة مستقلة، ممّا تُفقد الدولة الرّوسية أجزاءً من أراضيها وتُضعف هيبة السلطة البلشفية، وتُدخل الجيش الأحمر في حرب على أكثر من جبهة. وعليه فقد استغلّ الشيّوعيّون الروح القتالية الشّيشانية وحاولوا إعطاءهم بعض الوعود لوقت قصير، ليتسنى لهم التفرغ لأعدائهم، بل والاستفادة من قِوى الشّيشان ضدّ الجيش الأبيض.

ثالثا: رغم الشك الذي عامل به البلاشفة شركاءهم من الشّيشان، فإنهّم كانوا يطمحون إلى الاستفادة منهم في نشر النفوذ الرّوسي والشيوعية في العالم الإسلامي الذي لم يخضع للإمبراطورية الرّوسية.

لم تمكث الهدنة بين المسلمين الشّيشان والبلاشفة طويلا، فحينما استتّبت الأوضاع للشيوعيين، بدأوا بتصفية الوجوه الشّيشانية التي اصطفّت معهم أو التي لم تتعاون معهم. وكانت الحملة قد بدأت على الإسلام وانكشف أمرها للشيشان الذين قاموا بانتفاضاتهم الجديدة ضد الحكم الشيوعي الذّي تمكّن بأساليب القهر والعنف من القضاء على هذا التمرد. وقد قامت ثورة العشرين (1920) الشّيشانية على الحكم الشيوعي لدحرِ الرّوس البلاشفة.ففي الشّيشان تولّى بعض المتحمِّسين بداية عمليات الجهاد، فكانت المعارك بين المقاتلين الشّيشان والجيش الأحمر عاتية ودموية، ولم تُخلِّف أسرى بعد أن تكبّد الجيش الأحمر خسائر فادحة. وشملت ثورة العشرين نفس المناطق التي غطّتها ثورة الشيخ شامل من 1834 إلى 1859. كما قاد الثورة أحد مريدي الطريقة النقشبندية وهو سعيد بيك "من أحفاد الشيخ شامل"، وكان قائدها السياسي "الشيخ نجم الدين أوف هوستو" الذي أُنتخب إماماً لداغستان وللشيشان في 1917، وهو يكره الرّوس دون تمييز. وكان يجاهد لتحطيم الإمبراطورية الرّوسية، فوقف ضد الجيش الأبيض ومع البلاشفة لهذا الغرض. لكنه تُوفي عن عمر 90 عاما قبل أن يقود الثورة ضدّ الجيش الأحمر، وترك لمَريديه قيادة الثورة مع الاستعانة بضباط قوقازيين مسلمين كانوا في الجيش الإمبراطوري[61].

وتاريخيا، النزعة القتالية وتصحيح مبادئ المقاتَلة والثورة لدى الشّيشان تأثرّت بانتصار الثوّرة الإسلامية في إيران عام 1979م -كما جاء سابقاً-، حيث قام الأئمة والقادة المقاتلين الشّيشان باستنساخ ما تقوله الإذاعة الإيرانية. كما تمّ توزيع بعض المنشورات والأشرطة بين باقي الشّيشان خاصة في المناطق التي يتعذّر فيها سماع الإذاعة الإيرانية. وتدعو هذه الرّسائل إلى

(61) Broxup, Marie, Bennigsen (editor), *op.cit*, p., 43.

الرّجوع إلى الله سبحانه، والجهاد في سبيله، وتولّى كتابة المنشورات وتوزيعها المقاتلون الشّيشان عن أوامر الإمامة الدينية، وقد وُزّعت في المدارس بصورة خاصة.

حاول علماء الاجتماع السوفيات إعطاء تفسير لهذه السلوكيات الإسلامية، فوُصفت بأنها عبارة عن الخلط بين التقاليد الشعبية والدين، غير أنّ اندفاع الشّيشان للجهاد لنشر دينهم يعطي مُؤشّرات بأنّ الوعي الديني منتشر في أوساطهم، وهذا يدل على أن الإمرة التي تربط بين الإسلام والشّيشان لازالت متينة.

فأصحاب الطُّرق الصوفية تمكّنوا من إدامة وجود الإسلام في نفوس مسلمي شيشينيا والقوقاز. فقد أدرك المتصوِّفة منذ بداية مجيء الشيوعيين إلى السلطة، أنّ الأسلوب الذي كان مُتّبعا لمواجهة الإمبراطورية الرّوسية يجب تغييره وِفقا لمعطيات الحقبة الشيوعية. فابتعد العديد منهم عن أعين السلطات، ولجئوا إلى الجبال والأرياف حيث تضعف المراقبة والتتبّع. ويدل على استمرار المتصوِّفة الشّيشان على حمل راية الجهاد وتصميمهم في الحفاظ على الإسلام، بروزهم بصورة قوية بعد عملّيات الانفتاح التي قادها السوفياتي الرئيس السابق "ميخائيل غورباتشوف" (Mikail ghorbatchov)، والتي تأكّدت أكثر بعد انهيار الإتحاد السوفياتي.

وعلى إثر الثورة الإيرانية، انتشرت الصحوة الإسلامية في إقليم الشّيشان بصورة سريعة وواسعة رغم عمليات القمع التي لم تنته بانتهاء الإتحاد السوفياتي. واندفع الشّيشان بحماس إلى التمسك بالقيم والمفاهيم الإسلامية.

فالإرث التاريخي الحربي الشّيشاني، وليد عن حب وذود المقاتل الشّيشاني عن دينه، فالنظرية الحربية هي وليدة الدافع العقائدي، والمبدأ هو المواجهة المتواصلة في أسمى أنواع المقاتلة ألا وهي الجهاد ضدّ أعداء الدّين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: 217]، إذ كان الغرض من مجموع الحروب هو حماية المسلمين الشّيشان وأراضيهم والدفاع عن مبادئ الإسلام، ولقد أظهر تاريخ الشّيشان أن التحرّر

من الظلم والقهر مستحيل بدون الجهاد، وعندما يكون الجهاد هو السبيل الوحيد الباقي، فإنه من الضروري الانخراط في صفوف الجهاد، في صور حرب إذا ما وقع الاعتداء على شعب مسلم وأرضه ودينه، فالجهاد في صورة الحرب بالنسبة للشيشان وجيرانهم من المسلمين أصبح واجبا عليهم أمام الله، ذلك أنّ الرّوس بالنسبة للإمامة المقاتلة الشّيشانية هي أمّة كافرة، هاجموا الإقليم بقصد تدمير شعوبه والقضاء على دينه، وبالتالي هاته السابقة التاريخية، تُضفي عند مقاتلي العصابات الشّيشانية روحا انتقامية نابعة من وعي قتالي كون الأمر أصبح أكبر من كونه استمرارية تاريخية لنضال الأجداد بل أصبحت من ثمَّ فرض عين وواجب مقدَّس على كل مسلم في بلاد القوقاز، وبالتأكيد على كل مسلم في شيشينيا، فالمقاومة مبدئياً أضحت كفاحاً من أجل إقامة دولة إسلامية حقيقية، وهو بهذا المعنى قتال على طريق استئصال شَأفة الظلم، ولقد تمّت للمقاتلين الشّيشان من العصابات المحاربة شحذ الدّروس من التاريخ الحربي للإقليم، عبر الإمامة التي اعتبرت أنّ الحرب يمكن بشتى الطُرق اعتبارها استمرار لحرب فُرضت على الشّيشان لمدة 450 سنة مضت، مع فترات توقف مُؤقتة. وفضلا عن ذلك فإنّ هذه الحرب عند المقاتلين الشّيشان حاضرا ستستمر ولكن بأشكال أخرى، حتى يُحرَّر شعب الشّيشان المسلم ويَشرع في مباشرة أسباب الحياة وِفقاً لأحكام شرع الله.

وقد تَوصّل مقاتلي العصابات الشّيشانية إلى هذا المفهوم لجهاد آبائهم من واقع خبرتهم في القتال وحقائقه، فلقد استوعبوا وعايشوا الجرائم التي أُرتكبت ضدّ شعبهم، وكان من شأن ذلك أن تفهّموا الوضع الحقيقي الوليد عن تاريخ الإقليم والآثار التي تتَرتب عن التخلي عن الإيمان بالله، فحرب العصابات الشّيشانية ما هي لدى مقاتلي ياسييف إلا مرحلة من مراحل الجهاد الذي يرجع تاريخه إلى المعارك التي سبق ذِكرها مع مستويات متباينة من القوات والجيوش التي حاولت مُساومة الشّيشانيين واستغلال احترافيّة قِتالهم.

3 - السّلفية الجهاديّة:

قبل التطرق إلى أثر الفكر السلفي الجهادي على العمل القتالي لحرب العصابات الشّيشانية، لابد من الإشارة قبل ذلك لكون العديد من المحلّلين العسكريين والسياسيين يُقرنون العمل القتالي الشّيشاني بالفكر الوهابيّ، غير أنّ القيادة العسكرية الشّيشانية تعترف بالإسلام ديناً والقرآن دستوراً والسّنة منهجا، وتحاول الهرب من التفريط والإفراط، ولا تفرق بين المسلمين بالألقاب والمُسمَّيات التي جاءت بها روسيا الأرثدوكسية. وفي الجمهورية الشّيشانية من الأربع مذاهب (الشافعية في الدرجة الأولى، الحنفية، المالكية، والحنبلية)، واسم الوهابية[62] تفرقة جاء بها الرّوس لأجل التفريق بين المسلمين الذين يعيشون بحاكمية الله، وعليه لا علاقة للإقليم بالوهابية حركة أو فكراً.

فبعد تسييس وعسكرة التصوّف عند المقاتل الشّيشاني، فإن انهيار الإتحاد السوفياتي أحدث فراغاً كبيراً على مستوى الدولة، مما صعّد الانبعاث القومي والديني وتداخل مع الإسلام، ودخل البعد الحركي الإسلامي في العمل العسكري بعدما كان سريا، وظهر التيّار السلّفي الجهاديّ. وظهور هذا الأخير، مقرون بعاملين، أحدهما دولي والآخر إقليمي:

*** العامل الدولي في نشوء التيار[63]:**

فلقد شَهد العالم الإسلامي في السبعينات مدّاً إسلامياً شاملا وشعبيا أثرّ في الدول والحياة السياسية والعامة والاجتماعية، وكانت-كما أشرنا سابقا- الثورة الإسلامية في إيران قد أحدثت تحوّلاً كبيراً في الصحوة الإسلامية شملت شباب العالم الإسلامي كله، وامتدّت بطبيعة الحال إلى ما وراء الحاجز الحديدي الذي فرضه الشيوعية على مناطق المسلمين في

(62) نسبة للداعية محمد بن عبد الوهاب.

(63) Alexandre Popovic et Gilles Veirnstein: *Les vois d'Allah: les ordres mystiques dans le monde musulman-des origines à aujourd'hui*, Fayard, 1996, p., 59.

الإتحاد السوفياتي. ولقد ساهم الشّيشان المهاجرون إلى العالم الإسلامي وبخاصّة إلى الأردن منذ نهاية القرن التاسع عشر في توطيد العلاقة بين الشّيشان والعرب والمسلمين واتّصالهم بالحركة السلفية، وانتشار مبادئ الحركة السلفية بمختلف فروعها واتجاهاتها بينهم.

وأدّى تطور الاتصال والإعلام وشبكات المعلوماتية مع تزايد التعليم، إلى تكوين حالة من التداخل الاتصالي بين جميع أطراف العالم، وكانت الصحوة الإسلامية جزءا من هذا الحراك والتحول الذي استخدم الأوعية الجديدة للاتصال وعناصر التأثير.

*** العامل الإقليمي في نشوء التيار:**

يُقصد به جميع الدول والمناطق الإسلامية المحيطة بالشيشان في منطقة آسيا الوسطى وحوض قزوين، وقد دخلت هذه المنطقة في تحولات سياسية واقتصادية كبيرة، وأدى اكتشاف النفط فيها والعمل على استخراجه إلى جعلها منطقة اهتمام عالمي. بيّد أنّ روسيا منذ عام 1993 تحاول إعادة ترتيب المنطقة، معتبرة إيّاها منطقة جوار تؤثر مباشرة على مصالح روسيا وأمنها، وبدأ يظهر في السياسة الروسية منذ عام 1997 طموح إمبراطوري توسّعي، تحاول من خلالها استعادة هيبة روسيا القيصرية والاتحاد السوفياتي سابقا، وفي نفس الوقت فقد تحالفت مع إيران، ودخلت أيضا في التنافس الإقليمي بالمنطقة كلاً من إسرائيل والمملكة العربية السعودية.

ولقد أدّت الصراعات العسكرية مع الروس، عندما سعى يلتسين إلى استعادة شعبيته وهيبة الدولة الروسية، وإعادة الهيمنة الإقليمية لروسيا، إلى نشوء تيار سلفي مسلح، وهو التيار السلفي الجهادي، وترافق ذلك مع تدفق الأفكار الإسلامية الجديدة على العالم العربي، ومشروعات الإغاثة والإعمار والتنمية التي قامت بها مؤسسات إسلامية خيرية، ويمكن تقسيم هذا التيار الإسلامي الوليد بالشيشان إلى ثلاثة أقسام: الجماعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة والأفغان العرب.

أما مؤسس مؤسسة الرسالة فهو مولاي أدوغوف وزير الإعلام، ثمّ

وزير الخارجية لجمهورية الشيشان، ويعتمد أدوغوف على نخُب مدنية. ويَعتقد هذا التيار بضرورة إنشاء نظام إسلامي يشمل منطقة القوقاز وأذربيجان، ويكون للشيشان فيه دوراً محورياً.

وأما الأفغان العرب هم مجموعة من العرب الذين كانوا يقاتلون في أفغانستان، وعلى رأسهم خطّاب الذي اغتيل - بدّس السّم في طعامه -، وكما سبق وأن أشرنا إليه، فهو شيشاني أردني، فقد انتقل من أفغانستان إلى طاجكستان عام 1992م، ثمّ انتقل إلى الشيشان عام 1995 لقيادة الحرب مع شامل باسيف.

ولقد أسّس الجماعة الإسلامية شيشاني أردني يُدعى "أبو سيّاف"، وكان يشارك المجاهدين في كل مراحل انتقاله إلى الشيشان، ثم توفي هناك عام 1997م، وخَلفه عمر كمال أبو عبد الرحمن الشيشاني الأردني.

فالأزمة الحقيقية للتيار السلفي الجهادي مُستمدة من أزمة الشيشان أنفُسَهم، والروس يعملون من أجل الوصول إلى حلّ توفيقي يُرضي الطرفين من حيث تطلعات الشيشان واستقلالهم الترابي، ومن حيث مصالح روسيا الأمنية والإقليمية.

فالصراع المعروض هو بين إرادتين لا ثالث لهما، إما الاستقلال الذي ترفضه روسيا بقوة والذي نادى به جوهر دوداييف[64]، وتُصر على استخدام

---

(64) وهو قائد حركة النضال لاستقلال شيشينيا، ووُلد جوهر دوداييف (جوهر بن داود) عام 1944م، سنة تهجير الشيشان في عهد ستالين، وكانت عائلته من بين المُهجّرين، وأمضى 13 سنة الأولى من حياته في المنفى في جنوب كازاخستان، درس جوهر حتى المرحلة الثانوية ثم عمل كهربائيا، وواصل دراسته ودخل جامعة (فيلا ديقفقاس) ثم التحق بالكلية الحربية عام 1966م، وتخرّج من أكاديمية (تامبوف) كطيار حربي، وفي عام 1968م أصبح عضوا في الحزب الشيوعي، كما كان مطلوبا من جميع الضباط في ذلك الزمان، ثم التحق بدورة عسكريةعليا في (أكادمية يوري غاغارين العسكرية للطيران) في موسكو، وترقّى إلى رتبة لواء، وأصبح مسؤولا عن قوات سلاح الطيران والدفاع الجوّي السوفيتية في منطقة سيبيريا، ثم أصبح قائد القوات السوفيتية الجوية في استونيا، ثم قائد فرقة إستراتيجية للطيران الاستراتيجي البعيد المدى، ويَعدها قائدا لأسراب الطيران المسلح بالأسلحة النووية ومدير الاستخبارات العسكرية في استونيا، وقد رفض أوامر الحكومة السوفياتية عام 1991م، بمهاجمة برلمان ومحطة =

قوّتها العسكرية والسياسية الهائلة لمنع حدوثه، أو الاندماج الشّيشاني في روسيا، وهو ما يصر الشّيشان على رفضه والاستمرار في مقاومة شديدة لم تتوقف على مدى 200 عام، في دورات عنف تذهب وتعود.

فللمقاتلين العرب أثر كبير في نقل الفكر والسلوك الجهادي السلفي للمقاتل الشّيشاني، فمن المعضلات التي تؤرق فكر المواطن الرّوسي هي هوية المقاتلين العرب، وما الذي يدفعهم إلى القتال إلى جانب انفصاليين شيشانيين في بيئة شديدة البرودة. وقد اعتاد الخِطاب الثقافي المحلِّل للوجود العربي في الجنوب الرّوسي (شمال القوقاز) على نعتهم بالمرتزقة، إلا أنّ نموذج "بن لادن-خطّاب" ضرب أساس هذا النّعت، وصار غير مفهوم للكثيرين ما دخْل هؤلاء العرب الأثرياء بالحرب في الشّيشان طالما أنهُم لا يريدون مالاً؟ ويتم طرح هذا السؤال وفي المخيّلة ثبوت تأثير الفكر السلفي الجهادي على جنود روس دفعهم للعمل إلى جانب المقاتلين الشّيشان كمرتزقة، قاتلوا إخوانهم في القومية والدين.

وترى السلفية الجهادية على يد القائد العسكري خطّاب أنّ حرب العصابات التي تتّشح بالسلفية وتتسلح بالدين هي أكبر من أن تتوقف لموت قائد أو اختفاء زعيم، فعشرات الزعماء والقادة ممن مرّوا على الشّيشان كانوا في طليعة المدافعين عن أراضيهم ودينهم، وربما منذ 1999 قد تؤثّر الضربات الرّوسية على عزيمة الحركة السلفية الجهادية بعض الوقت، وربما يهدأ التيار في وقت آخر، إلا أنّ الجناح المقاتل (المسلّح) منها لا يتوقّف.

ويَعتبر القادة العسكريون الرّوس، أنّ هذا التيّار تزامن ظهوره مع وصول مقاتلين مسلمين(65) من دول مختلفة إلى العاصمة الشّيشانية غروزني

= تلفزيون استونيا في أحداث جانفي 1991م وعاد إلى الشيشان، واستقال من الجيش السوفياتي للتفرّغ للعمل السياسي في بلاده، وقد أُنتخب رئيسا للشيشان في أكتوبر 1991م، وكان هدفه الحفاظ على الاستقلال وحمايته والحصول على الاعتراف به، وقاد النضال ضد الروس إلى أن أُستشهد في أفريل 1996م في ميدان المعركة على إثر هجوم صاروخي، وخَلَفه "سليم خان يندر بابيف".

(65) Jean Lateguy: *Les Mercenaires*, Paris: presses de la cité, 1960, p., 222.

لدعم المقاتلين الشّيشان، وهم متطوّعون من منظّمة تُسمى (الجيش القومي العربي) وحوالي مائة آخرين من منظّمة (جبهة الدفاع عن الإسلام) استطاعوا الدخول إلى الأراضي الشّيشانية لينضمّوا إلى صفوف القوات الشّيشانية الانفصالية. كما أنّ (منظّمة المجتمع القوقازي) في تركيا تقوم بتنظيم مجموعة من المتطوّعين مُكونة من 300 مقاتل كانوا قد اشتركوا في القتال إلى جانب الألبان ضد الصرب في كوسوفو لإرسالهم إلى الشّيشان.

فظهور التيار السلفي الجهادي بالشّيشان مَقرون كذلك بالانتكاسات المتلاحقة في كثير من أراضي الشّيشان والتي قوبلت بالصمت والتجاهل الملفت للانتباه من طرف الإسلاميين أنفسهم. الأحداث لم تكن متجانسة من حيث المتغيرات المتحكمة فيها، ولكنها كانت جميعا متشابهة في خلفيات البنية الفكرية والذهنية التي حرّكتها، وفي النتائج التي أفضت إليها.

فلقد دأبت أدبيات بعض الكُتّاب الإسلاميّين كمحمد فراج صاحب كتاب" الفريضة الغائبة" على سرد السيّر الإسلامية، وأحداث التاريخ المختلفة، بكثير من المثالية التي تَلغي من الاعتبار كل الحسابات والإحترازات السُنيّة، حتى اضمحلت الأهداف في تصوّر الجيل الذي تربى عليها، من قوة وزخم الوسيلة. فإذًا بالجهاد الشّيشاني يتحول إلى غاية في ذاته ومُبرر وجود، ودليل إيمان.

ففي سنة 1996، وبعد حرب قادها شعب الشّيشان كانت الأعنف، اندحر الرّوس وتراجعت جيوشهم خارج أراضي شيشينيا. كان ذلك حدثاً تفاءَل له المسلمون، خاصّة وأنّ روسيا كانت تمر بأزمة سياسية واقتصادية شاملة تحت قيادة بوريس يلتسين، حيث أصبح حينها استقلال الشّيشان قريبا، بعد أن بدأت الجمهورية الجديدة في تشكيل هيئاتها الدستورية والتمهيد لمرحلة انتزاع الاعتراف. لم يكن أحد يتصوّر حينها أنّ روسيا ستعيد الكرّة، فحتى اتفاق السلام الموقّع بين الطرفين، والقاضي بمنح الشّيشان استقلالا ذاتيّا، كان يُنظر إليه على أنّه اتفاق ابتدائي[66] يحفظ

(66) من جملة مبادئ هذا الاتفاق: =

لروسيا ماء وجهها، ليستيقظ العالم على أنباء حرب جديدة في داغستان المجاورة، ليتبيّن أنّ فصائل من المقاتلين الشّيشان وراءها، كان شعارهم إقامة دولة إسلامية على أراضي داغستان وشيشينيا.

فالحرب الأفغانية والشّيشانية تستندان لهذا التيّار السلّفي الجهاديّ، والجامع بين هذه النماذج المتقاربة في الزمن هم الشباب المقاتل المسلم، والذي يُحرّكهم الاندفاع الوجداني ويضع أحلامهم التي ليست في الحقيقة إلّا استنساخا لتجارب الماضي، بكل تفاصيله الشكلية والدقيقة، والمتمثلة في الترسبات العاطفية. فالتيار السلفي الجهادي لدى مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية، تمُثل استمرارية لفتاوى شيخ الإسلام "تقي الدين ابن تيمية"، فهم يمُثلون حالة نفسية أكثر منها فكرية أو عسكرية.

لم يكن ذلك التيار وحده هو الصّانع لهذا المقاتل، فالانسداد الفكري والسياسي للحركة الإسلامية كان عاملا هاماً ومؤثراً في استفحال هذا التيار، إضافةً إلى الميولات النفسية والمُرّكبات الثقافية الخاصة بكثير من مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية.

= 1 - اتفاقية على أسس العلاقات بين روسيا الفدرالية وجمهورية الشيشان، والتي أقرّت طبقاً للمبادئ والقوانين والأعراف الدولية، أن تُنفّذ قبل 31 ديسمبر 2001م.

2 - تُشكّل ولغاية تاريخ 01 أكتوبر 1996م لجان مشتركة، تضم ممثلي أجهزة السلطة الفدرالية وجمهورية الشيشان، وتكون أهدافها:

(أ) ممارسة تنفيذ مرسوم رئيس روسيا الفدرالية الصادر بتاريخ 15 جويلية 1996م-والخاص بوضع حدّ للنزاع في الشيشان-وتحضير المقترحات مع إنهاء انسحاب القوات.

(ب) تحضير الاقتراحات لإعادة العلاقات المتبادلة في مجال الميزانية والمالية والنقد.

(ج) تحضير وتقديم البرامج لإعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي إلى حكومة روسيا الفيدرالية.

(د) ممارسة مراقبة مُنسقة بين الطرفين لنشاطات أجهزة السلطة وغيرها من المنظمات ذات العلاقة، عند تأمين المواطنين والمواد الغذائية اللازمة.

3 - يقوم التشريع في جمهورية الشيشان على أساس مراعاة حقوق الإنسان والمُواطن، وحق الشعب في تقرير مصيره على مبادئ المساواة بين الشعوب، وتأمين حقوقه وأمن المواطنين من القوميات الأخرى، والمقيمين على أراضي جمهورية الشيشان، بِغض النظر عن انتمائهم العرقي والديني، والاختلافات الأخرى.

4 - تُنهي اللجنة المُوحدة عملها بالتنسّيق فيما بينها.

ضِف إلى ذلك كله، دور المدرسة القتالية الأفغانيّة في تكوين الروح الجهادية عند المقاتلين الشّيشان وإضفاء صورة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم على السلوك القتالي لأفراد حرب العصابات الشّيشانية. ولا أحد يزعم أنّ الدوافع والظروف كانت متجانسة في كل الحالات، فالخاصيّات المحليّة كانت لها إسهاماتها بشكل أو بآخر، لكن ما يجمع بين أفراد حرب العصابات الشّيشانية هو المقاربة الدينية التي يحملها الجميع، فهم خرّيجوا نفس المدرسة التي أخذت شكلها الراهن في أرض أفغانستان، والتي جمعت في نفس القالب مفهومين: أحدهما نظري، والمتمثل في المنهج السلفي الجهادي المعاصر في فهم الإسلام، والآخر تطبيقي، يتمثل في تبنّي العنف الثوري كأداة وحيدة وواجبة لإحداث التغيير الشامل، ثمّ جُعل الثاني خادماً للأول. فرغم أنّ مظاهر السُخْط الشعبي في الشّيشان كانت على الظلم والاستبداد والاحتلال الأجنبي، إلّا أنّ هدف المقاتلين الشّيشان من عِلّية التغيير الشامل التي تمخّضت عن ذلك التزاوج، كان هو استبدال الوضع القائم بوضع يكون فيه المنطق الفطري السلفي هو الذي يحكم القيم ويُرتب الأولويات.

لقد أدّى اعتناق المقاتلين للسلفية الجهادية إلى إفراز جيل من الشباب مشتركون في عمق الفهم للمقاصد العليا للإسلام، معتمدون كليّة على النصر الإلهي مُولين اهتماما كبيرا بالأسباب والمسببات، والعلم بحقائق التاريخ والجغرافية والعالم الذي يعيشون فيه.

لتتحول السلفية الدينية لسلفية مقاتلة، وهو خليط من الجهادية في جديّة الطرح وحرفيته، وحكمة الإدراك للعالم ومتغيراته ومن الصوفية في إدراك المتطلبات والشروط المادية التي تؤثر بشكل أو بآخر في جدوى وأسلوب تعاطيها مع الأحداث.

ولعلّ ما يميّز الشّيشان المقاتلين في اعتناقهم للسلفية الجهادية، هو إيمانهم العميق بقدرة السلاح ليس فقط على التغيير بل وأيضا على الحُكم، وهو ما يجعل خطرها أعظم وأكبر على بلاد الرّوس أنفسهم. فالقوة كأداة لفرض السلطة، والولاء كواجب، هما البديلان اللذان يبشّرون به المجتمع

الشّيشاني، بالإضافة إلى ترسيخ الحرية وسيادة الأمة. ومن الجدير التذكير به أن أيّة حركة تغييرية إسلامية تحمل معها جملة من المبادئ الموضوعية التي تكوّن برنامجها الذي تُقاتل من أجله، وهو الملاحظ في المقاتلين الشّيشان الذين تبنوّا العنف الجهادي، ورغم السعي إلى تحقيقه لم يَعن- في كثير من الأحيان- عودة المقاتلين إلى معسكراتهم ووضع السلاح، إلّا أنّ المعارك كانت عادة ما تستمر وراء ذلك. ويمكن اعتبار السلفية الجهادية وبناءا على التجربة الأفغانية، ليست لها-في الواقع- أهداف موضوعية واقعية تنتهي عندها الحرب، فالجهاد بالنسبة إليهم فريضة غائبة يجب إحياءها، والعدو غطاء يدخل تحته كلّ مخالف حسب ظروف المكان والزمان، فالأمر لا يتطلب سوى بعض المزاج والاستدلال الملتوي.

ومن جوهر أفكار السلفية الجهادية لدى مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية: "الجهاد"، فهو لديهم ليس ضرورة اقتضتها شروط معيّنة لبلوغ هدف ما، بل هو دين، وأسلوب حياة، وغاية لا تتطلب أسبابا موضوعية حتى تكون، ولا مشروعا واضحا تنتهي عنده آلة الحرب، ولعلّ حالة الإيمان والاندفاع التي أصبح عليها المقاتلين الانفصاليين، بعد جرائم روسيا بغروزني، لأكبر دليل على بُعد الرؤية، وامتلاك لمشروع بِناء بعد زوال مبررات الهدم. غير أنّ السلّوك الرّوسي السّلبي يجعل من مشروع حرب العصابات على كل الجبهات متواصلة، حرب تقود لحرب، وجهادا يُنجب جهاداً، كي تَظل الجذوة مشتعلة، ومبررات الوجود قائمة.

فالسّلفية الجهاديّة كبيئة دينية فكرية وسلوكية، حوّلت المقاتلين الشّيشان إلى كائنات حربية متديّنة، وليس هناك لُغز وراء هذا النمّوذج القتالي سوى ذلك الفكر الحي، القائم على الأشياء والأشكال ذات المقاصد والغايات. فالجهاد في حدِ ذاته يُعتبر كوسيلة أو أداة وفي نفس الوقت هدفاً قائما بذاته، يعيش الواحد منهم لأجله ويموت عليه. تحت فكر سلفي يحتقر الدنيا ويسعى من وراء الجهاد المسلّح إلى التمكين فيها ويختصرها في ساحة القتال.

واعتماد مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية على هذا التصور

الإسلامي، يُقيم حضراً على الأهداف المصلحية، ويعتبرها مُكملة لحقائق الإيمان، التي قد تجعل كل شيء متشابه، عدا ذلك الدّين الذي يحشرهم واقعياً في منطقة تربطهم بمجتمعاتهم وبالعالم الذي يُفترض على المسلمين أن يُفيضوا عليه مسؤولية أبوية بحكم رسالتهم. ولقد اعتمد جهاد وحرب العصابات الشّيشانية على مبدأ رفض الآخر الغير موحد، كمنهج تحت شعار: "لا حوار، لا هدنة، لا شيء"، ممّا كان يعني بوضوح حضور البرنامج والعقل في السلوك القتالي الشّيشاني.

لم تكن هذه الفئة لتُحقق الفاعلية باعتناقها للسلفية الجهادية، لولا توّفر أرضية فقهية أنجبت بنكاً للفتاوى الجهادية المعاصرة(67)، والتي ترى أنّ تحقيق الغلبة غاية يهون في سبيلها كل شيء آخر، مُراعين في ذلك حياة الأبرياء. وأهم ما يجعل هذا التوجّه خطِراً على الوجود الرّوسي، هو مبادرته لتبني قضايا بقية المسلمين القوقاز، في البداية على الأقل، ليكتشفوا فيما بعد أنّ معركتهم (أي معركة الشّيشان) هي معركة باقي مسلمي القوقاز، وأنّ أهدافهم تعكس أهداف الأمة. ولعلّ أهمّ ما شجّع هذه الطائفة ودَعّم وضعها القتالي هي فتاوي شيوخ وأئمة الأمة من الفقهاء المتنورين كالشيخ ابن الباز والشيخ ناصر الدّين الألباني، باعتبار أنه قد يختلف الناس في جهاد الطلب الذي يعني جهاد الفتح، وإنما الشيء الذي لا خِلاف عليه أبدا هو جهاد المقاومة، مقاومة المحتل لأرض الإسلام بغير شرعية. وعلية وحسب الفقهاء: "إنّ الجهاد حين يصح فرض عين تخرج المرأة بغير إذن زوجها ويخرج الولد بغير إذن أبيه ويخرج الخادم بغير إذن سيّده، لأنّ الحقوق الفردية تسقط أمام حق المجتمع وحق الأمّة، ويسري ذلك على أرض الشّيشان". وبالتالي السلفية الجهادية تَعتبر أنّ الدفاع عن الذات والدفاع عن الوجود وردّ الغُزاة أمر تُقره شرائع السماء وقوانين الأرض وسُنن الفطرة، علماً أنّ المقاومة التي فرضها الإسلام هي صائبة. فقد جاء على ذكر العزيز

(67) الدكتور. عدلي علي أبو طاحون: سوسيولوجيا التطرف الدّيني-جذور ومظاهر التطرف الدّيني بين أتباع الديانات السماوية مع دراسة للواقع المصري، الأزاريطة-الإسكندرية: المكتب الجامعي للحديث، 1999م، ص303.

الحكيم في القرآن الكريم ما يلي: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: 190]، وهو أمر بمُقاتلة من يحمل سلاحاً بقصد القتل والنّهي عن الاعتداء على غير ذلك.

والرسالة الواضحة الأُولى في السلفية الجهادية لمقاتلي العصابات الشّيشانية، هي الاجتماع على فكرة واحدة أو عقيدة واحدة على مستوى التطبيق والتصرف والسلوك القتالي، ومن ثَمّ الاصطلاح على خوض الصعاب من خلال الجهاد كفكر حركي ظاهر. يُعد أول مدلول أُقترن به هو: القتال أو البعد العسكري الإسلامي، لذلك قبل أن نتكلم عن المستوى التكتيكي الظاهر- وهو موضوع البحث الآتي-، يجب ألّا نُقلّص المفهوم في هذا البعد بداية، بل يجب أن نتطرق إلى دافع الفعل ومحركه، أو بتعبير أدق ما هي الإحالة التي يقود إليها فعل الجهاد الحركي المُمّثل في حرب العصابات للمقاتلين الشّيشان؟، وهذا من حيث البحث عن أسباب هَجر مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية لوسائل الترف أو لرغد العيش أو الحياة المستقرة، ومن ثَمّ كيفية العيش على هذه الأرض التي لا يملك فيها المقاتلين أهل أو عزوة أو زوجة. كل هذه الاستفسارات تساعدنا على استيعاب مفهوم الجهاد كبُعد عقائدي لحرب العصابات الشّيشانية بداية يتم تجسيده عملياً، ومن ثَمّ محاولة إدراك نماء المفاهيم السلفية الجهادية في المقاتل الشّيشاني (المجاهد) وتراكمها بداخله حتى يصبح عملاً حركياً، وهو ما يؤدي إلى فهم واستيعاب المفهوم الديني لنموذج حرب العصابات الشّيشانية، ومن ثَمّ هذه الأخيرة-كمفهوم- نجد أنها مركبة ومتصاعدة تكون المرحلة القتاليّة هي مرحلة ظاهرة فيها وليست كلاً لها. ولعل دراسة السلوك القتالي لحرب العصابات الشّيشانية سيبدأ من المرحلة المفاهيميّة العقائدية المتخفيّة في أهداف المقاتلين الشّيشان حتىّ تجليّاته وحركته القتالية العلنية عبر تكتيكات ميدانية سيكون المبحث الآتي موضوعاً لها. وهو ما سنحاول الإمعان من خلاله على الفعل الظاهري للسلوك القتالي الشّيشاني الجهادي.

رابعاً: أهداف وتكتيك حرب العصابات الشّيشانية

ناهيك عن البعد الدّيني لعمل حرب العصابات الشّيشانية، فيمكن اعتبار أنّ مرامي هذا السلّوك القتالي هو امتداد لتاريخ المقاوِمين بالإقليم، ويمكن لنا تلخيصها فيما يلي:

دفع روسيا من أجل اعتراف رسمي بالشّيشان كدولة لها أرض وحدود وشعب وحكومة ذات سيادة.

تجسيد الأحلام الشّيشانية بإمبراطورية شمال القوقاز المسلمة[68]، وهو الأمر الذي يتطلّب:

1 - أن يتم ضم داغستان وأنجوشيا وبقية الجمهوريات الإسلامية الصغيرة المنضوية تحت الإتحاد الرّوسي والواقعة في إقليم شمال القوقاز. وانطلاقا من ذلك استغلّ قادة الشّيشان الانفصاليين الإضطرابات التي وقعت بين الحكومة الداغستانية وقِطاع عريض من الشعب الداغستاني- ذي الأغلبية المسلمة كما في الشّيشان-، وقاموا بإرسال قواتهم إلى هناك بغية تحرير الشعب الداغستاني المسلم من السيطرة الرّوسية، غير أنّ شامل باسييف - أحد القادة البارزين للشيشان-، يرى أنّ هدف تحرير الشعب الداغستاني هو هدف ثانوي إلى جوار الهدف الرئيسي المتمثل في استكمال الحلم الشّيشاني من خلال توحيد جمهوريات القوقاز المسلمة وتأسيس دولة إسلامية واحدة في هذا الإقليم.

2 - قيادة العمليات العسكرية لكل الشعوب القوقازية المسلة الرافضة للتواجد الرّوسي على أراضيها، على شكل فتوحات عسكرية على نهج سرايا الرسّول صلى الله عليه وسلم.

ويتضّح هنا أنه من أبرز الدوافع الشّيشانية هو توحيد جمهوريات شمال القوقاز تحت راية الدولة الإسلامية الموحدة.ومن أجل تحقيق ذلك اتبعت

---

(68) أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية -بعد مُضي الفتوحات النبوية- الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، 1997م، ص95.

حرب العصابات الشّيشانية استراتيجية قامت على ثلاث مراحل لبلوغ مقاصدها في النهاية، وهي:

أ - **مرحلة التوعية**: حيث تمت دعوة الناس للعودة إلى أصولهم الإسلامية، ورفض التواجد الرّوسي في داغستان وحتمية إعلان الجهاد ضده، وقد اعتمدت هذه المرحلة على أشرطة التسجيل والإذاعة الموجَهّة وبعض أتباع الشّيشان من الطلبة.

ب - **ثانيا: مرحلة التدريب**: وهنا يتم اصطحاب المستجيبين للدعوة من الشباب بغية تدريبهم في معسكرات خاصة لتعليم الجهاد ضد كل ما هو غير إسلامي، وهي المعسكرات التي يُشرف عليها المقاتل العربي الخطّاب.

ج - **مرحلة الجهاد**: وهي المرحلة التي يتم فيها تنفيذ ما تم التدّريب عليه، من رصد لمناطق التواجد الرّوسي في الإقليم، إلى تأمين طرق الوصول إليها، إلى التنسيق مع الوُلاة والحكام على هذه المناطق من أجل تخزين السلّاح وتواجد المجاهدين داخلها، وصولا إلى تنفيذ هجمات مؤثّرة على القوات الرّوسية، تتخذ شكل حرب عصابات.

تُعتبر حرب العصابات من حروب الشعوب الضعيفة ماديا والمقهورة، المتطلعة دائما إلى الحرية والاستقلال، وهي حرب دينية لدى الشّيشان قبل أن تكون سياسية، تستهدف إلى إحداث إحباط معنوي لدى الجنود الرّوس والإيمان باستحالة النّصر، زيادة إلى ذلك التشكيك في خطط وعناصر الثقة في صفوف القوات المسلحة الرّوسية. وتعتمد حرب العصابات الشّيشانية في الأساس على ضرب ركائز القوات الرّوسية السياسية والاقتصادية وضرب البنيّة التحتية للرّوس، وإحداث الحدث ليصبح العمل العسكري عمل صغير أو متوسط أو كبير، يحُدث واقعا سياسيا يتم التحرك عليه دبلوماسيا.

وأوّل ما تعتمد عليه حرب العصابات الشّيشانية أمام التفوق المادي العسكري للرّوس هو العمل الفدائي (الاستشهادي)، والذي يحتاج إلى ركيزتين:

1 - القاعدة الأمامية وهي رئة حرب العصابات، والمنطقة الجغرافية التي

تستطيع الأجهزة العسكرية واللوجيستيكية أن تنطلق منها باتجاه التحّرك والتعبئة.

2 - قواعد الارتكاز في مناطق آمنة في حدود الشّيشان، والتي لها حدود مع جيرانها إما علنية أو سرية، أو في ما بينها: منها تدريب معسكرات آمنة وتنطلق من حرب جبهات إلى حرب عصابات عارمة تعبئ بها الجماهير لتأخذ بها شكل من الكفاح المسلح والكفاح المدني.

وتعدّ حرب العصابات الشّيشانية من "حروب القوات غير النظامية"[69]، والتي ظهرت كشكل من أشكال حرب التحرر الشعبية في الصين قبل أكثر من 2300عام، وحرب العصابات البوليفية والكوبيّة، وحرب الجزائر وفيتنام. غير أنّ الأمر يتعلق هنا بالشّيشان كرجال ربّانيين أكثر من كونهم وطنيّين، أرادوا أن يُشعلوا نيران الإيمان بشجاعتهم معتصمين بجبال القوقاز ومناطق الغابات والمستنقعات وفي داخل المناطق المأهولة، فكانت كأداة لتعويض قلّة عدد مقاتلي العصابات الشّيشانية، بالإضافة إلى حركتهم السريعة ومعرفتهم للأراضي والمناطق التي يعملون فيها.

1 - النّقاط الرئيسيّة في تعبئة تكتيك حرب العصابات الشّيشانية:

أ - العمل بالذّكاء:

- فمقاتلي العصابات الشّيشانية يتظاهرون بالهجوم على نقطة ويهاجمون غيرها، وبذلك يتجنبون حذر القوات الرّوسية.
- يختفي المقاتلين في بعض الأحيان ويظهرون في البعض الآخر، حتى يرتبك الجنود الرّوس فيجهلون مكان تواجد المقاتلين الشّيشان بالضبط.
- يتجنّب المقاتلين نقاط القوات الرّوسية القوية ويهاجمون الضعيفة منها، وبذلك لا يتعرضون لمعركة يستطيع الرّوس أن يقضون عليهم.

---

(69) Bruce Hoffman: *La Mécanique Terroriste*, traduit de l'anglais par: Bertand Dietze, Calmann-Levy, 1999, p., 217.

- إدراك المقاتلين متى يجب الإقدام وحتى يجب التراجع، والقصد من وراء ذلك هو تدمير القوات الرّوسية بسهولة، ولذلك يعمدون للانسحاب عندما يكون العدوّ قويّا.
- لا يتابع أفراد حرب العصابات الشّيشانية القتال إلا إذا ضمنوا النجاح، وفي حال ضمان النجاح، ينقضّون بجرأة لسحق القوّات الرّوسيّة.
- لا يستعمل المقاتلين أبدا الخطة نفسها، فيسهل وقوعهم في الفخاخ وتصبح المفاجأة.

ب - سرعة البديهة: (كيف تحصل على عامل المبادهة في الحركات).

فالمقاتل الشّيشاني يفتش دائما عن بداهة الحركات، وهذا يعني أنه يُجبر الجندي الرّوسي على ترتيب خططه بناءً على أعمال وحركات المقاتل الشّيشاني وذلك عن طريق:

- مهاجمة المقاتلين الشّيشان على الدوام، فلا يتركون للقوات الرّوسية الفرصة أن ينتقلوا إلى الهجوم، وإجبارهم على البقاء في مواقعهم.
- إذا تمكّنت القوات الرّوسية من الخروج للهجوم، فستحاول العصابات المقاتلة الشّيشانية أن تهاجمهم في مؤخراتهم قبل بدأ الهجوم، أو يحاولون أن يتملّصوا إذا كان الرّوس أقوياء ولكن لا ينتظرونهم الشّيشان إلّا دفاعيا.
- إذا حاولت القوات الرّوسية أن تتقدم بسرعة، فسيحاول المقاتلين الشّيشان أن يبطئونهم، وإذا حاولوا الاستراحة، فسيعمد المقاتلين الشّيشان إلى إضاعة أسباب الراحة لديهم.
- إذا أرادت القوات الرّوسية إتباع طريق واحد، فالمقاتلين يجبرونهم على إتباع عدة طرق.
- دراسة قادة حرب العصابات الشّيشانية لموقف القوات الرّوسية (القيادة)، لمعرفة ترتيباتهم ووضع مُحاربيهم وضباطهم ومعنوياتهم الحربية.

- إنقاص قوات حرب العصابات الشّيشانية لنقاطها الضعيفة إلى الحد الأدنى.
- اكتشاف نقاط القوّات الرّوسية الضعيفة.

جـ - الإدارة الهجوميّة:

- ويُعد شرطاً أساسياً للحصول على المبادهة، فإن كان هدف القوات الرّوسية هو متابعة الحرب للقضاء على حرب العصابات الشّيشانية، فالمقاتلين الشّيشان يعمدون إلى عدم الارتكان إلى الدفاع ومنع القوات الرّوسية أن تلقاهم في المكان الذي تريده، بالإضافة إلى مهاجمتهم على الدوام ليركن الجندي الرّوسي إلى الدفاع.
- سحق القوات الرّوسية، وهي الغاية النبيلة التي يسعى المقاتلون إليها، إذ مُقاتلة الرّوس هو لإقامة الدين ثم لتحرير الشعب، فهم لا يدَعون أية فرصة تفوتهم لسحق العدوّ.
- يعمل المقاتلين الشّيشان من أجل مهاجمة العدو على الدوّام، فهم يفتّشون عن نقاط الضعّف العسكري الرّوسي، وينتظرون فرصة مهاجمتهم لينتقلوا فورا إلى مهاجمة غيرهم، وبهذه الطريقة ستكون لهم المبادهة[70] على الدّوام.
- تطبيق مبادئ تكتيكية المنسوبة لماوتسي تونغ، والتي ترجع في حقيقتها إلى فُرسان صعاليك الجاهلية العرب وإلى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهمها:
  * انسحاب المقاتلين الشّيشان إذا تقدمت القوات الرّوسية.
  * إزعاج المقاتلين الشّيشان للقوات الرّوسية إذا أقامت.
  * مهاجمة أفراد العصابات الشّيشانية للمقاتلين الرّوس متى تعبوا.
  * متابعة المقاتلين الشّيشان للفصائل الرّوسية إذا انسحبت.

(70) المبادهة تكتيكياً معناه أن تكون صاحب المبادرة الأولى والأسبقية، ومن ثمّ تحقيق مبدأ المفاجأة كأحد عناصر التفوّق وهزم الخصم.

د - العزم وعدم التردد في اتخاذ القرارات:

فالمفاجأة والعزم عنصران توأمان لدى مقاتل العصابات الشّيشانية، وتتلخص أهميتها فيما يلي:

- إذا وثِقت القوات الشّيشانية من النجاح في معركة مهما كان مداها، فسيهاجمون فورا.
- إذا وجَدت القوات الشّيشانية - ولو في منتصف المعركة - أنّ خطط النجاح غير أكيدة، فإنها ستنسحب فورا.

هـ - السرّ:

- سوف تجد القوّات الرّوسية في أي حال من الأحوال وسيلة لإيجاد الجواسيس والخونة في صفوف حرب العصابات الشّيشانية، وخاصة من أولئك الذين يعيشون بين الأهالي الشيشان.
- فوراء خطوط القوات الرّوسية من السهل أن يكتشف الرّوس نوايا المقاتلين الشّيشان إذا لم يسيطر المقاتل الشّيشاني على كل حركة من حركاته.

ويقوم القائد الميداني بإلقاء تعليمات قتالية لعناصره المقاتلة قصد تأمين حياتهم وخططهم العسكرية وتتمثل لدى الشّيشان فيما يلي[71]:

- إياكم والتفوه بما تعملون قبل وأثناء وبعد العمليات.
- لا تخرجوا عن آداب الحرب الإسلامية ولا عن طريقة عيش الشعب في المناطق المحتلّة.
- تجنّبوا الطرق الرئيسية أثناء التنقل، واقتربوا من القرى بحذر شديد.
- عند اتخاذ ترتيبات القتال، تحرّكوا أقل ما يمكن، وتكلّموا أقل ما يمكن، ولا تشْكوا من التعب أو من الجوع (الصبر).

---

(71) عرموش أحمد راتب: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، بيروت: دار النفائس، سنة 1423هـ-2002م، ص.ص.، 65-66.

- انتبهوا إلى كونكم لم تخلّفوا من ورائكم آثارا في المكان الذي تركتموه.
- لا تدعوا عناصر استخباراتكم واستعلاماتكم وارتباطاتكم تحمل أي وثائق، تضر بخططكم إذ تدلّ عليكم.
- شدّدوا الحراسة الدّائمة، واحذروا جواسيس الرّوس، واقتلوهم دون رحمة أو شفقة.
- على الرؤساء أن يكونوا قدوة لمرؤوسيهم في المحافظة على السرّ، وتوجيه الشعب الشّيشاني لهذه الغاية.

و - السّرعة:

وأهمها لدى مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية:

- عامل المفاجأة وحفظ النجاح ضئيل، إذا لم تستفد حرب العصابات الشّيشانية من عامل السرعة في ضرب نقاط ضعف القوات الرّوسية.
- تعمد القوّات الشّيشانية لأن تكون الأسلحة والذخائر والمتفجرات والألغام وجميع معدّات القتال بحالة جيدة دائما وقريبة من مكان التجّمع وكذلك يجب أن تتصف بالنسبة إليهم جميع الحركات والأعمال اليومية من أشغال ودراسات واجتماعات بعامل السرعة.
- أثناء القتال تعمد القوات الشّيشانية إلى أن تُنفّذ جميع الانقضاضات وكذلك الرمايات والتراجع بسرعة فائقة، وكذا تحطيم معنويات العدو منذ الدقائق الأولى للقتال وبصورة خاصّة في الكمائن.
- تعمد حرب العصابات الشّيشانية إلى الإلمام بطبيعة الأرض بشكل جيد، وكذلك فهم الخطة وفن القتال ونوع القوات الرّوسية، والثقة بالنصر.

ي - الإتقان في سحق القوّات الرّوسيّة:

- يتم سحق الجنود الرّوس -لدى المقاتلين الشّيشان-[72] بقتل أفراده

(72) Isabelle Facom: *La seconde guerre de Tchétchène, les aspects politico-militaires*, France: Strasbourg, I.E.P, 2001, p.p., 19-20.

والإستيلاء على أسلحتهم وهو بالنسبة إليهم أكثر نفعا لهم من دحر مائة جندي.

- الثقة العمياء التي يسعى المقاتل الشّيشاني لتحقيقها مهما كلّف الأمر، هو أمر ضروري لدى قيادة العمليات لحرب العصابات الشّيشانية (مادامت قيادة العصابات لم تأمر بمعصية أو بمخالفة أمر شرعي ديني).
- التصميم على الموت في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد هي الغاية التي يعمل ويؤمن بها كل مقاتل.
- الاستناد إلى القوى الشعبية والتموين من قبل الشعب بالأرزاق والمُؤن، حيث لا يمكن لأي ثورة أو لحرب شعبية أن تنهض وتنجح دون دعم الشعب لها، وخصوصا في مؤخرات القوات الرّوسية وفي المناطق المحتلة كقدرميس وغروزني وآرغون بالنسبة للقوات الشّيشانيّة.

ومن مبادئ التكتيك الهجومي لحرب العصابات الشّيشانية:

1 - جمع القوات الشّيشانية لقواها، وضرب القوات الرّوسية منفردة ثم الانتقال إلى ضرب تجمّعات وتحشدات الجنود الرّوس.

2 - مهاجمة المقاتلين الشّيشان للمدن الصغيرة كدبيورت وشاتوي ثم مهاجمة المدن الكبيرة كفيدينو قصد تحريرها.

3 - الهدف المهّم والرئيسي لدى رجال العصابات الشّيشانية هو تدمير قوى القوات الرّوسية، وليس استرجاع المدن فحسب.

4 - في كل معركة تخوضها القوات الشّيشانية، تحاول فيها أن تحشد أمام القوات الرّوسية التي تفوقها بضعف أو ثلاثة أضعاف الهدف قصد تدميرهم نهائيا، ولكنها تعمد في نفس الوقت إلى تجنب خوض معركة إنهاك، فالغنائم لا تَعال الخسائر.

5 - لا تخوض القوات الشّيشانية المعركة إلّا حينما تكون واثقة من النصر.

6 - تعمد القوات الشّيشانية إلى خوض عدة معارك متتابعة دون استراحة.

7 - تعمل قوات العصابات الشّيشانية على تدمير المقاتلين الرّوس إبان حركتهم.

8 - تعمد القوات الشّيشانية إلى تخليص المدن الضعيفة أولاً من أيدي الرّوس، ثم تنتهز الفرص المواتية للانقضاض على المدن القوية.

9 - بالإضافة إلى دعم الأهالي لمقاتلي العصابات الشّيشانية، فالتموين والتجهيز قد يكون من عتاد القوات الرّوسية (الغنائم)، فموردهم الرئيسيّ من العتاد والرجال موجود في الجبهة الرّوسية (إما خيانة أو اقتناعا بعدالة القضية الشّيشانية).

10 -تعتمد القوات الشّيشانية على استثمار الفواصل بين المعارك للرّاحة، ولكنها تتفادى التعوّد على الرّاحة.

فمثل هذا التكتيك الشّيشاني يشابه مضامين نظرية ماوتسي تونغ(73) حول حرب العصابات في شقها التكتيكي، حيث يرى أنّ تجنب المغامرة في العمليات الهجومية والجمود في العمليات الدفاعية، يدفع إلى إعادة توزيع القوّات التي تميل إلى استراتجيه طويلة ومعارك قصيرة وسريعة، المعارِضة للحرب الثّابتة في جبهات مجمدّة(74)، والمائلة أكثر إلى حرب الجبهات والمستنفرة من المؤخرّات المُثقلَة والمُحبّذة للمؤخرات الخفيفة.

ولقد طبّقت قيادة حرب العصابات الشّيشانية خلال الحرب الشّيشانية الرّوسية الثّانية - أي منذ سنة 1999م- لسياسة (الأرض المحروقة) وأهم تكتيكاتها:

- شن هجمات أو غارات فدائية بمجموعات صغيرة لكن متواصلة.
- نسف الجسور والملاهي على القوّات الرّوسية.
- تثبيت المتاريس في الأنهر والممرّات المائيّة.
- تلغيم الشوارع والطرق التي يُشاع تحرك القوات الرّوسية فيها.

---

(73) العقيد، دي فالكو قوندا: حرب العصابات، ترجمة: أكرم بدوي، سوريا: دار النهضة للنشر والتوزيع، 1999، ص289.

(74) والمقصود هنا هو الحرب النظامية.

- شنّ غارات ليلية مفاجئة لكسر استقرار القوة الرّوسية.
- حرق أحياء ومناطق ومراكز محددة عند تقدم الرّوس.

وتجدر الإشارة هنا، أنّ القوات الفدائية لحرب العصابات الشّيشانية كانت فقيرة في ذخائرها ووسائل النقل، ومع ذلك واكبت باستمرار تقدّم القوّات الرّوسيّة.

كما وقد سبق الإشارة إليه، فحرب العصابات الشّيشانية تضمنّت قوى شعبية ذات نضال سياسي واسع في العاصمة غروزني وفي الأقاليم الأخرى، وقد تخلل ذلك تغييرات هامة، أهمها:

أ - فقد شمل النضال في المدن والقرى تصفية (العملاء الخطرين)، ومعاقبة المقاتلين الشّيشان لعدد من المتعاونين مع الرّوس، ومنهم رؤساء أحزاب ومنظمات معادية وشخصيات سياسية موالية لإدارة موسكو.

ب - انضمام أعداد كبيرة من الطلبة والفلاحين، وزيادة عدد القوات المسلحة في حرب العصابات الشّيشانية، الذين شكلوا القاعدة الرئيسية في القوات المسلحة الشّيشانية بشكل عام.

ولقد اتخذ تكتيك حرب العصابات الشّيشانية خمسة أشكال، وهي:

1 - كانت طبيعة حرب العصابات مرنة، ولم تقتصر على شكل واحد.

2 - ثم انتقلت لتصبح حرب أمشاط متشابكة، وتعني أن كل طرف يقاتل عميقا في صفوف الطرف الآخر.

3 - ثم أصبحت حرب خشنة غير مقيّدة، بمعنى أنها تجري بين الطرفين (العصابات الشّيشانية وقوات المظليين الرّوس كقوة مضادة لحرب العصابات) دون أن تحكمها الأنظمة والقوانين العسكرية.

4 - لتصبح حرب بلا جبهات قتالية، حيث تكون طبيعة المعارك فيها متغيرة وبلا حدود فاصلة بين الطرفين.

5 - فتليها حرب الأرض المحروقة، بمعنى تدمير كل إمكانية تستطيع القوات الرّوسية استعمالها ولا تستطيع القوات الشّيشانية المحافظة عليها.

إنّ التكتيك القتالي لحرب العصابات الشّيشانية يتطلب شرطين أساسيين لتحقيقه:

1 - أن يكون طويل الأمد: وهذا لمواجهة التفوّق السّاحق للروس في كافة الميادين المادية والتقنية والفنية، عبر تنمية وتطوير قوى القوات الشّيشانية الشعبية تدريجيا، والاستفادة من القوى والإمكانيات الكامنة، لأنّ إطالة أمد الحرب يعطي فرص كبيرة لتطوير القوات عبر القتال والممارسة وتحويلها من قوات متواضعة الإمكانية والفعالية إلى قوات ذات فعالية عسكرية وسياسية على المستوى الإقليمي والمحلي.

2 - أن يكون معتمد على الذات، لمواجهة الحصار والعزلة المفروضة حول المقاومة من كافة الاتجاهات، وخلق إمكانيات الصمود (ذاتيا) حتى تتغيّر الظروف الموضوعية المحيطة المتدخّلة في ساحة الصراع، وفي هذه الحالة، إن الاعتماد على الذات يكون شاملا لكافة المجالات ابتداءً بوضع الخطط والتكتيك المناسب، مرورا بتدابير الأسلحة والمعدات والذخائر والتجهيزات والتدريب عليها وإصلاحها، وتوفير الإمداد والتموين، انتهاءً بحل المشاكل الغذائية والاجتماعية والصحية للمقاتلين الشّيشان).

وتعتمدّ تكتيكات حرب العصابات الشّيشانية على خمس خطط رئيسيّة أهمّها:

1 - حرب الدعاية المسلحة (مرحلة التحضير):

حيث تُكلّف القوات الشّيشانية بالتحرك في منطقة محُددة من أجل دفع مستوى الوعي الديني للسكان، قصد بناء القواعد العسكرية الدينية لحرب العصابات الشّيشانية، وقصد تنظيم قيادة الجماهير وإعدادها لخوض النضالات الشرعية. وإثر ذلك يتم القيام ببعض العنف القتالي، مثل معاقبة الخونة أو العملاء الأكثر رجعيّة.

2 - حرب المدن والمباني:

حيث تعتمد القوات الشّيشانية على استخدام القوى الجماهيرية بصرف النظر عن سِنها، أو جنسها أو مهنتها في شن الكفاح المسلح ضد القوات الرّوسية، وتهدف إلى إغراق قوات الرّوس العسكرية في بحر من الجماهير المسلحة وتكبيدها الخسائر البشرية والمادية المتلاحقة.

3 - الحرب المتحركة:

فهي الشكل الأرقى لحرب العصابات الشّيشانية، بمعنى أنّ عمليات حرب العصابات هاته تساعد على تطوير القتال من وحدات صغيرة جداً متفرّقة، تقوم بانجازات محددة على القوات الرّوسية وأهدافها، إلى وحدات أكبر وأكثر تنظيما وأكثر خبرة تتصدى لوحدات الرّوس العسكرية في مناطق مُحددة وأوقات محدودة، وتُجبرها على خوض معارك معزولة تلحق بها الخسائر المادية والأذى المعنوي.

4 - حرب المواقع:

يُنسب هذا الشكل إلى الحروب النظامية، ولكنها تأخذ دورا مساعدا للحرب العصاباتية المستندة إلى وحدات مسلحة أقل حجما وأفضل خبرة وأحسن تسليحاً من القوات الرّوسية. وحرب المواقع الشّيشانية تكون مهمتّها بشكل عام إلحاق الخسائر الممكنة على وحدات الرّوس العسكرية ومنشآتها، ولكنها لا تهدف إلى الاحتفاظ بالأرض، وتشارك فيها بشكل رئيسي وحدات حرب العصابات الشّيشانية منتشرة.

5 - حرب الحصار والتدمير:

هذا الشكل من حروب العصابات الشّيشانية، تقوم بها القوات المقاتلة المركزية للمقاومة الشّيشانية (سرايا القيادة)، وهو يندرج عادة من معارك الحصار الجزئية المحدودة إلى معارك أوسع على مستوى الإقليم، ويُتوّج بالهجوم المضاد العام، وتكون القوات الشّيشانية قد بلغت درجة عالية من المركزية والنظاميّة وتكون مزودة بأسلحة ومعدات حديثة نسبيا، ويتخللها

درجة عالية من التنسيق، هدفها إبادة القوة الرئيسية للروس (القوات الفدرالية الخاصة وقوات الاستخبارات الفدرالية الخاصة)، وتدمِر إمكانياته العسكرية وأهدافه الأكثر أهميّة، مع سوقه نحو الهزيمة العسكرية الشاملة.

2 - قواعد حرب العصابات الشّيشانية (القواعد القتالية):

وأهمها:

1 - **القواعد الدينية**: وهي أوّل أشكال التواجد القتالي بين السكان، وتعمد حرب العصابات الشّيشانية إلى إيجاد مجموعات رائدة بين السكان تتمتع بوعي ديني وحِس إسلامي عالي، مهمتها فضح خطط العدو وممارساته، ونشر مبادئ المقاتلة والجهاد الشّيشاني تمهيدا لبناء كيان جماهيري ديني واعي.

2 - **قواعد العصابات**: حيث تعمد قيادة المقاتلين الشّيشان إلى بناء قواعد دينية مقاتِلة بين السكان، يجري اختبار العناصر المحلية الصغيرة السن والأكثر حماية واندفاعا، ليكونوا نوابا لوحدات العصابات القتالية الشّيشانية في المنطقة الواحدة المحدَّدة، مع إخضاعهم لبرنامج تدريب عسكري وديني يتم في ضوئها تشكيل وحدات رسمية لحرب العصابات الشّيشانية.

3 - **قواعد قتالية**: وهي الشكل الأرقى للقواعد المقاوماتية لحرب العصابات الشّيشانية، حيث يكون تواجد القوات الشّيشانية المقاتلة في المنطقة ملموسا لدى سكان المدن وحتى عند أهالي المناطق الجبلية.

4 - **القواعد الآمنة**: وهو انتشار مجموعة من القواعد القتالية الشّيشانية في إقليم أو قطاع أو محافظة، يمكن للقيادة القتالية الشّيشانية إعلان ذلك المكان "منطقة محرّرة" بمعنى القضاء على كافة أشكال السلطة والإدارة الرجعية الرّوسية وإقامة الإدارة العسكرية الشّيشانية عليها، ويتم فوقها تمكين القوة الرئيسية للجهاد المسلح عسكريا ودينيا واجتماعيا، وتضم عادةً مراكز القيادة والوحدات والفصائل المركزّية، ويتمّ فيها بناء سلطة مقاتلة شعبية بمعظم مرتكزاتها الدينية والإدارية والثقافية.

❋ وتعود أسباب انتصار التكتيك القتالي لحرب العصابات الشّيشانية لعوامل رئيسية، وهي:

1 - تحديد الهدف الاستراتيجي للقوات الرّوسية، واكتشاف القوانين التي تحكم تحرّكاتها وقدراتها، وذلك لوضع هدف الاستراتيجية وطرق القتال.

2 - الحفاظ على تطوير الموقف الهجومي عند القتال، وامتلاك وتطوير المبادرة على أرض المعركة، وإجبار الجنود الرّوس على القتال وفق منهج العصابات الشّيشانية المقاتلة.

3 - استيعاب العلاقة بين هزيمة القوات الرّوسية بالحفاظ على حق الأهالي في السيادة وتقوية العمل العسكري ودمجه في النضال الديني والمسلح والعمل في قوات الرّوس قصد التغلغل فيه وإضعافه.

4 - الزيادة المستمرة للقدرة القتالية والفعالية العملياتية والاستراتيجية والوسائل القتالية في حرب العصابات الشّيشانية.

5 - الاهتمام الخاص ببناء وتطوير النّضال العسكري الديني محليا (بالشّيشان) وإقليميا (بالقوقاز)، ومعالجة العلاقة بين القوات الرّوسية والنوعية خلال عملية التطوير.

وهذه العوامل، تُضاف إليها عوامل أخرى تحقق نسبة نجاح عالية بالنسبة لحرب العصابات الشّيشانية، ويمكن حصرها فيما يلي:

1 - تأييد السكان المحليّين ودعمهم لمسيرة المقاتلين الشيشان.

2 - تعذّر الوصول إلى مخابئ رجال العصابات الشّيشانية في الجبال أو في الغابات أو في الأراضي الزّراعية الكثيفة.

3 - إنّ رجال العصابات الشّيشان يستطيعون الاختفاء وراء الناس، وإذا حوصروا استطاعوا الذوبان داخل أفراد الشعب.

غير أنّ عمل رجال العصابات الشّيشانية القتّالي، لا يخرج عن الخطوط الحمراء التي يرسمها له مجلس الشورى العسكري، والمتمثّلة في:

أ - العمل العسكري الشّيشاني لا يخرج عن نطاق تكبيد العدو أقصى قدر من الخسائر.

ب - أن لا تدخل العصابات الشّيشانية في معركة، تكون قوات الرّوس فيها تفوقهم عددا، بل عليهم أن يعوّضوا تفوّق الرّوس في العدد بالتخطيط الذي يتسم بالدهاء والخداع وحتى أساليب الغدر والغش والوحشية.

ت - تقوم العصابات الشّيشانية بتوجيه الضربات إلى القوات الرّوسية في كل زمان ومكان لا يتوقعه العدو الرّوسي.

ث - بعد توجيه الضربة الشديدة للقوات الرّوسية على غُرّة وتوقّع خسائر كبيرة، يقوم المقاتلين الفدائيين الشّيشان بالتفرق والتواري عن الأنظار عوض الانتظار، قبل أن تجمع القوات الرّوسية شتات قواتها، وتُعد العُدة لتوجيه ضربة مضادة.

ج - يقوم الفدائيين[75] الشّيشان بالاستفادة بأكبر قدر ممكن من معرفتهم بالأرض حتى يزعجوا القوات الرّوسية أثناء الليل، وحتى يقطعوا الطريق على وحدات القوات الرّوسية وذلك بمهاجمتها، كما يَعمد الفدائيين الشّيشان إلى دسّ مُخبرين لغرض خداع القوات الرّوسية، واستدراجها إلى فِخاخ محدَّدة من قبل.

* وتَتصف تكتيكات حرب العصابات الشّيشانية، بالمقارنة مع أشكال وأنماط حروب العصابات الأخرى، بما يلي:

1 - عامل المفاجأة.

2 - القدرة على الحركة.

3 - الهجمات الشديدة.

4 - الانسحاب السّريع.

5 - يقوم الفدائيين الشّيشان بعملية اختيار المعركة التي سيدخلونها ضد

---

(75) ويُصطلح عليهم في دار السلام بالاستشهاديين، أمّا في دار الحرب فيُصطلح عليهم بشتّى النّعوت كالانتحاريين، والإرهابيين، سرايا الموت..الخ.

الجنود الرّوس من حيث الظروف والأحوال التي يرونها مناسبة بالنسبة إليهم، كما يركزون دوما على مؤخرة العدوّ وجناحيه.

6 - الشّعار الذي يهتدي به واضِعوا استراتيجية حرب العصابات الشّيشانية (هو أنّ جبهة حرب العصابات الشّيشانية هي دائما مؤخّرة العدو).

7 - وأن يكون الفدائيين الشّيشان مصدر إزعاج ومضايقة مستمرّة للجنود الرّوس، كما يعمدون لإرهابهم وخاصة في الليل، حتى يجعلوا هؤلاء يحسون بأن الفدائيون الشّيشان يكمنون خلف كل غصن.

8 - إن العامل الديني هو العامل الحاسم والقاطع الذي يستند إليه نجاح حرب العصابات الشّيشانية.

9 - يُعتبر الولاء والزمالة والصداقة بمثابة الرابطة التي يرتبط بها الفدائي الشّيشاني بأخيه والقائد المحنك عليه أن يعمل على تصفية النزاعات والمشاجرات التي قد تظهر بين رجاله من حين إلى آخر.

* هذه المواصفات التكتيكية التي لا يمكن تطبيقها شيشانياً إلا عن طريق تنظيم صارم للعصابات الشّيشانية، والمتكوّن من(76):

1 - تسلسل القيادات: وهو العدد المحدود المحصور فيما يُسمّى (مفرزة).

2 - عنصر السيطرة الديني: فلمجلس الشورى العسكري السيّطرة التّامة على عمليات العصابات الشّيشانية المقاتِلة، التي يعتبرها المقاتلون الشّيشان كغاية ووسيلة لإرساء الأمن والانضباط والتأثير على المقاتلين والجماهير الشّيشانية، وتنظيم مجلس الشورى العسكري هذا لا يشابه غرف إدارة العمليات العسكرية (O.P.S) المعروفة عند الجيوش النظامية أو خلايا وحدات حرب العصابات الأخرى.

3 - عناصر الأخصّائيين: ومُهمتهم خلق الحوادث وسوء التفاهم بين السكان وقوى الاحتلال الرّوسي، كاغتيالات مموّهة، تحديات من شتى

(76) انظر الشكل رقم (4)، Isabelle Facom: *la seconde guerre de Tchétchène - Les aspects Politico- Militaires*, France: I.E.P Strasburg, 2001, p209.

الأنواع، والتحريض على القتال، والمؤامرات والحصول على عتاد، ومهمّات خاصّة أخرى.

4 - عناصر الاستعلام والارتباط والمخابرات (الإشارة): فعناصر العصابات الشيشانية المقاتلة مبثوثة في جميع أوساط الشعب كعمّال البريد، وعمال سكة الحديد والشرطة المحلية والجيش الرّوسي، وقد استعملت شيء من وسائل التّرغيب والترهيب للحصول على عملاء للاستعلامات والاستعانة بالنساء والأطفال والشيوخ وعلب البريد ومراسلين أو فدائيين أو راديو.

5 - عناصر التموين والحراسة: ومنهم أطبّاء ومستقبلي المقاتلين في أراضي مخصّصة ومُعدّة لأجل ذلك، بالإضافة إلى عناصر جمع الموارد المحلية، ومعسكرات للشتاء في الغابات، وللصيف في المستنقعات وكذلك تُؤمّن حراسة هذه القاعدة.

6 - التجنّيد.

7 - التّسليح والتّجهيز والتموين: حيث تموّن رجال العصابات الشّيشانية بالسلاح والذّخائر والتجهيزات العسكريّة.

8 - التعبئة (التّكتيك): وهم عناصر قياديّة مكلّفة بالحركة المناوِرة (الحيلة).

* كما أنّه تمتاز عمليّات حرب العصابات الشّيشانيّة بثلاثة مبادئ هي:

أ - مبدأ عدم قبول المعركة النّظامية.

ب - مبدأ المفاجأة (قتال الليل).

ج - مبدأ الغارات: والذي يقتضي الشّجاعة، والبقاء على اتّصال مع الجماهير، الاستطلاع الدّائم، العمليات الليلية، تحضير خطة الهجوم أو الغارة تحضيرا دقيقا، وقطع خطوط مواصلات القوّات الرّوسية قبل بدء الهجوم .

هذه العمليات القتالية بصورة عامة يمكن حصرها بين نوعين:

1 - الإغارة.

2 - الكمائن.

ومن أجل تنفيذ هذه العمليّات، تعتمد العصابات المقاتلة الشّيشانية على عدّة جماعات، وهي:

أ - جماعة قتال وتمهيد.

ب - جماعة التخرّيب والتنفيذ.

ت - جماعة حماية.

ولقد قدّمت التكتيكات القتالية لحرب العصابات الشّيشانية ثلاثة دروس أساسية للتنظيمات المقاتلة في القوقاز، وهي:

1 - أنّه يمكن لقوّات صغيرة أن تربح الحرب ضدّ الجيش الرّوسي الكبير عدداً وعدةً.

2 - أنّه ليس من الضروري الانتظار إلى أن تتوّفر الظروف الملائمة للقتال (فالانتفاضة نفسها تستطيع خلق تلك الظروف).

3 - أنّ الأرياف في المناطق الجبلية والمعزولة في شمال القوقاز هي المناطق الأساسية للكفاح المسلّح ولحرب العصابات.

وكل هذا الزّخم التّكتيكي، وجد القادة الشّيشان من الضروري ضبطه بمبادئ عقائدية أساسية تُتيح المجال لعنصر الفعّالية والنّصر للفعل القتالي لحرب العصابات الشّيشانية، والتيّ يمكن حصرها فيما يلي:

1 - العقيدة والإيمان بالله.

2 - وِحدة الإمامة وتوليتها القيادة العسكرية والانضباط.

3 - طاعة أولياء الأمر العسكريّين طاعة عمياء، وتنفيذ الأوامر.

4 - الصبّر.

5 - الدّعاء.

6 - حبّ الموت (الشّهادة) وكراهية الدنيا (احتقارها).

7 - إدراك معاني التوحيد.

وتستند حرب العصابات الشّيشانية إلى ست نقاط رئيسية، خاصّة بامتياز التّكتيك، وهي:

أ - الحيلة، "الحرب خُدعة"، وإتقان فن الحيلة في جميع عملياتهم الفردية والجماعيّة.

ب - المُبادهة، تهدف للسيطرة على عمليات القوات الرّوسية، وإجبارها على العمل في المكان والزمان والطريقة التي يختارونها (المقاتلين الشيشان).

ت - السّرعة في التنّفيذ، وعدم منح الجنود وقيادة القوّات الرّوسية فرصة استدراك أخطائهم، وتقوية نقاط ضعفهم، واستعادة هدوئهم واتزّان تفكيرهم، وإعادة تنظيم قواتهم.

ث - السِّرية في كل شيء، في الحركة وفي العملية، وفي التجمع، وفي التبعثر، وعدم الثقة والتحدث في مواضيع تهمّ العمليات القتالية، إلا مع من يعرفونهم من الوحدة.

ج - الإرادة الهجومية: بمعنى أنّ قوّات العصابات الشّيشانية المقاتِلة لا تدع للقوّات الرّوسية مجالا للرّاحة، حيث تعتمد على الانسحاب إذا تقدّم الرّوس، ويزعجونهم إذا أقاموا، ويهاجمونهم حتى يَتعبون ويتابِعونهم حتى ينسحبوا(77)، ويلاحقونهم حتى إذا انسحبوا.

ح - الاستعلام الدّقيق هو صمّام الأمان لكل عملية حربية يشنّها رجال العصابات الشّيشانية المقاتِلة، وإلّا فمصيرهم الدمار السريع، حيث لا يجوز بالنسبة إليهم القيام بأية عملية من العمليات الحربية، ما لم توّفر عناصر استعلاماتها ووسائل الاستعلام معلومات كافية ودقيقة.

وتُعد هذه الأخيرة كإستراتيجيّة ضروريّة من أجل تدمير القوّات الرّوسية، حيث لا تكون هناك قيادة مركزية مطلَقة، بل نسبيّة تؤدي إلى إحداث توازن في توزيع المعلومات على كل العصابات المقاتِلة ومن ثمّ تنسيق العمل الحربي بين جماعات حرب العصابات الشّيشانية.

وامتياز التّكتيك القتالي الشّيشاني كعمل حربي مطبّق، مرهون

(77) وهي شبيهة بمبادئ (ماوتسي تونغ) حول الهجوم: إنسحبوا إذا تقدم وأزعجوه إذا أقام وهاجموه حتى يتعب، وتابعوه إذا انسحب.

بأخلاقيّات قتاليّة وعقيدة حربيّة ترفض الاعتماد على أساليب اللصوصيّة والقرصنة، فالانضباط هو عامل هام من عوامل النّصر في إستراتيجية حرب العصابات الشّيشانية. أكثر من ذلك، فهي هامّة وأساسيّة ومنطق يؤمن به كل مقاتل أو جماعة مقاتِلة في صفوف العصابات الشّيشانية المقاتِلة.

ويتميّز مسرح العمليات التكتيكي لحرب العصابات الشّيشانية بمجموعة من الخصائص، التي تعطي لهذا النوع من الحروب في المنطقة خصائص نوعية تكتيكية، ومن ذلك:

أوّلاً: الطّبيعة الجيواستراتيجية الصعبة: فالجبال الحادة، والمرتفعات الشامخة والدروب الضيقة والملتوية بين الشّعاب قد جعلت من الصعب فرض السيّطرة على مسرح العمليّات بالنظر أو بالنيران حيث يستطيع المقاتلون الأشدّاء، والذين يتمتّعون بلياقة وكفاءة بدنية عالية، ومعرفة جيدة للأرض التحرّك مع وسائط قتالهم الميدانية (الأسلحة الفردية والرشاشات والمدافع ذاتية الحركة والراجمات الصاروخية والأسلحة الصاروخية الفرديّة)، لضمان الحماية، وللظهور بصورة مباغتة في مناطق من غير المُتوقع ظهور الشّيشان فيها. وهذا ما يفسر صعوبة الأعمال القتّالية بالمنطقة، وعملية التكيف مع طبيعة مسرح العمليات، رغم معرفة الشّيشان أنفسهم لمميزات الأرض وخصائصها، وما تقدمه من مساعدة لأفراد حرب العصابات الشّيشانية بالمقارنة مع القوات الرّوسيّة.

ثانيا: انعدام الأهداف الكبيرة عند القادة الرّوس التي يمكن للأسلحة الحديثة ذات التّقانة العالية التعامل معها، إذ أنّ حتى عمليّات القصف اليومي الرّوسي، لن يتسنى لها تسجيل أو إحصاء أكثر من عدد محدود من الإصابات على أهداف محدّدة أيضا. وعلاوة على ذلك فكثير من طلعات الطائرات الرّوسية عادت دون أن تطلق نيران أسلحتها أو أن تستخدم ذخائرها بسبب عدم وجود أهداف ذات قيمة أو أهمية، ويُعد ذلك سببا في تعرّض أهداف مدنية إلى القصف، إذ كانت مثل هذه المنشآت البارزة بمثابة النقاط المميّزة والواضحة للحياة على أرض لم تعد فيها حياة، ويمكن هنا

الإشارة أيضا إلى عدم وجود بُنية تحتية يمكن أن يُؤثرَ ضربَها أو تدميرَها على حياة السكان في الإقليم.

ثالثاً: وفرة الغابات الكثيفة والمَغاور واتّساعها، ووفرة مداخلها ومخارجها ممّا يجعلها كمِثل المدن المشيّدة تحت سطح الأرض لمقاومة الأسلحة الجوية، وهذا ممّا يضمن حماية كافية للوحدات الشّيشانية، قصد البقاء لفترات طويلة في حالة ترقب وانتظار قبل الانقضاض في الوقت المناسب وتُعد كوسائط للدفاع الجوي وتدميرها.

رابعاً: صعوبة عمل الأسلحة الثقيلة والتشكيلات المقاتلة الكبرى: حيث تُشكِل طبيعة الأرض الصعبة وضيق محاور العمليات ميزات كبيرة لمصلحة قتال الوحدات الصغرى (قتال العصابات الشّيشانية) للإغارات والكمائن، فيما تجد القوات الرّوسية الكبيرة صعوبات في الحركة والمناورة واستخدام النار، إذ رغم وفرة الوسائط القتالية المتفوّقة، ورغم الكفاءة القتالية للقوات الخاصة الرّوسية، فإنّ الحاجز الطبيعي كان أول خصم للقدرة القتالية الرّوسية، وكان في نفس الوقت أوّل صديق لحرب العصابات الشّيشانية التي تتوفر لديهم تنظيمات قتالية جبلية ذات كفاءة عالية في قتال الجبال.

خامساً: صعوبات الإمداد الإداري والفّني: إذ من المعروف أنّه كلما زاد حجم التشكيلات المقاتلة على مسارح العمليات، وتنوعت وسائطها القتالية، كلما تزايدت أيضا الحاجة لأرتال طويلة من الدعم الإداري والفني (الذيل الإداري الثقيل)، ويصبح هذا الإمداد في حد ذاته نقطة ضعف خطيرة عند الرّوس، حيث تستهدفه قوات العصابات الشّيشانية الصغيرة الحجم. ومقابل ذلك، فإنّ قوات العصابات الشّيشانية لا تحتاج لإمدادات كثيرة، فهي تحمل معها أسلحتها (الخفيفة والمتوسطة) وذخائرها وحتى موادها التموينية البسيطة. ولهذا عادة ما تكون خسائر قوات العصابات الشّيشانية قليلة ومحدودة، فيما تتعرّض التّشكيلات المقاتلة الرّوسية لخسائر كبيرة عند كل اشتباك. على الرغم من تطور قدرات الجيش بتنظيم شبكات الطرق السريعة أو بتأمين الإمدادات جواً، وهذا بدوره يشكل عبئا إضافيا في غير

مصلحة الرّوس فهو يخدم في الوقت ذاته خطط القوات الشّيشانية المقاتلة (أفراد حرب العصابات)[78].

سادساً: الرّصيد المعنوي لقوات الشّيشان: حيث تضافرت هنا مجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية والدينية لتمنح لقوات العصابات الشّيشانية رصيداً معنوياً قوياً أمكن التعبير عنه بأساليب مختلفة عبّرت عن (وجود قضية شيشانية). ولا ريب أيضا أنّ خوض الشّيشان (بقيادة خطّاب) لحربٍ هجومية ضد الغزو الرّوسي قد دعّم من الرصيد المعنوي الشّيشاني.

وتتطابق هذه الحقيقة أكثر فأكثر مع موقف الشّيشان من الحرب ضد روسيا، ومن الواضح هنا أن مجموعة العوامل المكوّنة (لحرب العصابات الشّيشانية) هي نفسها العوامل التي مارست دورها في تنظيم وتكوين المقاومة بجمهوريات القوقاز الإسلامية الأخرى كداغستان وأنجوشيا في الحرب المُعلنة ضد القوات الرّوسية المنطلقة من القاعدة الشّيشانية، وهذا هو بدقة ما دفع بالقيادات الإسلامية ومعها كثير من القيادات العالمية للمطالبة بحل سياسي للقضية الشّيشانية.

سابعاً: دور الإخفاء والتمويه في الحرب، حيث مارست الطبيعة الجغرافية والطبوغرافية الشّيشانية دورها للمساعدة في إتقان أعمال الإخفاء والتمويه وتنظيم أعمال الخداع والتضليل، للتخفيف من دور التّقانة والأسلحة المتفوّقة الرّوسية. وقد ظهر ذلك واضحا منذ بداية توجيه الضرّبات الجوّية، ثمّ في الاشتباكات المحدودة التي وقعت (سواءً على جبهة القتال ضد قوات إنزال صغرى بالحوامات لتنفيذ أعمال قتالية ذات أهداف خاصة). ويمكن هنا الإشارة إلى أنّ الخبرات القتالية التي توافرت للشيشان طوال 450 سنة من الصرّاع المرير، قد ضمنت تحقيق نجاحات على مستوى العمليات.

ولقد كان السّؤال المطروح على مدارس الحرب الرّوسية هو التّالي: "لقد استطاعت القوّات المقاتِلة الرّوسية تحقيق انتصاراتها في كلّ معاركها

(78) Van Crevel (M): *La transformation de la guerre*, Belgique: édition la rocher, 1998, P.81.

التي خاضتها ضدّ ثوّار الجبهات الشّيشانية والقوقازية، فلماذا ضاعت هذه الانتصارات أمام حرب العصابات الشّيشانية اليوم؟ ولماذا لم تتمكن الانتصارات التكتيكية (التعبوية) وانتصارات العمليّات من تحقيق الانتصار الاستراتيجي؟"، ويظهر أنّ هناك اتفاق على الإجابة في مدارس الحرب الرّوسية: لقد فشلت القيادة الرّوسية في الاستجابة للمبادئ الأساسية للنظريات العسكرية ولمبادئ الاستراتيجية العليا، نتيجة لما يلي:

أ - لم يكن التّقويم أو التّقدير لطبيعة الصراع وتكتيك حرب العصابات الشّيشانية تقويماً وتقديراً صحيحاً (محكماً ودقيقاً).

ب - لقد كان هناك تجاهل أو سوء فهم للمحيط الاستراتيجي الذي أحاط بالحرب، وبمسرح الأعمال القتالية (علاقة الشّيشان بمحيطهم الجغرافي والعقائدي والفكري).

ت - لم يتّم تقدير أهميّة مركز الثّقل الأساسي للتكتيك الشّيشاني بصورة مستمرّة أو بعناية شديدة، وبصورة خاصّة ما كان ذو علاقة بأمور غير عسكرية (مثل العامل العقائدي عِلاوة على ذلك الموروث التّاريخي والعسكري).

ث - لقد تمّ تجاهل دور مبدأ (شرعية الحرب أو استقامتها أو صحّتها وأخلاقيتها)، عند دعم وتوجيه حرب العصابات المضادة (ضد العصابات الشّيشانية المقاتِلة).

والأخطر من ذلك كله، هو عدم جمع هذه الباقة من المبادئ الأساسية ووضْعها في إطار استراتيجية متكاملة (تشبه صيغة جمع الجموع في الرياضيات)، بحيث يمكن من خلالها فهم الحرب وإدارتها. ولا ريب أنّ توحيد هذه المبادئ على اتجاه محور مركزي هو أمر حاسم، شكّل عاملا مُوجّهاً للحرب ضدّ العصابات في مدرسة الحرب الرّوسية.

وعليه فتجاهل الإطار العقائدي الأخلاقي لتكتيك حرب العصابات الشّيشانية يُعد أمرا خطيرا في إحراز النّصر والظفّر والنيل بالطرف الآخر، لاعتبار الإطار نفسه والمتمثل في:

أ) شرعيّة الحرب: ففي حالتي الهجوم أو الدفاع عند المقاتلين الشّيشان، هناك توافر غطاء من الجبهة الأخلاقية المعنوية والمتمثّلة في الدفاع عن الدّين وعن الوجود.

ب) الدّفاع عن الحقّ والعدل: فتدخّل العرب الأفغان في منهج حرب العصابات الشّيشانية هو بدافع الفصل في موازين قِوى الحرب، ونُصرة أهل الحقّ والمظلومين على أهل الباطل والمُعتدين، وتحقيق غلبة الدّين والسّيف على التفوّق المادي والعددي للروس.

وإذا انتقلنا من مستوى مسرح العمليات التكتيكية إلى السلّوك الظّاهري القتالي الشّيشاني سنلاحظ الحيلة والتّحايل التي يستخدمها المقاتلون الشّيشان ضدّ الجنود الرّوس، فالحيلة هي سلوك يزيد الشك لدى الخصم عن طريق الإقلال من هذا الشك لدى من يستخدمها، ويكون لدى الشّيشان عبارة عن تنوّع غير متوَّقع للقرارات، يستطيع إلحاق الفشل بالنظام الذي اعتاد عليه الخصم الرّوسي. "ولعلّ هذا النظام من المراوغة هو أساس حرب العصابات الشّيشانية، ومادام هناك تماهٍ، فبالتالي يوجد حالة من التقمّص على مستوى الأفعال والسلوكيات التي يقوم بها المجاهدون الشّيشان. لذلك فإنّ المُحارب من رجال العصابات الشّيشانية يصنع الصّدفة: "إنهّا فكرة الكمين بالنسبة للقوات الرّوسية".

وتمتدّ صناعة سلوك الكمائن الهجومية، من الخطط الهجومية التي يضعها مجلس الشّورى العسكريّ للمقاتلين، كخطوات محل تطبيق: من تحديد الموقع، حفر الخنادق، أنواع السّلاح، الاختفاء والتمويه خلف الأشجار، ثمّ لحظات المراقبة والترّقب.

فالمجاهدون كلفظ يدّل على أفراد قائمين على تنفيذ أفكار أو بتعبير أدقّ: بشر يحرسون العقيدة، فالكلمة تعكس تعدّداً في أبعادها الدّلالية، إلّا أنّ بعدها الأوّل والمتمثل في الجهاد هو أنهّا تعبرّ عن نموذج ديني وضرب من الربّانية في نفس الوقت.

وبالتّالي فالسلوك القتالي لحرب العصابات الجهادية الشّيشانية، هي جهاد المنتظِم كل لون من ألوان العبادات سواء منها ما كان من عبادات

الظّاهر أو الباطن، فإنّ فيه من عبادات الباطن الزّهد في الدنيا، مُفارقة الوطن وهِجرة الرّغبات، حتىّ سّماه العلماء المسلمين بـ"الرّهبنة"، فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "رهبانية أمتيّ: **الجهاد في سبيل الله**" (حديث صحيح). وهو معناه إرجاع الأرض إلى الفِطرة أو إلى ما قبل إفساد الإنسان الرّوسي. فرمزيّة العمل الجهادي الذي يقوم به المقاتلون الشّيشان، يتجسّد من خلال الهدف من العمل الجهادي بحد ذاته، كاستقطاع قطعة من أرض الشّيشان وجعلها مقدّسة تستظل بالإسلام بعد تحريرها (مكان حشد قوات العصابات)، فالمعنى الكامن والمضمَر في فعل الجهاد الشّيشاني هو المعنى المعكوس للحرب ودلالتها المتمثلة في الهدم، حيث البناء والإعمار والمتمثل على سبيل المثال في بناء مسجد داخل الغابة، فالمسألة بالنسبة إليهم، هي إعادة العقيدة للعالم وِفق نهجها الأوّل، حيث قُباء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحركة المجاهدين الشّيشان هي، حركة لإعادة الأمور إلى نصابها، وهي حركة لتأسيس العالم ومن ثمّ دفعه وإعلائه، فالجهاد الشّيشاني هو إعادة تطويب للعالم (حسب المقاتلين الشيشان).

وإعادة الخيرية تأتي بفعل رجال العصابات الشّيشانية القائم على الفطرة والمرتبط بالجهاد المرئّي، كفعل محرّك والذي هو ذروة سنام الإسلام. لذلك فتكتيكات المعارك هي مراحل ومعاني تمهيدية للمعنى العام والمتمثل في فعل البناء على الفطرة والذي هو عمل الإسلام في العالم، فهو المعنى العامّ الكلّي. وبالتّالي المقصد من الجهاد على المستوى القتالي الشّيشاني هو الظّفر بإحدى الحُسنيَيْن: النصر أو الشهادة: فالنصر بالنسبة إليهم هو التّمكين لدين الله على الأرض، أمّا الشّهادة فهي الرّغبة الأساسية عند المجاهد الشّيشاني في حالة إخلاصه للنية، والتي تعني بالنسبة إليهم الظفر بوعد الله في الآخرة. فالشهادة هنا، هي إشهاد الله والعالم على تمكّن العقيدة في الإنسان الشّيشاني المؤمن. فالمساحة الأولى للمقاتل والتكتيك الشّيشاني هي الإيمان بالعقيدة كدافع لسلوكه، أمّا المساحة الثانية، فهي الرّغبة والحرص على الشّهادة والولوج لعالم الآخرة حيث الغيب الذي "يُلبّي حاجة الفطرة البشرية إلى المجهول، والمجهول يحيط بها حيثما اتجهت، وفيها الاستجابة لمواجهة هذا

المجهول، وفيها الرغبة الفطرية في الخروج من قيد الحِس الذي يقف عنده الحيوان، ويتجاوزه الإنسان لينطلق مع خصائصه التي تفرّقه عن الحيوان".

فالتكتيك القتالي للمجاهدين الشّيشان هو نموذج قتالي لإنسانية آمنت بالغيب حتى تمكّن فيها، وأصبح هو دافعها في الحياة والعمل، فهو إذن دلالة على وجود نوع بشري قد تكامل لديه ظاهر العقيدة بباطنها على مستوى السلّوك القتالي من خلال الواقع، وابتغاءً لنهج الرّسول - صلى الله عليه وسلم-. فحرب العصابات الشّيشانية تندرج تحتها إقامة الأدلّة القتالية التطبيقية على إخلاص النيّة من رجال العصابات الشّيشانية.

ويأتي سَند المشروعية في أفعال المقاتلين الشّيشان من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تُمثل بالنّسبة إليهم معيار تحريك الأحداث، وهو مدلول الآية الآتية: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 14-15]. فتكتيك وفعل المقاتلة لدى رجال العصابات الشّيشانية هو تدليل على الاحتكام وإرجاع الفعل القتالي إلى النصّ الشرعي وليس إلى الهوى، حيث جاء عن معاذ رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **"من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة (أي دقيقة)، وَجبت له الجنّة"** (رواه أبو داود والترمذي) - وذلك بالإضافة إلى غيرها من الأحاديث النبوية وبعض الفتاوَى الدعوية - مثل فتاوَى - ابن تيمية حول الجهاد-.

فتكتيك القتال لدى رجال العصابات الشّيشانية، يكون جهادا بدافع ديني، أي جهاد الكفّار - حسبهم- من أعداء الله ورسوله ﴿...حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193].

فهم يعتبرون أنّه كل من بلغته دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وِفق فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية[79]- إلى دين الله الذي بعثه به فلم

(79) شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، البليدة- الجزائر: قصر الكتب، (بدون تاريخ)، ص63.

يستجب له، فإنّه يجب قِتاله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحجّ: 39-41].

ثمّ إنّه بعد ذلك أوْجب عليهم القتال بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]، وأكّد الإيجاب وعظّم أمر الجهاد، وهو ما حاول مقاتلي العصابات الشّيشانية تقديسه وتكريسه في تكتيكاتهم الحربية، مُفارقين بذلك الروابط الدنيوية مرضاةً لله، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 24] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النّور: 62] قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمّد: 20-21]. وهذا كثير في القرآن.

هذا كلّه يمثّل روح نموذج حرب وتكتيك العصابات الشّيشانية، على الرّغم من كوْن القتل هو أبغض الأشياء إلى النفس المؤمِنة، ذلك أنّ قِوام حرب العصابات هي قتل النفس أي قتل النفس البشرية، فالمؤمن لا تسوغ له نفسه أن يهدِّم ما بناه الله تعالى.

وعليه فالقصد من تكتيك الشّيشان هو دفع الاعتداء وتأمين الدّعوة ومنع إزهاق أرواح الناس الأبرياء، وما كانوا ليقاتلوا إلّا بعد أن ظهرت بالنسبة إليهم بوادر الفتنة أو يكون الاعتداء بالفعل.

فالرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ما كان ليأمر المسلمين بالإندفاع في القتال حتى لا تكون منهم رغبة في القتال لذاته، بل إنّه كان يدعوهم إلى التأنيّ: قال أبو عامر: حدّثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: **(لا تتمنّوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا)**[80] (متّفق عليه).

وهو الهدي النبويّ في القتال الذي يسعى المقاتلون الشّيشان إلى تجسيده، ولقد قال عليه السّلام في وصف دعوته: "**أنا نبيّ المرحمة وأنا نبيّ الملحمة**"، وفي الحق إنّ المرحمة والملحمة متلاقيتان، فما كانت الملحمة إلّا لأجل المرّحمة، إذ الرّحمة الحقيقية في إقليم الشّيشان هي في قَطع الفساد ومنع شر القوات الرّوسية بالنسبة للمقاتلين الشّيشان، وإن كان سبيل ذلك الملحمة فقد تعيّنت سبيلاً للرحمة والمُتمثلة في آداب معاملة الأسرى.

وهو عمل مُقيّد بالفضيلة، فإذا تعارض مع الفضيلة أُهمل واُتّبعت الفضيلة، لأنهّا المبدأ المقرّر الذي لا يقبل التخلّف كيفما كانت الحال.

وقد يَعجب الاستراتيجيون العسكريون من أنّ الفضيلة تحكم في وسط السيوف، وحيث يُستباح الإنسان، فإنّه حيث أُستبيح لا يبقى من القيود شيء يُحترم، ولكن رجال العصابات الشّيشانية يؤمنون بكونها حرب مقيّدة بقانون السماء، وهي حرب الفضيلة المقاومة للرّذيلة المعتدية، وليس من المعقول أن يكون باعث المقاتَلة الشّيشانية الدفاع عن الفضيلة وتُنتهك حُرماتها في الميدان من أهل مجاراة المعتدين.

ولذلك كان تكتيك حرب العصابات الشّيشانية مقيّداً بالفضيلة لا تعدوها، ولو جاوز حدودها الرّوس. فإذا كانت القوات الرّوسية مُنطلقة من كل القيود الخلقية فوحدات رجال العصابات مقيّدة بها، فإذا كان الجنود الرّوس يقتلون الصبيان والعمال والشيوخ والنّساء وينتهكون الأعراض، فإنّ رجال العصابات الإسلاميّة لا يُجارونهم في هذه الرّذائل، لأنهّم مقيّدون

---

(80) الإمام محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة: دار الفكر العربي، (بدون تاريخ)، ص94.

بالخُلق الكريم. فقوات العصابات الإسلامية الشّيشانية يأخذون بالهديّ المحمّدي، في القتال يفعلون ذلك. فهي إذاً تعكس صورة سامية للحروب التي تأخذ رُوحها من أشكال حروب النُبوة المقدّسة.

وبناءً على ما سبق، وبعد التّعرف على كل من الهويّة الجيواجتماعية للشيشان، وإلى نشأة وتطور حرب العصابات الشيشانية بما فيها النظريات والمبادئ التي تستند إليها، يمكن القول أنّ هذه الحرب هي في الحقيقة نوع من أنواع الجهاد المسلّح، والذي يأخذ طابع عقيدة السلف في القتال بأشكال أخرى، ورغم انتمائها للعقيدة القتالية الإسلامية، فهي محصلّة لطوبوغرافية وجغرافية وتاريخ طويل للمنطقة، ولعمق ثقافي ديني إسلامي راسخ رسوخ العقيدة في المنطقة.

وانتمائها لنهج السلف الصالح في القتال يجعل منها حرباً إسلامية مقدسة تحذو حذوّ غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم. والحرب هذه تستوحي طبيعتها من سلامة العقيدة والمنهج، وهذا بالاستعانة بأهل العلم والإقتداء بالصفوّة الصالحة، في معرفة الحقّ والتوصّل إليه والرّجوع إليه في النوازل التي تَلم بالمقاتلين الشيشان.

لتُصبح حرب أنصار الشيشان هي حرب الفئة النّاجية (أنصار عقيدة أهل السنّة والجماعة[السلفيون]) تحتكم فيها إلى الكتاب والسنّة في جميع مسائل القتال ونُصرة الدّين، وتمكين المجاهدين لتحقيق المصالح ودرأ المفاسد. فسعة حرب المجاهدين مع الروس، تضطر المجاهد أنّ يستغل ويستفيد من كل جزئيّة من جزئيّات الفقه الإسلامي، وهو ما يمنع المجاهدين الشيشان من أن يَقعوا في أيّ نوع من أنواع الحرج أو الهلكة !.

ولذا، فحرب العصابات الشيشانية تستمد طبيعتها من قوّة العقيدة وقوّة تعلّق المجاهدين بها.

الفصل الثاني

مواجهة نموذج حرب العصابات الشيشانية للمدرسة الحربية الروسية

بعد التطرق إلى طبيعة حرب العصابات الشّيشانية (من نشأة ومرجعية تاريخية وفكرية إلى تكتيك ومحتوى السلوك القتالي لرجال العصابات الإسلامية الشّيشانية المقاتلة)، كان لابدّ من تفعيل هذا البناء النّظري والعملي في محتواه، كخلفية نظرية ترجمها المقاتل الشّيشاني في إطار مواجهته للقوات الرّوسية.

فالممارسة الجهادية المعتبرة كخيار ميداني شيشاني، وكنتيجة لما ارتكبه الجيش الرّوسي، هي عبارة عن مجموعة من العمليات القتالية ذات أساس وأسس شرعية لتفعيل فريضة الجهاد. فمنبع الدلالات والمفاهيم القتالية لحرب العصابات يأتي من كون أن الوحدات الشّيشانية تتحرك من مرجعية دينية اتخذت فريضة الجهاد منهجا عاما لمقاومة الحملة الرّوسية فقط على الشّيشان والذي تبّناه الشّيشانيون إلى جانب مختلف جنسيات المجاهدين من الدول الإسلامية الأخرى، الذين بدءوا واجبهم الجهادي في أفغانستان، مثل "خطّاب"- قائد الكتائب العربية بالشّيشان- ولعلّ ذلك ما يقدمّ المفهوم العقائدي والجهادي لحرب العصابات الشّيشانية بشكل عام، وهو ليس خاصا بالشّيشان فقط، بل انه خاص بالمسلمين أجمعين، فالمحتوى الديني للفعل القتالي لدى العصابات يجمع الأمة على مصير وهدف واحد، حيث يكون هناك طرحا واقعيا لقضايا العالم الإسلامي المتعلقة بعمليات الاحتلال، وبالتالي طرح سبيل المواجهة الفعالّة من خلال

جهاد العصابات الشّيشانية كمفهوم عام لحياة المسلم يكون القتال جزءا منه.

فعامل المقاومة الإسلامية يعد سببا للقلاقل والإزعاج بالنسبة لروسيا المجسّد في الجهاد من قبل الشّيشان، خاصّة مع تولّيّ التيارات السلفية في هذه المنطقة للواء المقاتلة الإسلامية، وذلك دون إجحاف لدور بعض الصوفية الجهادية معها، واتخذت صيغة حرب العصابات من التيار السلفي رأس حربة لها، حيث كسر التوقعات المادية والحسابات الخاصة بفروق القوى، فالانتصار لدى رجال حرب العصابات الشّيشانية هو انتصار لقيم الغيب على المادّة، ولذلك نجد أنّ معظم المجاهدين في الشّيشان كانت بدايتهم الأولى في أفغانستان حيث هزم الاتحّاد السوفياتي على يد المسلمين، وانتقالهم إلى الأراضي الشّيشانية جاء مع بداية الأزمة لاستئناف تطهير الأراضي الإسلامية الشرقية من سلطة الاتحاد السوفياتي.

فالمواجهة بالنسبة لرجال العصابات الشّيشانية هو من أجل تأكيد تطلعاتهم إلى إقامة دولة الخلافة الإسلامية على غرار الخلافة العثمانية في شمال القوقاز، ولذا فالعمل القتالي الشّيشاني ذو بعد توحيدي لضم كل من الأراضي الشّيشانية وأنجوشيا وكافة الشعوب المحيطة بها في صيغة توحيدية للكيانات الإسلامية المتناثرة تحت حضور مادي للكيان الرّوسي (القوات الفيدرالية الرّوسية).

فالمقاربة الإسلامية القتالية بالمنطقة، على الرغم من الاختلافات العرقية، فإن المذهب القتالي الغالب (بناءا على الأصول النظرية السابق ذكرها). هو المذهب السّني، لذلك فالشّيشان-أيامنا هذه-أصبحت معقل الحركة الإسلامية السنيّة التي تؤمن باسترجاع دولة الخلافة الإسلامية كنقطة انطلاق ضدّ الوجود الرّوسي، خاصة بعد انتهاكاته الدموية اتجاه هذه الشعوب على مرّ تاريخها معها، فعمليات الإبادة والتطهير الجماعي التي تعرضت لها معظم الشعوب الإسلامية، وخاصة الشعب الشّيشاني، قد رسمت صورة متوازنة لتحديد شكل التعامل مع الكيان الرّوسي، في أي وقت تسمح وتسنح فيه الفرصة، ومن ثمّ شكّل تربة خصبة لاسترجاع الفكر الإسلامي الجهادي، الذي نما وتكوّن وفق رؤى دينية متعددة، فالبداية كانت

صوفية ثم أصبحت سلفية على أيدي العصابات المقاتلة الشّيشانية، لتكون بذلك المقاربة القتالية الإسلامية الشّيشانية واقعة تحت مسمّى الجهاد الإسلامي الذي يُعد جيواستراتيجيا مصدرا حقيقيا للقوة يتصف بخصائص خمسة وهي:

- الكثافة الكميّة.
- الديناميكية الحركيّة.
- القوى الرمزية المتطلعة من حوله.
- القدرة على تقديم الإجابة المعنويّة للوجود الإنساني.
- ثمّ التطور نحو قيادة عسكرية جديدة وإمامة عملياتيّة في أغلب الدول الإسلامية بالقارة الآسيوية. لتصبح شيشينيا بعد أفغانستان تشكل عمقا جيواستراتيجي ثاني داخل آسيا لكل حركات المقاومة الإسلامية في المنطقة، من خلال طرح مفهوم الجهاد كمنهج للمقاربة القتالية الإسلامية من جديد، ومن ثمّ تطبيقه ونجاحه في عملية التحرير، وبالتالي فنشاط القوات الرّوسية بالمنطقة كمقاربة غربية قتالية، كان كوسيلة لإيقاف وضرب قاعدة ومركز الإمداد الأصولي الثاني في آسيا الوسطى وبالتالي أوراسيا، فهي محاولة لكبح محاولات هذه القوة في البزوغ، خصوصا بعد ظهور أرضية خصبة لنمو المدّ الإسلامي داخل جمهوريات وسط آسيا المستقلة، فالمسألة هنا لها تبعات ومخاطر على الكيان الرّوسي عامة، تتعدى الحدود الشّيشانية كدولة مستقلة، وتتلخص القضية في انفراط العقد الإسلامي من الرّقابة الرّوسية، ومن ثمّ تكوين قوى إسلامية مركزية في هذه المنطقة، ففي الحرب العالمية الثانية نجد أن الاتحاد السوفياتي، قد خرج من الحرب وهو أعظم قوة برية على وجه الأرض، وأكثر من ذلك، وهو في أقوى وضع دفاعي استراتجياً.

وتصدق هذه الرؤية، عندما كان الاتحاد السوفياتي في وضع موّحد على مستوى المذهب الحربي والإيديولوجيا الحاكمة والمسيطرة، بالإضافة إلى الجانب العسكري المساند له والمهيمن على كتلة قلب العالم -Heart-

Landقلب العالم أو مركز الأرض، والذي هو محور ارتكاز الجزيرة العالمية حيث أكبر قوة بر في العالم ككل وذلك حسب نظرية الانكليزي "هالفورد ماكيندر" (Hal Ford Makinder).

ولو نظرنا إلى كتلة قلب العالم، لوجدنا أنّها تمتد "من حوض الفولجا غربا حتى سيبيريا شرقا، وقلب إيران جنوبا، وهو بهذا يضم مساحة ضخمة متصلة بلا انقطاع من أوراسيا تبلغ "21 مليون ميل" وتبتلع كلّ الأستيبس الأسيوي"، حيث معظم الجمهوريات الإسلامية والتي هي الأقاليم الأساسية المكونة لقلب العالم، ومنها الشّيشان والتي تقع على التّخم الغربي له أسفل روسيا، والتي بدورها تقع في أقصى الشّمال الغربي من هذه الكتلة حيث بوابّة أوروبا الشرقية، فقيمة قلب العالم عموماً تأتي من خلال توحّده في أيدي قوّة واحدة تصبح بعدها أكبر وأقوى قوة بر في العالم، أمّا عند تفتت وتفكك الأقاليم الداخلية المكوّنة له فانه يصبح من السهل اختراقه وتقويضه من الداخل.

وبهذا، فعنصر الهيمنة للمقاربة القتالية الغربية كان يتحرك من الشمال حيث القوة الأوروبية المتمثّلة في روسيا التي أخذت تمتدّد على حساب الأستيبس الأسيوي، لتصطدم بالمقاومة القتالية الإسلامية الشّيشانية الرابضة على أقصى قمّة التّخم الغربي لقلب العالم، والذي أصبح بعدها قوة البر الطاردة الجهادية نحو أقاليم الشمال الإسلامية الخاضعة لروسيا الاتحادية كأنجوشيا، أبخازيا، وغيرها، بغرض تحريرها ومن ثمّ توحيدها، لذلك فإن ميزان القوة انقلب رأسا على عقب، فسيطرة القوّات الرّوسية تحرّكت من الشمال الغربي نحو الجنوب، والجنوب الشرقي حيث الهيمنة الجبرية على الأقاليم الإسلاميّة التي ما لبث زحفها الاختياري (الحركات الجهادية) نحو الشمال والشمال الغربي أن أصبح عامل تهديد ووعيد لبقايا أملاك الاتحّاد السوفياتي سابقا والاتحاد الرّوسي حالياً.

ولذا فإنّ حرب العصابات الشّيشانية (كنموذج فعّال وحيد للمقاومة القتالية الإسلامية) تعتبر كقوة برية آتية من الغرب ممثلّة للّبنة الأولى نحو توحيد كتلة قلب العالم تحت مسمّى عقيدي، من شأنه أن يمد جسور التّلاقي

مع الجيوب الإسلامية في شرق أوروبا مثل "ألبانيا-البوسنة-الهرسك-كوسوفو- مقدونيا"، والذي يسوق بدوره إلى أن يؤدّي إلى تحجيم روسيا في حدودها التاريخية القديمة قبل التّوسع، ومنازعتها الوصاية على شرق أوروبا، وبالتّالي تقوية وتنشيط الجيوب الإسلامية في تلك البقعة، حيث إنه من المعروف أنّ "**من يحكم شرق أوروبا يسيطر على قلب العالم، ومن يحكم قلب العالم يسيطر على الجزيرة العالميّة ومن يحكم الجزيرة العالميّة يحكم العالم**"[1].

وبالتالي فالمقاربة القتالية الجديدة الإسلامية المتمثلة في حرب العصابات الشّيشانية السنيّة الجهادية، هي مفتاح لإعادة تشكيل المنطقة وإعادة هيكلتها وفق الرؤية الإسلامية، فعندما تظفر بالنصر هاته المقاربة فهي تقدّم شكلا إسلامياً أصولياً قائما على تفعيل الجهاد كفريضة، والتي أصبحت حرب العصابات أخذ أشكالها، فإنها بالتالي ستصبح نموذجا ومركزا طاردا للعمليات والحركات الإسلاميّة التحررية، فالمسألة هنا بالنسبّة لرجال العصابات الشّيشانية هي نقل مراكز الجهاد من أفغانستان إلى الشّيشان[2]، والتي إن نجحت في طرد الرّوس ودحرهم وفق النموذج الجهادي المختار، فإن ذلك يتم ويكشف عن الصيغة المثلى في التعامل مع المقاربة القتالية الغربية عامة والرّوسية خاصة، وهو ما سنحاول الكشف عنه من خلال استعراض لردّ الفعل الرّوسي وموقفه من النموذج الجهادي المختار (حرب العصابات) كتجربة جهاديّة ثانية المتصاعدة من الجنوب إلى الشمال حيث أوروبا الشرقية، والتي لا يفصلها عن منطقة القوقاز تخوم أو موانع طبيعية يستعصي اختراقها من قبل قوّة البرّ الإسلاميّة المتمثلة في جماعات مجاهدي حرب العصابات الشّيشانية المتزايدة بصدد تنفيذ الحلم الجامع لمعظم مسلمي العالم، ألا وهو دولة الخلافة الموحّدة.

---

(1) د. جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة: دار الشرق، 1998م، ص.ص.، 198- 199.

(2) نفس المصدر، ص198.

أولاً: الإخفاق الرّوسي أمام المقاومة الشّيشانية

ففي معظم تاريخ الحروب هناك علاقة طردية بين حجم الجيش وسبب انتصاره، فالجيوش ذات العدد الأكبر تتفوق عادة على الجيوش الصغيرة، وبالمعنى العام فإن الجيش الكبير يكسب معارك أكثر، خاصة مع الاستفادة من التقدم التقني في تعبئة مصادر أكثر وأكبر لخوض الحروب، وهو ما كانت عليه في معظم التاريخ، ولكن ليس في كل أحداث التاريخ ومواقعه، فنموذج حرب العصابات الشّيشانية المحاربة تحت الراية الدينية، تعد شكلا آخر من أشكال التفوّق الجديد للقوى الصغرى أمام القوى الأكبر (والتي من ضمنها القوات الرّوسية)، مادام هناك تعبئة حقيقية لهذه القوى للوقوف أمام القوة الأكبر أو الجيش الأكبر، وهو ما كانت عليه حرب فيتنام التي حاربت القوات الفرنسية ثم الأمريكية، وهو ما عليه الآن تقريبا مقاومة القوة الشعبية الشّيشانية المجسّدة في شباب العصابات الشّيشانية لقوة روسية ضخمة عددا وعدّة، وهي بقايا الجيش الإمبراطوري السوفياتي. فالمقاتلون الشّيشان يكافحون أمام هذه الترسانة من الأسلحة الضخمة المكوّنة من المدافع والدبابات والصواريخ والراجمات والطائرات المروحية، ومع ذلك فإنّ القوّة المقاومة للعصابات (الأنصار) الشّيشانية لم تلن أو تنكسر على الرّغم من الاجتياح المتكرّر للعاصمة غروزني من قبل الفصائل الرّوسية، مثله مثل تكرار عملية الإطاحة بجنرالات روس ثم عودتهم إلى ميدان القتال.

هناك بعض الدوّل والمجتمعات التي يمكن أن تقاوم وتصمد وتحرج دولا كبرى، ولكن بالمقابل هناك دول صغيرة تكون تحت رحمة هذه الدوّل الكبرى، لأن هذه الأخيرة تستفيد استفادة قصوى من (ثورة التقّنية) للمعدّات والأجهزة العسكريّة، ولكن بعض الدوّل أو المجتمعات الصغيرة، كما هي حالة الشّيشان، تستطيع أن تضع قوّات دولة كبرى في حالة المخاطرة بسمعتها، وهو أحد مكامن العجز والفشل العسكري الرّوسي أمام اندفاع رجال العصابات الشّيشانية التي أجبرت الإدارة العملياتية للقوات الرّوسية على التراجع أمامها باستخدام تقنية بدائية نسبياً، تربطها بإيمان وعزيمة لا تلين، وتصميم لا يضعف على بلوغ الهدف، كما تستطيع أن ترسل رسالة

واضحة بأن ديبلوماسية القوة ليست بالضرورة مقدّراً لها أن تنجح في كلّ الأحوال وتحت كلّ الظرّوف. ولعلّ واحداً من أسباب تنحّي بوريس يلتسين من مهامه بوصفه رئيسا للجمهوريّة هو الفشل الذي منيت به الحملة العسكرية على مقاتلي العصابات الشّيشانية. وكذلك فإن صدى الحرب يتصاعد في أوساط أخرى، منها جمعيات حقوق الإنسان الدولية والمنظمات الدولية الإنسانية. وأمام خليفته رئيس الجمهورية الرّوسية الجديد فلاديمير بوتين هامش ضيّق للوصول إلى حلّ عسكريّ نهائي، وهو الأمر الذي بات مستحيلا مع انتقال المقاتلين الشّيشان من حرب جبهات إلى حرب عصابات، ليصبح الأرجح بالنسبّة لإدارة موسكو هو إيجاد حلّ سياسي، خاصّة أنّ بوتين أراد المراهنة على الجيش كواحد من الأعمدة الوطنية. فالتوجه السّلمي لإيجاد الحلول روسيّا هو الأقرب إلى منطق صانع القرار الاستراتيجي، ويعدّ نصراً أكيداً لمقاتلي العصابات الشّيشانية المطالبين بالاستقلال. فمقاومة الصغير للكبير (بمعنى الحجم والعدة) نابع من إيمان عميق لدى المقاتل بأسباب المقاومة وبالتّالي الاستعداد لمواجهة الموت للدّفاع عن الدين والوطن بالنسبة للشيشان.

فالقوّات المقاتلة لدولة صغيرة كالشّيشان تستفيد من قدرتها على التّركيز على أهداف محدّدة، وقدرتها أيضا على التعبئّة الكاملة ضدّ القوّات الرّوسية، في حين هاته الأخيرة تستطيع أن تحشد قدرا أكبر من القوة العسكرية، ولكن بسبب هذا الحجم تضيع ميزة التركيز وتتخللها بيروقراطية صعبة وطويلة تتوقف عندها الدول الصغيرة. فمقاتل العصابات الشّيشانية يحمل البندقية لإيمانه بما يفعل ولمعرفته السبب وراء حمله لهذه البندقية، أمّا الجندي الرّوسي فهو في الغالب لا يعرف لماذا تدور هذه الحرب، وهو يدخلها وفي ذهنه هدف واحد: أن يخرج منها سالما كما يفعل السياسيون في موسكو، هذا الاختلاف في العقيدة القتالية هو الذي يسبّب الفرق بين انتصار الصغير المؤمن وفشل الكبير فاقد الهدف المباشر. التقنيّة العاليّة التي اجتاحت العقيدة العسكرية في الدول الكبرى في العقود الثلاثة الماضية، أبعدت الممارس العسكري فيها من الاحتكاك المباشر مع ساحة المواجهة.

هذه التقنيّة طوّرت لهدف القتال بالصواريخ العابرة للقارات والقوة

المدمرة عن بعد، ولكنها أفقدت المقاتل المباشر على الأرض مبادرته، فالقوات الرّوسية تستطيع أن تكسب حربا عن بعد، ولكنّها تتعطل على الأرض عندما يحتاج الأمر إلى مواجهة مباشرة في الحرب على شاكلة حرب العصابات الشّيشانية. وعندما تكون المواجهة ذات بعد عقائديّ ووطني، وعندما يؤمن المقاتل بأهدافه الدينيّة. فالهدف النّهائي لأيّ حرب هو أن تفرض إرادتك على العدوّ، وفرض الإرادة بالنسبة للقوّات الرّوسية له طريقان:

1 - إما عن طريق السيطرة المباشرة.

2 - أو القسر.

ففي الأولى فهي تحاول أن تحتوي العصابات الشّيشانية (الحصار) وتفرض عليها ما تأمره بها. أما القسر فهو أن يكون لرجال العصابات الشّيشانية المقاتلة خيارات، ولكن العقاب الذي يصيبها ما لم تأخذ العصابات الشّيشانية الخيار الذي تبتغيه القوّات الرّوسية.

فتُعتبر رغبة الكرملين في إجراء حوار مع الرئيس الشّيشاني أصلان مسخادوف بعد تأكّده من أنّ أمد الحرب سيطول، والرئيس الرّوسي يريد إنهاء الحرب بصورة تحفظ له ماء الوجه، بعد أن زيّن له مستشاروه العسكريون لوحة جميلة تبين إخضاع "الجمهورية المتمردة" وإقامة سلطة موالية لموسكو من الشّيشان أنفسهم، والسيطرة على كامل الشّيشان عن طريق المدافع والقصف واستخدام الأسلحة الحديثة، فلم تستفد القوات الرّوسية من الدروس القاسية التي لقنّها الشّيشان للرئيس يلتسين في الحرب الأولى ووقع في فخ العسكريين له وذاته.

والقوات الرّوسية أضحت في مأزق حقيقي بعد العمليات الناجحة لقوات المجاهدين في المناطق الجبلية، والتي أودت بحياة مئات الجنود الرّوس والمعروف أنّ موسكو غالبا ما تخفي خسائرها الحقيقية وتقلل من أهميتها.

ورغم التصريحات التي يطلقها فاليري مانيلوف "valerei manilov-"

نائب رئيس هيئة الأركان الرّوسية، وسيرغي ياسرجيمبسكي "Sergy Yasserjimbskei" مساعد الرئيس بوتين، وسياسة استعراضية الألفاظ التي يتّبعانها، ورغم الشروط التعجيزية التي وضعها الكرملين لبدء المفاوضات مع القادة الشّيشان، فإن رجال العصابات الشّيشانية لم يوقفوا هجوماتهم التي تكبّد موسكو أفدح الخسائر وبشكل أكبر مما كانت عليه بداية العمليات العسكرية، ولقد فهم الميدانيون المقاتلون الرّوس أن اللعبة ستكون لصالح الشّيشان، فالمعطيات الميدانية على أرض المعارك تدل على أن العمليات القتالية الشّيشانية ستستمر. أكثر من ذلك[3]، سيعمد المجاهدين إلى التّصعيد من كثافتها، بشكل تعجز أمامه موسكو عن إخفاء الخسائر الكبيرة من الأرواح والمعدّات، ولهذا فميزان القوى في ميدان المقاتلة يدفع بالكرملين إلى البحث عن الكيفية التي ستخرجه من المأزق الشّيشاني دون التأثير على شعبية فلاديمير بوتين وصورته في الشارع الرّوسي، وفي نفس الوقت إظهار التخوف من كون استمرار العمليات العسكرية لرجال العصابات سينشر النيران في مناطق القوقاز الأخرى، وهو ما كان قد حذّر منه جهاز الاستخبارات الألماني. إذ أنه مع اخضرار المناطق الجبلية في الجنوب الشّيشاني واقتراب فصل الصيف سيدعم من الوضع القتالي لرجال العصابات الشّيشانية أمام الجنود الرّوس المستخدمين لأساليب مختلفة في مناطق يعرفون تركيبتها الجغرافية بكل دقة، مقابل جهل الجنود الرّوس لها، وإن كان الشّيشان في مثل هذه الظروف لا يملكون جبهة واحدة، فهم يستطيعون فتح جبهات في غروزني وقدرميس وأرغون وفيدينو وفي كل مكان لا يتوقعه الرّوس، والكمائن المتقنة والناجعة للعصابات الشّيشانية، والتي طالما حذر منها المدافع الرّوسي عن حقوق الإنسان الكاتب سيرغي كافاليوف "Sergei kavalyov"[4] المعتبِر موقف الكرملين حول إنهاء الحرب سلميا بالمناورة التي استدعتها الضرورة لإرضاء الغرب.

(3) Balencie (J-M) et George (A): *Les mondes rebelles*, Michalon; 1999, P.116.

(4) يُعد كافاليوف أحد الأصوات المعارضة للحرب في الشيشان، وأكّد منذ الأيام الأولى للعمليات، استحالة انتصار القوات الروسية في هذه الحرب، وقد أُتّهم في الحرب الأولى بالخيانة ويتعرض على الدوام لانتقادات شديدة.

وتتلخص الشروط الرّوسية لحل مشكلة الشّيشان في:

1 - تسليم شامل باسييف وخطّاب لموسكو.

2 - وإيقاف عمليات العصابات الشّيشانية المقاتلة، ونزع سلاح الفصائل الشّيشانية أما الجانب الشّيشاني، فإنه يصرّ على تنفيذ شرطه الوحيد ليتحقق السلام وإيقاف العمليات الحربية والذي عبّر عنه القادة الشّيشانيون بما فيهم شامل باسييف وخطّاب، وهو أن تكون المفاوضات على أساس معاهدة 12 جوان 1997م التي وقعّها الرئيسان مسخادوف ويلتسين، وأدّت إلى خروج القوّات الرّوسية من جمهورية الشّيشان، كما طالب الرئيس مسخادوف بحضور مراقبين دوليين من الإتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبية وغيرهما من الهيئات الدولية.

إن المباراة وعلى الرغم من التفوق المادي الرّوسي الذي كان قادراً على أن يرجّح الكفّة لصالحه، غير أنّ العقيدة القتالية حوّلت اللّعبة من صفرية إلى غير صفرية، كون العقيدة القتالية في العسكرية النظامية الرّوسية جعلت من مسائل الانتصار لدى الجنود الرّوس إما مستحيلة أو ناقصة، فعن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على المنبر وهو يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة "**ألا إن القوّة الرّمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوّة الرّمي**") رواه مسلم. فإخفاق روسيا أمام الشّيشان راجع لثلاثة أسباب رئيسية يمكن حصرها فيما يلي:

1 - غياب العقيدة القتالية المحتواة داخلها على الهدف من الحرب.

2 - نقص الخبرة وعمليات التأهيل والتدريب بالنسبة لأفراد الجيش الرّوسي فيما يتعلق بمواجهة حروب من شكل حرب العصابات الشّيشانية.

3 - شكل وطريقة المواجهة غير عقلانية.

هذه الأسباب المعتبرة كشروط نجدها في العسكرية الإسلامية لرجال العصابات الشّيشانية: فالقتال بالنّسبة لهؤلاء يعتبر كهدف لحماية الإسلام من كافة أعدائه، فقد قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحجّ: 39]، إذن الجهاد بالنسبة للمقاتلين الشّيشان قد ورد

من الله عز وجل، وشرط المواجهة العسكرية خاضع للنصّ، ولعل شرط القتال لم يأتي لحماية الإسلام ككيان جغرافي أو كمغنم سياسي تمّ اكتسابه، ولكن كل قيمة للأرض في التصور الإسلامي إنما هي مستمدة من سيادة منهج الله وسلطانه فيها. وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهاج و"دار الإسلام" ونقطة انطلاق لتحرير "الإنسان"[5].

فتغييب العامل العقائدي السليم في الفعل القتالي الرّوسي، ساهم بالقسط الكبير في اندحار هذه القوات أمام الشّيشان، ففاعلية البعد الإيماني في الإنسان ضرورية لتحديد الأهداف والوصول إليها، قبل استحضار ضرورة البعد الإجرائي أو شروط الاستعداد لملاقاة العدو والتي هي في ذات الوقت بالنسبة للمقاتلين منسوبة إلى التوفيق الإلهي للشيشان، حيث ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]. فالعقيدة تتعامل مع التأهيل العقلي، وتنص عليه كأحد أركانها، فعكس الرّوس فهناك تطابق بين الكلي (الإيمان) والجزئي (القتال) المتساوية من حيث جوانب الاستلهام والطاعة، فالعمل القتالي للشيشان مرتبط بنص عقائدي، أما الرّوسي فمرتبط بجوانب متناهية (مصالح دنيوية محدودة).

فالعسكريّة الإسلاميّة الشّيشانية القائمة على الجهاد قائمة منذ البداية على علاقة الإنسان بربّه، ومن ثمّ فهي جزء من العبادة، ولذلك فكل عناصر الاستعداد من رمي ومنازلة هي جزء من العبادة لدى مقاتلي العصابات الشّيشانية والتي قوامها الفرد أو الإنسان المؤمن وليس الآلة الحربية كما بالنسبة إلى النظامية الرّوسية، وبالتالي فهي فعل طوعي بالنسبة للشيشان وجبري بالنسبة للروس، فمجاهدي العصابات الشّيشانية يعتبرون أنفسهم هم القائمين على نفاذ الأوامر الإلهيّة في الإقليم، ومن ثمّ نجد أنّ الهدف من جهاد العصابات الشّيشانية يختلف عن الهدف من النظامية العسكرية الرّوسية، الواقع تحت أسر القوالب الدفاعية الجاهزة أو الشروط المادية الضيقة حتى في التعامل العسكري. فالشكل المسيطر الآن على العسكرية

(5) سيد قطب: في ظلال القرآن- تفسير سورة الأنفال، سوريا: منشورات اليقظة، 1981م، ص1441.

الإسلاميّة هو حرب العصابات الشّيشانية التي نحن بصدد دراستها، وعلى الرغم من حالة الهزيمة الحضارية، حيث اتساع الفجوة التكنولوجية بين الشّيشان والرّوس، أدّى بهذه الأخيرة أمام الطريقة العشوائية كطريقة مثلى لمقاومة الاحتلال الرّوسي والتي هي مقاومة النظام باللانظام حتى يستحيل الرصد والرقابة، حيث بات من المستحيل لدى القوات الرّوسية إحراز أي تقدم أو تفوق عسكري أمام أساليب الإبداع التكتيكي لرجال العصابات الشّيشانية، وهي طرق يستحيل إدراكها وتوقّعها من قبل العسكريّة الرّوسية النظامية القائمة على الآلة والوسائل التكنولوجية المتقدمة والتي هي ليست في متناول المجاهدين الشّيشان، ولعل ذلك ما نجح في أفغانستان، حيث صنع حالة اللاتوازن مع العدوّ، وهو ما فعله المقاتلون الشّيشان، "وهذا اللّاتوازن هو الذي يجعل القوّة الرّوسية بلا حيلة كليّاً. ففي غمرة صراعها مع الشّيشان، لا يسعها إلّا أن تغوص في منطقها الخاطئ عن موازين القوى، عاجزة عن الإتيان بأيّ دور على أرضية التحدّي الرمزي والموت الذي باتت تجهل عنه أي شيء، لأنه ألغته من ثقافتها".

فبالتّالي، النموذج المادي أو العسكرية النظامية بلا عقيدة، تكون هشّة وغير قادرة على المقاومة، ولعلّ هذا ما وضّحته العصابات المقاتلة الشّيشانية، فالنموذج الإنساني يعتمد على الإيمان بالعقيدة في أشد لحظات المواجهة، وعلى الرغّم من ظاهره البسيط والمتعامل مع الفطرة بأشكالها المتعلقة، حيث الاختباء بين الأشجار وحفر الخنادق والتي هي من أشكال المقاومة والدفاع البسيطة، إلا أنّ النتائج التي حققها النموذج الإيماني ضدّ الجيش الرّوسي كنموذج آلي ضخم، هي أكبر من إمكانياتها المادية المعلومة والمرصودة والظاهرة، مما يصب ويدعم كفة العقيدة أو الدين، فاعتماد الجهاد الشّيشاني على العقيدة وليس على المادة يقابله في الجانب الآخر (الرّوسي) اعتمادا كلياً بداية ونهاية على المعطى المادي وليس العقيدي، ولعلّ تراجع العربة المقاتلة المصفحة أمام نيران مجاهدي العصابات الشّيشانية غير المؤثرة هو نوع من التلخيص البلاغي، الذي يدعو إلى إعادة تقييم مفردات الصراع ومعطياته، وبالتالي إعادة النظر في مفهوم القوّة والغلبة والعدة.

فالآلة هي حصن ومأمن الجندي الرّوسي، وبالتالي مصدر ثقته بالعالم والنتائج المرجوّة، لذلك فالآلة هي أساس الهجوم أو الحرب وليس الفرد، فالقوى الروسيّة قوامها الآلة وليس الفرد والعقيدة، وذلك على الرّغم من انتمائهم إلى المسيحية. بالإضافة إلى ربط القيادة السياسية والعسكرية الرّوسية دخول الجيش الرّوسي إلى الأراضي الشّيشانية بأعياد الميلاد، حيث إهداء نصر مسيحي للشعب الرّوسي، إلّا أنه مني بالفشل، فعلى الرغم من الانتماء العقائدي بالنسبة للروس، إلّا أنّ الدنيا هي مبعث التّعامل مع العالم، ويدعونا هذا إلى أن كلّاً من الكلمتين: العصابات الشّيشانية والجيش الرّوسي تمثلان معاني متحولة، حيث أنّ المعنى العام المسيطر على المعارك هو: النصر لمن او القوة لمن، فالمعنى هنا هو معنى انتقالي وليس ثابتاً وفق معطى ظاهر، ففي بداية الصراع أو قبل الاشتباك يظهر الكيان الرّوسي المتضخّم بمظاهر القوّة، وعلى العكس المقاتلين الشّيشان، وهم في هيئة ضعف إلّا أنه بعد الاشتباك والمنازلة ينتقل معنى القوة من المعطى المادي إلى المدد العقائدي، فالإخفاق الرّوسي هنا قام بإعادة ترتيب المفاهيم الدلالية، بل وإعادة تركيبها من جديد ومن ثمّ تصحيح تداولها ميدانيا، فالصيغ الدلالية، الجاهزة والممثلة في (آلة-نظام-جيش) والتي يتم تلقينها للجنود الرّوس من خلال الميدان على هذا النحو [قوة-انتصار]، وهذه الصيغة بالطبع هي الخاصة بالجيش والقوات الرّوسية، أما الصيغة التي على الجانب الآخر والمتمثلة في المجاهدين الشّيشان فهي [أفراد-أسلحة بسيطة- انعدام التحصينات]، والتي يتم تلقيها من طرف العصابات الشّيشانية المستبعدة للبعد المتعالي على النحو التالي [ضعف- خسائر كثيرة في الأفراد- هزيمة]، فنتائج المعارك والاشتباكات قد غيرت، بل كسرت مسلّمة التلقّي بالنسبة للجندي العادي وذلك بعد وضع العقيدة في الحسبان، لذلك فصيغة التلقي [قوة-نصر]، كسلوك لصيغة النموذج الأول (الرّوسي) قد أصبحت من نصيب الصيغة الدلالية الشيشانية. فالفعل القتالي الرّوسي لا يجمع بين النص العقائدي والفعل الحربي الدنيّوي، فمرجعية تصنيف السلوك القتالي الرّوسي مازال خارجه وليس بداخله، وهو يستبعد الموت أو الموتى في نهاية الحرب أو كل معركة أو الخسارة، والتي تعني بالنسبة للمقاتلين

الشّيشان الشهادة، فالموت بالنسبة للجنود الرّوس- بحسب مزاعم نيتشه- "العدو الأول للحقيقة"[6]، وذلك لكونها تقلل من مفهوم النصر، فالموت هو الخسارة الوحيدة الحقيقية بالنسبة إليهم.

فالإنهيار الرّوسي أمام الشّيشان جاء كمعطى أمام تصدي العصابات لكثرة عدد وعتاد وضخامة آلة الحرب الرّوسية، فحاربوا وقاتلوا في معركة "قافلة رقم 1" بمدينة "فيدينو" وأوقعوا في صفوف الرّوس خسائر كبيرة، وأجبروا الجنود الرّوس على التراجع تحت وقع هزيمة مجدّدة.

فالإخفاق الرّوسي أمام العصابات الشّيشانية، يأتي مع بعض الشهادات لقادة ميدانيين روس بقوة مقاتلي العصابات الشّيشانية:

- "إنّ مقاتلي العصابات الشّيشانية يستحقون كل تقدير واحترام، وفي وسط الغابات والجبال لا تستطيع أية قوة أن تغلبهم، فهم رماة مهرة شجعان أذكياء وينتهزون فرصة كل خطأ ارتكبناه لتدميرنا. ويضيف قائلاً[7] الجنرال نيكويلاف. س: "لقد رأيت بعضهم أثناء القتال ممزّقين إربا أجسادهم مثقوبة، ومع ذلك كانوا يستمرون في القتال كأنهم لا يشكون من شيء".
- أمّا "لبيد" فيعترف قائلاً: "حاصرنا منزلا اختبأ فيه مجاهدون فأبوا تسليم أنفسهم، فأشعلنا النار في المنزل، فخرجوا بسلاحهم يمطروننا برصاصاتهم، فلما فرغت ذخيرتهم تقدّموا نحونا بالحِرب حتى قتلناهم جميعا".
- ويقول روسي وقع في الأسرْ: "إنهم لا يعاملوننا معاملة تختلف عن جرحاهم، وأطباؤهم لا يسبّونا كما يفعل الأطّباء الرّوس، إذا ذهب إليهم الجريح الرّوسي، يقولون له: فلتمت أيّها الوغد. كما نسوق

---

(6) جان بوديلار: ذهنية الإرهاب، ترجمة وتعليق: بسّام حجّار، المركز الثقافي العربي، 2003، ص25.

(7) جان غيتون: الفكر والحرب، ترجمة: المقدم. هيثم الأيوبي - أكرم ديري، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بدون تاريخ، ص101.

هذه الكلمة لأم تودّع ابنها الذي استشهد أخواه: "اذهب يا ولدي، مت وأنت تحارب في سبيل دينك ووطنك ومن أجل حريتك، إن هذا الموت أفضل من الحياة تحت نير الرّوس، تذكّر والدك حين طلب مني أن أخرج بأسناني من كبده رصاصة روسية قبل أن يموت، لأنه لم يودّ أن تصعد روحه إلى بارئها وفي جسده رصاصة كافرة"[8].

فالإخفاق الرّوسي، صاحبَه شعور بالذّنب والخطأ لدى العامّة والخاصّة من الرّوس وهذا بعض ما قالوه عن أنفسهم[9]:

1 - رئيسة لجنة أمّهات الجنود الرّوس تقول: "يريد الرّوس إبقاء حقيقة ما يجري طي الكتمان، وهذه خطة إبادة مقصودة للشعب الشّيشاني".

2 - ويقول وكيل وزارة الخارجية الرّوسي: "لقد أساءت الحكومة الرّوسية إدارة الأزمة الشّيشانية إساءة مقصودة دون شك".

3 - امرأة روسية الأصل في غروزني: "إنني أشعر بالعار من كوني روسية، وإنّ جنود بوتين يتصرّفون كالحيوانات".

4 - ويقول رابع: "لقد كنت واحدا من المعارضين للأساليب التي نتّبعها في القوقاز، والتي تُذكّر بجميع الأعمال الوحشية التي قام بها الإسبان في بداية استعمارهم لأمريكا".

بالإضافة إلى الفساد الذي استفحل داخل الإدارة الرّوسية، ووصل إلى حد سرقة الأموال المخصصة لروسيا من صندوق النقد الدولي، وتحويلها إلى حسابات القيادات الروسية في البنوك الأوروبية. جميع هذه الإرهاصات تُنبّأ بسقوط روسيا وحكومتها وإدارتها العسكرية. إلى جانب ذلك، تجد تعدد المآسي والمُصاب واحد، وهذا ما ينطبق حاليا على روسيا التي اجتاحتها العديد من الأزمات المتتالية سواء على[10] الصعيد السياسي أو الاقتصادي

---

(8) جان بودريلار، مصدر سابق، ص30.

(9) Carrere d'encausse (H): *L'Empire éclaté*, Flammanion: 1978, p., 58.

(10) François Burgat: *L'islamisme en face*, Paris: La découverte, 1996, p., 83.

أو الاجتماعي، وهو ما ضعضع مركزها العسكري الدولي وما جعلها تتوارى أمام دول الغرب الكبرى كالولايات المتحدة. فروسيا التي عانت أزمات سياسية متتالية منذ عام 1989م، تضعضع اقتصادها إلى حافة الانهيار، مما شكّل عبئاً ثقيلاً على القيادة الرّوسية، التي حاولت الخروج منها بافتعال أزمات داخلية أو الدخول في نزاع مع أحد أركان ما كان يسمى بالإتحاد السوفياتي سابقا كما هو نزاعها مع الشّيشان حاليا ومن قبل عامي 1994م و1996م. هي تعيش أيضا حاليا أزمة سياسية تتعلق بالوضع المأساوي للقوات المسلّحة الرّوسية، التي باتت في مأزق الشّيشان حيث كل مساعي بوتين للخروج من هذا الوضع بما يحفظ ماء الوجه فشلت. وعدم تحقيق روسيا نصرا عسكريا في الشّيشان، هو الأمر الذي استبعده أغلب المراقبين السياسيين نظرا لمحاصرة رجال العصابات الشّيشانية للجنود الرّوس في المدن التي دخلوها.

ونظرا لهذا الفشل قامت الداخلية الرّوسية تحت تعليمات إبغور إيفانوف (Igor Ivanov) بإصدار قرارات ترمي إلى منع الذكور الشّيشان الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و60 عاما من عبور الحدود الشيشانية إلى حدود جمهورية أنجوشيا المجاورة، كردّ فعل على الهجمات المضادة الموسعة التي نفذها المجاهدون الشّيشان في الأجزاء الشرقية من الجمهورية التي استولت عليها القوّات الرّوسية، وتبعا لقيام مدنيين من خلال الجهاد السري الشّيشاني بعمليات خلف الخطوط الخلفية للقوات الرّوسية. وفضلاً عن حظر التجوال المفروض في الشّيشان، فقد أدرج وزير الداخلية الرّوسي (بالاستخلاف) إجراءات خاصة باستمرار العمل بنظام صارم لنقاط التفتيش للتحقق من هوية المدنيين في المناطق المحتلّة.

وفي محاولة لسدّ كافة الطرق المؤدية إلى جمهورية جورجيا المجاورة قامت إدارة موسكو بنشر المزيد من القوات الفيدرالية على حدود المنطقة الجبلية الواقعة جنوب الشّيشان والتي كانت العصابات (الأنصار) الشّيشانية تستخدمها لتلقّي إمدادات وتعزيزات بشرية من متطوعين أجانب[11].

(11) Ibid, p., 90.

كما قام القادة العسكريون بتطويق أهم الممرات القتالية للمجاهدين الشّيشان، والأمر يتعلق بالطريق الأساسي الذي يعبر بممرّ أرغون، حيث تتناوب عليه وحدات حرس الحدود وتتألف تلك الوحدات من جنود مسلحين بمدافع الهاون وقاذفات اللّهب.

وعملية إعادة نشر القوات الرّوسية كما هو مبيّن في الشكل رقم (1)(*) يأتي بعد إعلان رجال العصابات الشّيشانية عن استعادة بلدة نوبيرا (50 كلم شرق غروزني) في إطار الهجوم المضاد الذي بدأوه بعدما استعادوا منطقة "نوفوغدوزنتسكي" بالقرب من قدرميس المدينة الثانية في جمهورية الشّيشان"، في إطار عملية كبرى أطلق عليها رجال العصابات الشّيشانية تحت قيادة خطّاب (سيف العدالة) للهجوم المضاد من أجل التصدي للهجمات الرّوسية في الأرضي الشّيشانية.

كل هذا أتى موازيا مع تصريحات المتحدث باسم الرئاسة الانفصالية الشّيشانية سعيد سليم عبد المسلموف: "إننا سننتقل إلى الهجوم من الآن فصاعدا، لأن القوات الرّوسية وصلت إلى مناطق يسهل علينا مقاتلتها فيها. وستتكبد هذه القوات خسائر أكبر بعشر مرات من التي ألحقت بها حتى الآن"[12].

فعند معالجة مسائل الهزيمة الرّوسية أمام قوات الأنصار الشّيشانية، تُطرح هنا مسألة عوامل حسم الصراع العسكري، حيث ينبعث دائما نفس السؤال: أيهما العامل الرئيسي، التكنولوجي أم البشري؟، هذا السؤال هو موضوع هذه الحرب الدائرة بين طرفين، كشكل من أشكال المباريات الخطيرة (War as a dangerous game)، فلا يمكن أن توجَد أُسس قوية في الحسابات العسكرية للعوامل المطلقة أو تلك المسماة بالرياضية، حيث يتعلق فن الحرب هنا بمعطيات حيّة لديها إما قوى مادية (بالنسبة للروس) أو قوى معنوية (عند الشّيشان). وعموما هناك طرف مندفع أكثر من الآخر، وهو

(*) انظر الشكل رقم (01).

(12) Céline Francis, op;cit;P., 34.

ما ينعكس على سلوكه: فالعامل الهجومي يهيمن وهو ما يؤدي في العادة إلى ضمان استمرارية ذلك الطرف المندفع.

فحسب الجنرال الأمريكي جيمس جونس (James Jones): "إنّ تراجع الجنود الرّوس أمام القوّات الشّيشانية هو راجع لكونهم لا يملكون لخطة بديلة، لأنهم عندما يهاجمون أناسا شيشانيين في وطنهم، فإنهم سيحاربون بشكل يختلف عن قتالهم، ففي الشّيشان، الدفاع عن الوطن مسألة جدية لأنهم ليس لديهم أي مكان يذهبون إليه بعد ذلك"[13].

الشكل رقم (1): المواقع العسكرية الروسية بشمال القوقاز



(13) Balie (B): *La fin des territoires*, Fayard: 1995, p., 110.

وبالرجوع إلى الحسابات الرياضية المنطقية، فإن التفوق الميداني للعصابات الشّيشانية حسب التقييم الميداني لوضع حرب العصابات الشّيشانية - وفق الجدول الآتي - خاضع لميزات دقيقة(14):

الشكل رقم (02)(*):

وضع حرب العصابات الشّيشانية بالنسبة للقوات المسلحة الرّوسية في معركة دبيورت:

القيادة (1) القيادة (2)

المحددات (تتراوح بين 0-10)	الشّيشان- القائد خطّاب	الرّوس. الجنرال الكسندرلبيد	ملاحظات
أ- برنامج عمل	ديناميكي (7)	لا يوجد (0)	
ب- دعم شعبي	في نمو (حتى خارج الحدود) (7)	في تناقض (يكاد ينعدم) (2)	
ج- نوعية القيادة	جيدة (7)	جيدة (7)	
د- نوعية القوات	جيدة في تطور (6)	جيدة جدا (7)	
ه- الفعالية العسكرية (القتالية)	جيدة جدا (8)	متوسطة (5)	في حالات حرب العصابات
و- وحدة داخلية	ممتازة (8)	ممتازة (8)	
ي- العدة والعتاد	ضعيفة ولكن في تطور (7)	هامة جدا مهيئة ومعدّة (9)	أسلحة خفيفة
7- المناطق العملياتية	ملائمة (10)	غير ملائمة (5)	
8- مناطق الاتصال العملياتية	ملائمة (10)	غير ملائمة (5)	
النتيجة	المجموع: (70)	المجموع: (48)	

(14) الفضل شلتوت: الحرب غير الأخيرة على الإرهاب، جريدة المستقبل، بتاريخ 21 أيلول (سبتمبر) 2001 م.

(*) Isabelle Facom: *La seconde guerre de Tchétchénie - Les aspects politico - militaires*, France: Strasbourg, I.E.P, 2001, p218.

فحسب التقييمات التكتيكية لفاعلية القوى العسكرية- والمتخَذة عالميا- والتي تتخذ شكل الجدول السابق، فالنموذج المعبّر عنه في هذا الأخير، خاص بوضع رجال العصابات الشّيشانية بالمقارنة مع الرّوس وهذا في احد أهم المعارك، والأمر يتعلق هنا بـ" معركة دبيورت" ، فعلى الرغم من تقاسم القوى في المعركة نفس نوعية (القيادة ووحدة داخلية لعناصر القوات) وعلى الرغم من تقارب مستواهما من حيث (نوعية القوات المشاركة في الحرب الصغيرة، ونوعا ما من حيث مستوى القتال للقوات (العدّة والعدد) والمعتمد عليه، غير أنّ ما يصنع هزيمة الرّوس في المعركة تكتيكياً هو ما يلي:

- انعدام برنامج عمل، والمترجم عسكريا إلى انعدام خطط وأهداف استراتيجية محصورة بالمعركة، ويتعلق الأمر هنا، بأساليب الهجوم والانسحاب وانتشار القوات، وهو ما يُترجَم إمّا بعجز القيادة على إيجاد سبل لتكييف قواتها مع أساليب الحرب عند رجال العصابات الشّيشانية أو عدم تقدير القوات الشّيشانية لدى القادة الميدانيين الرّوس وتفضيل المغامرة والتي يترجمها فعل القادة الرّوس إلى مجرد خرجات قصيرة أمام وحدات العصابات الشّيشانية، لتأخذ فيما بعد ظروف زمنية طويلة وأبعاد كبرى أمام لا واقعية القرار الاستراتيجي العسكري للميدانيين الحربيين الرّوس.
- ضعف الدّعم الشعبي للقوات الرّوسية، والذي يعود لطبيعة العلاقة والصور التي كوّنها تاريخ الصراع الرّوسي مع المنطقة، والذي غرس مشاعر الحقد والكراهية وروح الانتقام لكلّ ما هو روسي. هذا العامل الذي عرفت وحدات العصابات الشّيشانية كيفية استخدامه واستغلاله كقاعدة هامة لتكوين القوى أو انطلاق العمليات أو حتى عمليات الرصد وجلب المعلومات.
- عجز الجنود الرّوس على التكيّف مع المعطيات الطبوغرافية لميدان العمليات والمترجم إلى ضعف أساليب التدريب وطرق القتال في المناطق الجبلية، فتحديد المعالم الإشارية وتحديد موجات الاتصال الموحدة أمر يُصعّب الفعل القتالي الرّوسي. فالتكنولوجية الحربية

الرّوسية تصطدم بواقع الموانع الطبيعية، كأول خصم للجندي الرّوسي وتخطّيه معناه فهم المناطق العملياتية والتحكم في مكوناتها وتركيبتها لتحديد السلوكات القتالية الأكثر ملائمة ومطابقة للأرض (الطبوغرافية العسكرية)، واستغلال عناصر الطبيعة كأدوات وشروط مكمّلة للمنطق والخطط (إن كانت) المحدّدة لرد فعل الحربية الرّوسية اتجاه فضاءات قتالية غريبة عن المعطى التكتيكي لما عرفته الدورات التكوينية للوحدات الفيدرالية الرّوسية، ضف إلى ذلك، أنّ عمليات المحاكاة العسكرية لمثل هذه الأقاليم الصعبة طبيعيا، والجد مكلفة لميزانية التكوين والتدريب في المدارس العسكرية الرّوسية موازاة - للأزمة الاقتصادية التي تعاني منها روسيا-، أمر صعب وهو ما يصاحبه عجزاً في ميزانية الدفاع أمام تصاعد الالتزامات السياسة الرّوسية اتجاه أوروبا أكثر منها العسكرية، وهو ما معناه إنهاء الحرب في أقرب وقت وبأقل تكلفة، وهو مستحيل حاليا لما سبق ذكره.

- ضف إلى ذلك عملية الاتصال، الخاضعة لمنطق طبيعة مناطق الاتصال العملياتية التي هي جد ضعيفة روسيا، نتيجة لتكتيك رجال العصابات الشّيشانية المتمثل في قطع طرق الاتصال بين الوحدات الرّوسية، أي بين عناصر الهجوم وعناصر الإمداد والتموين، بالإضافة إلى عرقلة وتشويش الموجات وعناصر الإرسال العسكرية (الإشارة)، وهو يأتي كتكملة لاصطدام التقنية الاتصالية الرّوسية بضعف الإرسال أمام صعوبة تغلغل الموجات الإرسالية أمام كثافة الموانع الطبيعية، وعدم مواتاة المرتفعات الشّيشانية وتسهيل الاتصالات العسكرية المعتمِدة على تقنيات رفيعة. وهذا أمام رجال عصابات شيشانية تعتمد على إشارات بدائية مستقلة عن العمل والمعطى التقني وفي حالة أخرى أمام تقنية بدائية أو ضعيفة ولكنها فاعلة، والأهمّ من ذلك، القاعدة الشعبية لحرب العصابات الشّيشانية تعتبر كمناطق اتصال عملياتية رفيعة، وفي صالح الطرفين مادام العدوّ واحد والعقيدة واحدة، وهو ما لم تعرف القيادة العسكرية الرّوسية كيفية استغلالها والتعامل معها، أمام انبهارها بتفوقها الماديّ والعسكريّ.

هي عناصر أساسية، شكّلت فارقا أدّى بالقوّات الرّوسية إلى الانهزام في إحدى أقوى معارك العصابات الشّيشانية (معركة دبيورت).

فتعامل العسكرية الرّوسية مع هذه المعركة يعكس مجموعة من الأفكار تتعلق بتلك الأساليب لاتخاذ قرارات لاعقلانية في موقف من مواقف الصراع مع الشّيشان، المتميز بالتعقيد والتنافس، ومع اعتماد المشارك الرّوسي في الصراع على هذه العقلية والفعل القتالي فأكيدٌ أنه لن يضاعف مكاسبه بل بالعكس ستزيد خسائره.

فإذا أخذنا الحرب هذه كمباراة بين القوات الرّوسية ورجال العصابات الشّيشانية، فإنه يتحتّم على كل طرف أن يحدد استراتجيته القتالية بعد التعرف على وجهات نظر الطرف الآخر. وينبغي عليه أن يبذل جهداً لكي ينظر للمعارك من وجهة نظر الطرف الآخر، وهو ما عمد إليه رجال العصابات الشّيشانية من خلال الاستناد إلى شورية وتعليمات المجلس الشوري العسكري، فبدون ذلك لا تكون قوات العصابات الشّيشانية في وضع يسمح لها باتخاذ استراتيجية كقرار حربي لها، فبالعكس، فالقوات الرّوسية لم تبني استراتيجيتها على ما تتوقع أنّ قوات الخصم سوف تتخذه أو تستغله. وهكذا يصبح الموقف القتالي بالنسبة لرجال الأنصار الشّيشان أمام وحدات الرّوس ذا أهمية فعلية وتحدي فكري، ويصبح الانسجام بين الوحدات المشكلة لقوات الأنصار الشّيشانية، وتأسيسا على ذلك، هو فن اللعبة القتالية عندهم. إذ يجب أن تكون الاختيارات التي يحددها المقاتلون منسجمة ليس فقط مع ما يتوقعونه من الاختيارات، ولكن مع ما يتوقعه المقاتلون الرّوس من هذه الاختيارات، فكل قائد ميداني في المعركة يعتبر كيانا عقلانيا ذا أهداف وتكتيك محدد جيدا، ويكون تحت تصرفه بعض أنواع الموارد، التي يستطيع بمساعدتها أن يتغلّب على القوى التي يتقاتل معها. وتصف قواعد اللعبة كيفية استغلال تلك الموارد العسكرية، والقواعد هي التكتيكات المختارة، والمتسمة ببعض الفهم الرّاسخ أو البيانات اللفظية التي تصف السلوك القتالي المقبول من جانب القادة الميدانيين. ولكن القواعد في المعارك الدائرة بين الوحدات الفيدرالية الرّوسية والشّيشان هي مختلفة، فشيشانيا هي موضوعة من طرف قادة ذوي قوة كافية لتطبيقها، ومن ثمّ يولون اهتماما بالغاً

لمضامين قواعد الموارد وليس لمتطلباتها الوصفية. ومن ثمّ يقع التنسيق وربط الموارد بالإمكانيات الاستراتيجية المتاحة لكل مقاتل شيشاني لاستغلالها. أمّا روسيا، فتوفر الموارد بالنسبة للجنود لا يقابله استعداد لاستغلالها، فحسب القيادة العسكرية الرّوسية، المقاتلون الذين لا يملكون أسلحة متطورة، لا خيار لهم سوى الاستسلام أو السحق، غير أن اختفاء أو الجهل بالأسباب العقائدية قد يوفر لنا مفهوما ضمنيا بأنّ الرّوس لا يؤمنون بأي دور للعقيدة في القتال أو حتى استخدامها.

وعلى الرغم من اختيار المقاتلين الشّيشان لنوع حرب العصابات، غير أنّ هذا الاختيار الموّحد، والذي لا رجعة فيه بالنسبة لمجلس الشورى العسكري الشّيشاني يقابله انشغال القيادة العسكرية الرّوسية باختيار بدائل استراتيجية، من آن لآخر، والتي يجد فيها الجنود الرّوس أنفسهم مجبرين على استخدامها في حالات قادمة، وهذه الحالات المستقبلية توصف بأنها نتائج الاختيار الاستراتيجي الحربي الرّوسي. فالنتيجة تكمن عادة في العلاقة بين القوات الرّوسية والشّيشانية والهدف اللذان يسعيان نحوه. وهي غالبا خسارة روسية أمام نصر شيشاني والتي يعتبرها المقاتل الشّيشاني كسلسلة صغيرة من الأهداف، يكون فيها النصر عبارة عن "فائدة" أو مكسب ورصيد معنوي له.

ومن جهة أخرى، فالقيادة العسكرية الرّوسية مثل "ك. مانيلوف" K.MANILOV[15] قائد "معركة دبيورت" روسيا، يعكس حالة صانع القرار العسكري الرّوسي قبل وأثناء وبعد المعارك أمام الاندفاع الهجومي الشّيشاني. فهم حربياً ليسوا عقلانيين تماما أو على الأقل حسب صنّاع القرار القتالي الشّيشاني، ولكنهم ليسوا مدركين بالأولويات في أغراضهم العسكرية، وعلى الرغم من خبرتهم القتالية[16]، فلا تتوفر لديهم معرفة تامّة

---

(15) هو جنرال روسي، قاد كتيبة 17 بأفغانستان، وهو نائب قوات المشاة الميكانيكية لقوات الحلف الأطلسي، وقد بُترت ساقه إبان معركة دبيورت الدائرة مع رجال العصابات الشّيشان.

(16) هي مجموعة العناصر الميدانية (الطبوغرافية) زائد المكوّنات القتالية (التدريب وخبرة الجنود في المعارك).

بالاستراتيجيات المتاحة لتحقيق العائد أمام حرب العصابات الشّيشانية، بل يهتمّون أكثر بمحاولة مضاعفة عائدة بطريقة تتمشى مع سياسة بوتين، والحفاظ مع تقوية صورة روسيا خارجياً (مع حلفائها من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية).

فحرب العصابات الشّيشانية تستخدم إستراتيجية الحد الأدنى، حيث على عكس القوات الرّوسية تستخدم الحد الأدنى من المخاطرات، مع سعيها لتحقيق أكبر عائد من الانتصارات. ويدخل الصّراع الرّوسي - الشّيشاني في دائرة الألعاب غير صفريّة النتائج، حيث يقتسم الطرفان اللاعبان (المتنازعان) الناتج بشكل ما، ولا يتحتّم أن يتساوى ما يكسبه أحد الأطراف المقاتلة مع ما يخسره الطرف الآخر: ومثل هذا النوع سوف يتطلب أن يكون العائد قابلا للتقسيم وأن يُطبق مبدأ التقسيم. غير أنّه في كل مرحلة تصل فيها القوات الشّيشانية لتحقيق الانتصار، تلجأ قيادة القوات الرّوسية إما إلى "إصدار التهديدات" اتجاه السكان الشّيشانيين أو إعطاء الوعود بمنح الاستقلال أو الانسحاب التدريجي من الأراضي لصالح رجال المقاومة، أو "التخلي عن المبادرة" في شقها العسكري، حيث أنّ بداية الهجوم والزحف يكون دائما شيشانيا، وهذا معناه أنّ الفعل القتالي الرّوسي مبني على ملاحظاته للفعل القتالي لرجال العصابات الشّيشانية، غير أنّ ترك المبادرة تكتيكيا هو اعتراف جزئي بالعجز الميداني والبسيكولوجي، ما معناه تحضير الأرتال المقاتلة لتقبّل الهزيمة وبداية التفكّير في طرق الانسحاب.

ويمكن حصر عوامل العجز التكتيكي الرّوسي أمام الخطط الميدانية لحرب العصابات الشيشاتية في ثلاثة (03) عوامل:

أولاً: لاعقلانية صانع القرار العسكري تماما. ولا أخلاقيته في قراره أمام جهله لحقيقة الخصم والميدان الذي سيُقبل للنزاع والقتال عليه، بالإضافة إلى توفّر معلومات خاطئة عن طبيعة المقاتلين الشّيشان لدى الجنود الرّوس، وتعمد الإدارة العسكرية لفعل ذلك من أجل إقحام هؤلاء في حرب يجهلون معطياتها.

ثانياً: لا أخلاقية[17] الموقف العسكري الرّوسي، فالقيادة تهتم بالنتائج وليس بالعمليات الوسيطة. وبالاستراتيجية التي يختارها خصمه، وليس بماذا يختار هذه الاستراتيجية الخاصة، بمعنى آخر، فالقيادة الميدانية الرّوسية لا تهتم بشيء إلّا بنتيجة الاختيار والدوافع، ووُجهات النظر تظل خارج الاعتبار.

ثالثاً: ضعف القاعدة الشعبية لدى القوات الرّوسية، فمن جهة نجد معارضة روسية (أبناء وعائلات الجنود الرّوس والشعب الرّوسي) اتجاه خوض الحرب بالإقليم، ومن جهة أخرى هناك عداء كبير بين الشعب الشّيشاني والمقاتلين الرّوس. معنى هذا أنّ عوامل الرّصد والاستعلام كأساس لبناء خطط قتالية تكاد تكون منعدمة لدى الرّوس، ضف إلى ذلك افتقادها لعوامل الدعم والإسناد الشعبي.

وعليه لا يمكن أن توجد أية قوّة عسكرية قادرة على الانتصار في أراضي غريبة دون دعم شعبي محلّي، وسواء كانت المدن أو المجالات المسيّطر عليها روسياً عامرة أم غير آهلة بالسكّان، فإنها ستبقى في جميع الحالات في حكم الخالية من الناحية السياسية إذا كانت مناوئة في موقفها السياسي العام للحاكم العسكري الجديد.إنّ فكرة الدور الرئيسي للعامل الشعبوي في المسائل العسكرية هي الإضافة الأساسية التي قامت بها العصابات الشّيشانية، والتي جعلتها أحد المصادر العسكرية الأساسية في الأكاديميات العسكرية الرّوسية. غير أنه لا يوجد ميثاق واحد خاص بالحرب الشّيشانية- الرّوسية يشير إلى تعلّم الجيش الرّوسي من دروس الحرب الأولى (1994م-1996م) من الأكاديميات التي تخرّج أفراده منها، والتي ما تبقّى لها سوى أن تجرّب انسحابا بونابارتيا[18] مكرراً بأمجاد ضئيلة وبخسائر

---

(17) هذه النقطة قد أوضحها "جوزيف فليتشر" - وهي أنّ نظرية المباراة لا تهتم بأخلاقيات الشخص، ولكن ما يسميه "بأخلاقيات الموقف".

(18) والأمر يتعلق هنا، بأحد أشهر الانسحابات العسكرية في التاريخ: تحت ضربات الجنرال "برد" «Bird» والهجومات المفاجئة والسريعة للقوات القوقازية من الحرس الملكي الرّوسي، لم يصل إثرها جيش نابليون إلى نهر نيمن بحلول شهر ديسمبر 1812 إلا 20 ألف جندي من أصل النّصف مليون الذين بدؤوا الحملة، هذا الانسحاب الفرنسي من موسكو أتى كمرحلة تمهيدية لهزيمته في معركة واترلو Waterloo.

متفاوتة. ومادامت القوى الرّوسية مهزومة شعبيا فإن هزيمتها العسكرية ليست مستحيلة لتكون بذلك مسألة حسم الهزيمة أو الانتصار في الصّراع العسكري الرّوسي-الشّيشاني لا يتعلق بحساب الخسائر البشرية أو المادية، كما لا يتعلق بالتوازن التكنولوجي، بل تتحقق هزيمة عسكرية مامتى أصبح أحد الطّرفين غير متأكّد من الانتصار، ما معناه غياب عنصر العقيدة القتالية لدى المقاتل وهو ما يعاني منه الجندي الرّوسي منذ دوراته التكوينيّة أمام المقاتل الشّيشاني، مما تولّد له مركب نقص ميداني يجعله لا يؤمن بإمكانياته ولا يثق في خطط قاداته الميدانيّين، موجهّين شكوكهم إلى الأساس النظري الذي يقف وراء المشاريع الحربية الرّوسية، حيث اعتبروا أن حرب العصابات الشّيشانية وقتال الشوارع الدائر في مدن الشّيشان مثل: قدرميس، يثبت أن الحرب هي أمر أكثر تعقيدا من التكنولوجيا الخلويّة.

فمواجهة حرب العصابات الشّيشانية غير ضرورية في حال تجاهل العوامل الجماهيرية والدينية المحيطة بها، فعدم استقرار الجيش الرّوسي بعد احتلال العاصمة "غروزني" هو نابع من وعي الجنود الرّوس من أنّه ما جرى هو عملية السقوط في "فخ العاصمة" أو ما يصطلح عليه بـ"العاصمة الطّعم"[19]، والذي معناه أنّ طبيعة الحرب التي تلت ذلك لا تتّصف بصفات الحروب النظامية المعتادة، ولا حروب العصابات المتعارف عليها، وهو ما لم يقع التحضر له، فنيكولاي براتسيف[20] Nikolay Bratseev يرى أنّه على القوات الرّوسية الحذر من أنّ دورا روسيا طويل المدى في الأعمال القتالية، لا يمكن أن يؤدي إلى الإضرار بشرعية تواجد القوات بالشّيشان فحسب، بل بجمهوريات إقليم القوقاز كاملة.

وعلى الرّغم من اعتماد الرّوس على تكتيكات جديدة أساسا في الهجوم والانتصار، وهذا من خلال الاعتماد من الناحية الكمية على الحد الأدنى من العنصر البشري (القوات الخاصة التابعة للداخلية الرّوسية

---

(19) العقيد. دي فالكو قوندا، مرجع سابق، ص216.

(20) نائب قائد قوات رماة الجوّ بمنطقة البلقان، من الرافضين التدخل الروسي بالشيشان، التحق سنة 2002م، بمركز الإمداد رقم 201 بجورجيا، والآن هو يشغل منصب مكلف بمهام بسفارة روسيا بالجمهورية الإسلامية الإيرانية.

بالإضافة إلى كتائب المظليين المغاوير الرّوس التابعين لوزارة الدفاع الرّوسي) فوق ميدان المنازلة، إلّا أنّ العامل العقائدي يضع الفارق بين إيمان الجندي الرّوسي بفعله القتالي، وبين إيمان المقاتل الشّيشاني بعقيدته القتالية، وليس هذا التكتيك والخيار الاستراتيجي المُعتَمد روسياً مجرّد وصفة عسكرية صرفة، وإنما تحمل مثلما هو الحال مع أيّ استراتيجية عسكرية، رؤية فكرية أشمل لميدان القتال والعوامل الحاسمة للصراعات المسلحة. فهي تتضمّن ثقة هائلة في قدرة القوات الخاصة وفرق المضليين على حسم الصراع العسكري مع رجال العصابات الشّيشانية، كما أنها تتحمل الصراعات العسكرية الطويلة المدى، حيث تدفع لأسلوب الهجمات السريعة والخاطفة، غير أن انهزامها أمام رجال الأنصار الشّيشان، هو راجع لتجاهل رؤيتهم للظروف التاريخية والدينية للحرب، حيث تتوقع التأثير التقني والفني بمعزل عن العوامل الأخرى، وبالتالي تضع جانباً مناقشة الطّابع الدّيني لمسائل الانتصار والهزيمة، بشكل يترك التبرير العسكري للمسؤول السياسي (فلاديمير بوتين). ضف إلى ذلك تصعيد الدور الرئيسي للقوة الجوية، والمعتبرة لدى نوّاب "الدوما" عبارة عن تصوّر غير واقعي يُقلّص من الأهمية الحاسمة للقوّات البريّة التّابعة للجيش الفيدرالي الرّوسي، غير أنّ عوامل الانتصار لدى القوات الشّيشانية هي أكثر منها ما يتعلق بالقوات الخاصة والمضليين الرّوس، المتّخذين شكل عصابات مضادة، وهو ما سنحاول توضيحه في الجدول التّالي:

الشكل رقم (3)(*)

عناصر حرب العصابات لدى المقاتلين الشيشان والروس (المضادة)

عناصر حرب العصابات	النمط الشّيشاني (العصابات الشّيشانية)	النمط الرّوسي (القوات الخاصة- مكافحة العصابات)
ايديولوجية عمل العصابات	الدين (الجهاد)	أمر قتالي
قائد الحملات العسكرية	إمام وخبير عسكري	التنظيم الهرمي للجيش الرّوسي
الدعم الشعبي	أهالي القرى والمدن	لا يوجد
استراتيجية حرب العصابات	الكمائن وإغارات	تمشيط وضد الإغارات
تكتيك العمليات العصاباتية	المواجهة (الزحف)	الكر والفر
أهداف حرب العصابات	- نصرة دين الله - استقلال الوطن وإبعاد الكفرة - الانتقال من دار الحرب إلى دار السلام - إقامة حكم وشرع الله	- سياسية - اقتصادية - جيوسياسية - أمنية
قيمة وحدود حرب العصابات	صالحة لكل الأقاليم والمستضعفين من الدول الإسلامية عبر العالم	صالحة لمواجهة عصابات غير إسلامية
الانتقادات والملاحظات	محدوديته إسلامية	محدودية غير إسلامية

إنّ استراتيجية الصدمة والتّرويع مازالت الوسيلة الأساسية التي تواجه بها القوّات الرّوسية حرب العصابات الشّيشانية، فحتى معركة قدرميس التيّ تتّسم بشكل واضح بطابع قتال الشوارع، فإنّ الأسلوب الرّوسي بقي يتفادى المواجهة المباشرة، ويعمد في المقابل للإعتماد الكامل على أسلوب الكرّ والفرّ عكس الشّيشان المعتمدين على أسلوب قتالي تقدّمي يعتمد على

(*) الشيخ ناصر الأحمد: المجاهد سيف الدّين قطز، الجزائر: مكتبة الطيب العقبي، 2003م، ص310.

المواجهة المباشرة مع القوات الرّوسية، ويعمد في عمليّات التمشيط وضدّ الإغارات على الأسلحة الثقيلة، وخاصّة الفرق الآلية (سلاح الدبابات) وسلاح الطيران كقوات تأمين للقوات الخاصة والمضليّين الرّوس، وهو ما يُثقل كاهل القوات الرّوسية في العمليات القتالية في التحرك، على عكس الشّيشان المعتمدين على أسلحة خفيفة تُبسّط الحركية القتالية وفعل الكمائن والإغارات.

ويعتبر التردّد الرّوسي لخوض قتال مباشر هو نقطة الضعف الرئيسية للقوات الرّوسية، وهو الأمر الذي يمنح ثقة متعاظمة لدى المجاهدين الشّيشان، نتيجة لتصاعد وأهمية العقيدة القتالية لدى رجال الأنصار الشّيشان على حساب الأوامر القتالية ومدى نفاذيتها وقيمتها عند الجنود الرّوس. ضف أنّ انعدام الدّعم الشعبي للقوات الرّوسية بكثرة، ما يشكّل نقمة على العمليّات الميدانية الرّوسية، وشكلّت مُعطى آخر لعمليات الإبادة المنظّمة للطرف الآخر، وهي فكرة مستوحات من فكر ماوتسي تونغ «Mao-Tsé-Tung» حول حرب العصابات، بحيث للقضاء على حرب العصابات والتي شبّه دعمها الشعبي بوضع السّمكة في الماء، حيث لا يمكن لهذه الأخيرة الاستمرار في البقاء دون مجالها المائي، وبالتالي لا يمكن لرجال العصابات الاستمرار في الفعل القتالي من دون الدعم الشعبي، ومن ثمّ فالفعل المضاد لحرب العصابات لا يتم إلا بطريقتين لا ثالث لهما:

1 - إمّا بنزع السمكة من الحوض، ما معناه إبعاد رجال العصابات ومطاردتهم واستدراجهم خارج كل ما قد يُشكّل قاعدة دعم شعبية لهم.
2 - أو بالقضاء على مياه الحوض ممّا يعني فناء السّمكة، وهنا معناه المرور لمرحلة إبادة كل ما قد يشكّل قاعدة دعم وتموين وإسناد لرجال العصابات.

ومن المثير للانتباه هنا، أنّ هذا الأسلوب أصبح يُدرّس على الضباط الرّوسيين في معهد العلوم العسكرية وهيئة الأركان بسان بيترسبورغ (St. Petersburg)، كأحد الأشكال الرئيسية لمواجهة حرب العصابات الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فمواجهة حرب العصابات الشّيشانية روسياً

تكمن في التركيز على التفوق التكنولوجي مع تغييب كامل للدور المعنوي والعقائدي العسكري في حسم مسائل الانتصار(21) أو الهزيمة. وعدم ربط القوات الرّوسية بين فاعلية حرب العصابات الشّيشانية والدروس الكلاسيكية للإمامة العسكرية الشّيشانية الأولى، بما في ذلك العقيدة القتالية عند الإمام شامل كأحد مصادر التفكير الاستراتيجي العسكري إلى جانب أئمة آخرين، الكفيل بأن يوقِع الفعل القتالي الرّوسي في معارك تُعتبر انتحارية بالنّسبة له، في مواجهة لنوعين من الهجومات الشّيشانية:

1 - هجمات متفرقة بالأسلحة الخفيفة أو القنابل الموجَّهة عن بعد على العربات الرّوسية المتنقلّة.

2 - قصف وتفجير مواقع عسكرية ثابتة، من خلال إما عمليات استشهادية أو سيارات وعربات مفخّخة.

كما يمكن الإضافة إلى جانب هذين النوعين من الهجومات، قصف وتفجير مواقع عسكرية ثابتة من خلال صواريخ يتم دفعها من على منصات غير ثابتة.

غير أنّ الواقع الطوبوغرافي الشّيشاني المتميز بشكل عام بالارتفاع يدفع لتركيز هذه العمليات خارج المدن. بالإضافة إلى ذلك فإن التحولات الكبيرة على مستوى الجغرافية السكانية، والذي جعل الأغلبية السكانية تتركز في المجالات غير الحضرية (الجبلية) تدفع في نفس الاتجّاه .

من جهة أخرى، تعيش حرب العصابات الشّيشانية مرحلة انتقالية حيث أنّ نجاحها على تشتيت جهود القوى الرّوسية والسيطرة السريعة على مدن ضخمة (مثل دبيورت وآرغون) مع القدرة على الفر بدون تكبد خسائر تُذكر، يعني أنهّا تملك المبادرة العسكرية. وأما مسألة هزيمة القوات الرّوسية، فستتكفل به طول المواجهات، ومن ثمّ الاقتناع المتزايد بعدم جدوى الحرب المضادة لحرب العصابات الشّيشانية.

---

(21) Mao - Tse - Tung: *Guerrilla Warfare*, Introduction by: B. Griffith, London: cassell, 1962, p., 110.

فالقوّات الرّوسية وجدت نفسها في مستنقع حرب العصابات الذي فضحها وأثبت فشلها من النّاحية الاستراتيجية، وبهذا تجلّت المواجهة بين المقاتل "التكنولوجي" والمقاتل "الاستشهادي"، وانكشف واقع ما تدّعيه روسيا من قرب سحقها لرجال العصابات الشّيشانية، وأنّ الأمر لا يتعدّى سوى مجموعة من إرهابيين لا يتمتّعون بدعم الأغلبية حتى على مستوى الإقليم، وثمّة مسألة هامة يجدر التذكير بها: "بما أنّ رجال العصابات الشّيشانية يمجّدون الجهاد ونهج السلف الصالح فيها، ورفع لمكانة الشهيد والشهادة فإنّ القتال في القوات الشّيشانية هو ثقافة راسخة رسوخ العقيدة فيها، ورغم ضعف الإمكانيات المادية، فإنّ حرب العصابات تتميز بالاستمرارية وحتمية النصر في النهاية".

ومن هذا المنطلق يمكن التفريق بين أن تهزم عدوك بالقوة، وهو ما عمدت القوات الرّوسية للاعتماد[22] عليه، وبين أن تمتلك عناصر العقيدة القتالية، وتهزمه بقوّة البقاء والتحمّل، وهو ما راحت الأنصار الشّيشانية تجسّده في كلّ فترات معاركها مع القوّات الفدرالية الرّوسية. وهو ما يعكس استمرار فعل الديانة الإسلامية بالإقليم وبقاءها، في وقت ظهرت فيه ديانات أخرى (محاولات للتنصير أو التصليب) واندثرت، لدليل على قوة هذه الديانة وحركية هذه الدّولة (الشّيشان).

وتمخّض عن الصّراع، تراجعا للدوّر العسكري الرّوسي بالإقليم، وهو ما يعني، تراجع بعض المفاهيم: كتراجع الآلة العسكرية أمام مفهوم الجهاد، وتراجع مفهوم الإرهاب أمام الحقّ في الدفاع عن الدين ثمّ النفس لدى المقاتلين الشّيشان، وهو ما يؤدي إلى حرب المصطلحات، فيتصارع مفهوم القتل الرّوسي مع مفهوم الاستشهاد الشّيشاني، كما يتصارع مفهوم التحرير مع مفهوم الاحتلال، ومفهوم الأمر القتالي العسكري مع مفهوم الشورى العسكرية، ومفهوم النصّر مع مفهوم الهزيمة.

ويُعتبر انتصار العصابات الشّيشانية كترجمة لتصعيد الوجود الإسلامي

(22) الفضل شلتوت، مرجع سابق، ص25.

أمام المحاولات المسيحية واليهودية الرّوسية والتي قد تأخذ في أحد الأوقات أشكال قتالية عسكرية، باعتبار أنّ أكبر العمليات العسكرية الرّوسية، ابتدأت باقتحام العاصمة "غروزني" قد شُنّت في أعياد رأس السنّة الميلادية، كترجمة لمحاولات لإهداء نصر مسيحي للشعب الرّوسي. فالنصر الشّيشاني يستمد عوامله من القوة الكامنة في الإسلام التي لا يمكن ترويضها أو محوها. أمّا الإمكانيات البشرية، وهو أكثر ما يخيف القوات الرّوسية، خاصة لما قد يحمله هذا النوّع البشري من كفاءات يمكن أن تبدع وتنجز إذا ما توفرت لها ظروف الإبداع والإنجاز القتالي، وهنا يجدر القول أنّ العقيدة وحميتّها كفيلة بتفجير قوّة قادرة على المواجهة والتحدي، فبذل الجهاد لدى العصابات الشّيشانية هو لأجل التمسك بالبعد العقائدي في الصراع، فالعقيدة هي التي حافظت على وحدة رجال العصابات الشّيشانية وتمَيّزها عن القوات الرّوسية المادية في فكرها وفعلها العسكري (القتالي)، وهو ما أجبرها على محاولة تجديد المذهب القتالي[23].

ثانياً: تجديد المذهب الحربي الرّوسي

إنّه من طبيعة المنهزم في الاستراتيجية العسكرية، أنّ يغيرّ أوراقه ويرّتب أموره وصفوفه، وهو ما ذهب إليه القادة العسكريون الرّوس المنتمين للكرملن، حيث جرّاء هزيمتهم أمام منهج حرب العصابات الشّيشانية، أُتهموا بالفساد واستغلال المناصب، وقد زاد من تأزيم حدّة الإتهامات والانقسامات الواضحة في النخبة العسكريّة داخل هيئة الشؤون العسكرية في الكرملين، والاعتراف الصّريح بسحق القوات الرّوسية تحت تكتيك عسكري شيشاني، فوزير الداخلية الرّوسي "فلاديمير روشيلو" -Vladimir Rechilu- القائل عنها: "إنه للمرة الأولى في تاريخ روسيا تتمكن مجموعة من المجرمين من بسط سيطرتها على واحدة من الجمهوريات الفيديرالية، وتتمكن بمساعدة قوى خارجية من ممارسة أنشطة تخريبية داخل العاصمة

(23) الدكتور غيات بوفلجة: بين حضارة القوة وقوة الحضارة، الطبعة الأولى، وهران – الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004م، ص79.

موسكو"، وأضاف: "إنّ هدفهم السيطرة على أهمّ إقليم جغرافي استراتيجي في البلاد، بغية إنشاء معسكرات لاحتواء الإرهابيين الدوليين وممارسة تدريباتهم. وفي النهاية، سيؤدي ذلك إلى نشر عملياتهم الإرهابية في العالم كلّه".

فتزامن وتفاعل الانهزام الرّوسي بالنصّر الشّيشاني في وقت واحد تقريبا، قد ساهم في صياغة مذهب حربي روسي وصبغه بصبغة انتقامية، وهذا مع توفر الرّغبة لدى القيادة العسكرية الرّوسية- خاصة الشباب منهم- على رد الاعتبار أمام المقاتلين الشّيشان الذين سبق وأن وجّهوا لهم ضربات موجعة في الاجتياح الأوّل (1994م - 1996م)، وفي الاجتياح الثاني (منذ 1999 لحد الآن)، مما أجبر القيادة الرّوسية إلى إعادة النظر في النّهج القتالي المتبّع.

وعلى العموم فإنّ المذهب الحربي الرّوسي يعتمد على عنصرين من حيث تجديده:

1 - العمليّات العسكرية.

2 - الدروس المستفادة من الاجتياحات السّابقة.

1 - العمليات العسكرية الرّوسية:

أ - من حيث نوعية الضباط المسؤولين عن العمليّات:

يتولىّ القيادة الميدانية هذه المرّة، مجموعة من الجنرالات الميدانيين الذين يشكلون نسبة 15%من ضبّاط الجيش الرّوسي، والنسبة الباقية من الضباط الإداريّين (85%)، ومنهم وزير الدّفاع المارشال سرغيف (M^chl. Sergieve)، الذين يتّسمون بالعقلية الرّوسية التقليدية. ويتزعّم ضباط الميدان رئيس الأركان الشاب الجنرال أناتولي كفشانين[24] (Anatoly Kavchanine)، يعاونه ثلاثة من صقور الميدان، الذين يتولون جبهات ومجموعات القتال

(24) Timothy. L. Thomas: *Grozny 2000: Urban combat Lessons learned*, C.R.M, 2000, p81.

الرئيسية في الشّيشان وهم الجنرال فيكتور كازانتسيف (Victor Kazantseve) قائد القوّات المركزية لمنطقة القوقاز الشمالية والذي أرغم قوّات الشّيشان على الانسحاب من داغستان عند بدء الصّراع، والثاني هو الجنرال جينادي تروشيف (Ginadi Trotcheve) قائد المجموعة العسكرية الرّوَسية الزاحفة نحو غروزني من داغستان في الشّرق، والثالث هو الجنرال فلادمير شامونوف (Vladimir Chamonov) قائد المجموعة العسكرية الرّوسية الزاحفة نحو غروزني من أنجوشيا في الغرب، وهذه المجموعة الغربية الأخيرة، تواجه أصعب الطرق نحو غروزني، نظرا للطبيعة الجبلية للمنطقة، ورغم ذلك فقد نفذّت هذه المجموعة حتىّ الآن مهامها بنجاح وأسهمت بدور كبير في إسقاط العديد من المدن الاستراتيجية[25].

ويلاحظ أنّ قادة القوّات الرّوسية مصرّون على استكمال مهمّتهم التي أعلنوها، وهي القضاء على آخر مقاتل -إرهابي وفقا للقادة الرّوس- شيشاني.

ب - من حيث طبيعة ومسار سير العمليّات:

إنّ الفعل التكتيكي الرّوسي وتبعاً لنمط حرب العصابات الشّيشانية الذي لا يمنح لحرب الجبهات الرّوسية (الحرب النظامية) فرصاً لتكييف خططها وقوّاتها مع المنهج القتالي المختار، أخذ المسارات القتّالية المعتمدة من طرف قيادة أركان القوات الرّوسية المعتمدة على ثلاثة مراحل (كمسارات قتالية تدرّجية)، هي[26]:

- المرحلة الأولى، تقوم خلالها القوات الرّوسية بالسيطرة على المدن والقرى الشّيشانية الواقعة على الحدود مع روسيا وأنجوشيا وداغستان.
- المرحلة الثانية، تقوم خلالها القوات الرّوسية بتطويق ثاني للعاصمة

---

(25) Timothy. L. Thomas, OP; Cit; p27.

(26) Daniel Kiniécik: *Retour de l'époque glacière: Rapport est - Ouest au seuil du nouveau siècle*, celtoslavica, 2000, p116.

غروزني والزحف فيما يشبه الهلال، حتى تضمن التطويق الكامل والسيطرة الكاملة على كافة المدن والجسور الاستراتيجية، وفي هذه المرحلة إعادة إسقاط المدن الاستراتيجية الرئيسية مثل قدرميس وشالي ومنطقة أوروس مارتان هي جد هامة، من أجل إقامة مراكز للمراقبة العسكرية المتقدمة، ومن أجل إتمام الحصار الكامل على العاصمة غروزني من طرف القوّات الرّوسية.

- المرحلة الثالثة، وهي التي ستعمد فيها القوات الرّوسية لاقتحام العاصمة غروزني، بما يحمله ذلك من مخاطر أكبر على القوّات الرّوسية وهو ما تعرضّت له في المرحلتين السابقتين. والملاحظ أنّ القوات الرّوسية - طوال المرحلتين السابقتين وحتى بعد الإنذار الذي وجّهته بضرورة إخلاء غروزني والذي انتهى بـ 11 ديسمبر 2001م - ، قد تفادت اقتحام غروزني أو تعقب المقاتلين الشّيشان في الجبال، تجنبا لهزيمة مبكرّة، كتلك التي لحقت بها خاصّة إبّان الاجتياح الأوّل.

وعمدت القوات الرّوسية طوال هذه المراحل الثلاثة للعمليات العسكرية، لاتباع نفس الاستراتيجية التي اتبعها الناتو (NATO) في حربه ضد يوغوسلافيا، والتي تقوم على القذف الجوي المكثف بمعدل متوسط 80 طلعة يوميا.

2 - الدّروس المستفادة من الاجتياحات السّابقة:

- القيام بإعداد معنوي للجنود الرّوس، عن طريق قادتهم المؤمنين تماما بالمهمة التي يقومون بها، مما سيؤدي إلى ارتفاع الروح المعنوية لدى الجنود الرّوس إلى أقصى حدودها.

- إعداد الرأي العام الرّوسي بصورة صحيحة، لتقبل اجتياح روسي آخر للشيشان، وذلك من خلال استخدام الآلة الدعائية الرّوسية الرسمية والخاصة لتحميل رجال حرب العصابات الشّيشانية مسؤولية التفجيرات بروسيا، المودية بحياة ما لا يقل عن 300 مواطن روسي، مستغلين في ذلك حملة الولايات المتحدة الأمريكية ضد

الإرهاب، منذ الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001م[27].

- حرص القوّات الرّوسية على قطع خطوط الاتصالات السلكية واللاسلكية والمحمولة في الشّيشان، عن طريق ضرب محطات الإرسال، خاصة أنّ الهواتف المحمولة كان لها دور كبير في تفعيل حرب العصابات الشّيشانية وقت الاجتياح الثاني.
- تعزيز روسيا لقواتها في الشّيشان بطائرات هليكوبتر من طراز "القرش الأسود" (Black Hawk) وهي طائرات متطوّرة قادرة على تعقّب رجال العصابات الشّيشانية في السّهول والجبال وأماكن اختبائهم، بما فيها الكهوف الجبلية. وذلك حتى تتفادى القوات الرّوسية المواجهات المباشرة مع قوات المجاهدين الشّيشان، والتيّ كانت وراء خسائر كبيرة للقوات الرّوسية البرية والميكانيكية (الدبابات) وقت الاجتياح الثاني، مع الإبقاء على إمكانية إنشاء حزام أمني حول أهم المدن الاستراتيجية الشّيشانية، يُبقيها محاصِرة وليست محاصَرة ويضمن لها عدم قدرة أي شخص وليس فقط مقاتلا على اختراقه، مانحا لها الفرصة للقضاء على آخر جيوب المقاومة الشّيشانية بها.

وتقوم استراتيجية المذهب الحربي الرّوسي الجديد، والتي تتميز بسهولة فهمها وصعوبة تنفيذها، على احتواء جميع الممرات الرئيسية لرجال العصابات وبناء قواعد هائلة تضم وحدات من القوات الخاصة لردع القواعد الخلفية (الشعبية) لحرب العصابات الشّيشانية عن الدعم والاستمالة للمقاتلين الشّيشان.

ولقد أدرج هذا المذهب التهديدات التي تأتي من طرف العصابات الشّيشانية، كتهديدات من الدرجة الثالثة[28]، وهذا من حيث:

---

(27) الجماعات اليهودية الروسية في الدوما تعمد للضغط على بعض الدول الأوربية، لإدراج رجال وتنظيم المقاومة الشيشانية في لوائح التنظيمات الإرهابية المصرّحة أمريكياً، للمزيد راجع كتاب: الفضل شلتوت، مرجع سابق، ص163.

(28) مما يعني بالنسبة للقوات الروسية حالة استنفار، وهو ما معناه تواجد 75% من الجنود الروس خارج الثكنات في حالة تأهب قصوى، وهو ما يفسر ما يمثله رجال العصابات بالنسبة إليهم.

- تهديدها لوحدة الجيش الرّوسي وبالتّالي زعزعة ما كانت تعتقده قيادة أركان القوات الرّوسية أنها ثوابت (قوات المخابرات الرّوسية أو ما يصطلح عليه بوريثة "قوات ألفا" Les Forces ALFA).
- تشجيع باقي الجمهوريات التابعة للاتحاد الفدرالي الرّوسي، على انتهاج نفس الأسلوب والتمرد على الحكم الفدرالي الرّوسي، وهو ما لا يتطابق مع الحلم الرّوسي، الساعي إلى استعادة أمجاد ما كان يُسمى بقوة الاتحاد السوفياتي العظمى أو بمعنى آخر سيطرة الرجل الأبيض.

وهي أخطار كبيرة الأهمية تهدد وجود روسيا داخليا وفي علاقاتها الخارجية وهذا بالتقليل من هيبتها، وتقزيم دورها العسكري الذي تريد أن تلعبه.

ولذلك فإنّ ما يشغل التفكير الاستراتيجي في المذهب الرّوسي، هو محاولة الإجابة على السؤال التالي: **كيف تستطيع القوات الرّوسية أن تطيل فترة نفوذها العسكري الذي تتمتع به منذ أوائل التسعينات بالإقليم؟ وكيف يجب أن تكون سمات المرحلة القادمة؟**، فالاستراتيجية القادمة روسياً، قائمة **على الوقاية**[29]، وتركّز على الأخطار التي إذا أُسيئت إدارتها يمكن أن تتحول إلى أخطار كبرى تهدد وجود القوات الرّوسية بالإقليم، وهذه المخاطر ليست في الوقت الحاضر تهديدات ينبغي دحرها أو ردعها، وإنّما هي مخاطر يمكن منعها والوقاية منها.

وهذه المخاطر التي يمكن أن تتحول إلى تهديدات كبرى، هي:

1 - أنّ تفقد القوّات الرّوسية سيطرتها على كل أراضي إقليم الشّيشان وباقي جمهوريات شمال القوقاز.

2 - أن تتّجه بعض الجمهوريات الغير إسلامية القوقازية (كجورجيا وأرمينيا)، نحو العداء لروسيا بدلا من اتجاه التعاون، لكون أنه أي ضعف عسكري

(29) وهي تشبه استراتيجية الحرب الوقائية التي تبنّتها الإدارة العسكرية الأمريكية لجورج ووكر بوش.

أمام الشّيشان معناه أنّ روسيا لا تستطيع إعطاء ضمانات أمنية ولا اقتصادية لكسب دعم هذه الدول في حربها، باعتبار أنّ الصراع استنزف كل الطاقات والقدرات على مختلف الجبهات (اقتصادياً، عسكرياً وسياسياً).

3 - أن تنتشر أسلحة غير نظامية (بكتريلوجية، جرثومية) على أيدي رجال العصابات الشّيشانية، مما سيشكل خطرا عسكريا مباشرا على روسيا وأفراد قواتها.

4 - أن تقع على أرض روسيا أعمال إرهاب مدمّرة على نطاق لم يعرف من قبل وبكثافة غير مسبوقة من طرف رجال العصابات الشّيشانية أو تنظيمات أخرى تُناصر الفعل القتالي والمقاومة الشّيشانيّة.

فالمذهب الجديد هذا، يهتم بمساعدة القوات الرّوسية على أن تهيئ لنفسها موقعا محترما بين أقوى الجيوش عالميا خاصة بعد انهيارها إبان اجتياحها الثاني أمام حرب العصابات الشّيشانية، وأن تقيم نظاما أمنيا مستقرا على أراضي الشّيشان خاصة وشمال القوقاز عامّة، مع التحذير من ضرورة أن تتهيأ جميع القوات (سواء التابعة للداخلية الرّوسية أو الدفاع الرّوسي) لمرحلة صعبة، وهي مرحلة ما بعد القائد خطّاب.

وعليه فإنّ المهمّة الأساسية لقيادة أركان القوات الرّوسية بالشّيشان في مرحلة ما بعد خطّاب وما بعد مسخادوف هي تأمين هذه الجمهوريات الإسلامية الفتية كتركة مرعبة، على الرغم مما تمثله هذه التركة من مخاطر تهدد وجود روسيا - كما سبق ذكره - ولقد حُدد مفهوم "النصر" في المذهب الرّوسي الجديد، بأنه فترة محدودة من الراحة، يكون المقاتلين المسلمين الشّيشان فيها هم موضع تهديد حتى مالا نهاية من الزمن[30]. ويقدّم المذهب الحربي الرّوسي الجديد، اعترافا بالتوافر المتزايد للتكنولوجيا

---

(30) الداخلية الروسية، تستبعد دوما عمليات المافيا البيضاء الروسية، وحتى العمليات السوداء التي تنفذها المخابرات الفدرالية الروسية (F.S.B)، في المدن الروسية وحتى الاغتيالات السياسية وتنسبها لرجال المقاومة الشيشانية، محاولة منها لقطع الدعم والتعاطف الشعبي الروسي مع رجال المقاومة، واعتبار أنّ الحرب هي حرب ضد الإرهاب.

التدميرية والتعقد المتصاعد في مجتمعات القرن الحادي والعشرين للفرص بتطوير عمليات التمرد والإرهاب وانتقاله من احتجاز الرهائن واستخدام المتفجرات العادية إلى المهاجمة بأسلحة محظورة.

علما أنّ المذهب الجديد تمتّ المصادقة عليه في 22 أفريل 2000م، أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعلى الرغم من أن الأحداث التي وقعت بأوسيتيا، كاحتجاز رهائن بمدرسة بيشلان "Basslan"، إلا أنها لم تكن في هذا الإطار تمثل واقعاً كان يقترب من الخطر المباشر على أمن روسيا، ولا تقل خطورة عن أساليب حرب العصابات التي انتهجها رجال العصابات في أراضي الشّيشان أمام الجنود الرّوس، وقد يكون كل هذا كدافع لاستخدام الأحداث للتدريب وللإستعداد لمثل هذا النوع من الأخطار والأساليب.

ويُعتبر مضمون المذهب الحربي الرّوسي، أن الأعمال القتالية الشّيشانية تندرج ضمن العمليات الإرهابية المدمّرة، وهي أخطار من الدرجة من الأولى حيث تخطّط المؤسّسات العسكرية الرّوسية لإنشاء قدرات جديدة لمواجهة هذا النّوع من القتال الغير نظامي، القائم على المبادئ والأفكار الأساسية التالية:

1 - احترام الحياة المدنية.

2 - التحليل المؤسسي وتحليل النظم.

3 - التعبئة لمواجهة حالات الطوارئ الوشيكة.

4 - دور قوي ولكنه مساند فقط تقوم به وزارة الداخلية.

5 - تطوير تكنولوجيا وتكتيك مكافحة الإرهاب.

وتُعد وفق المبادئ السابقة وحسب المذهب الجديد، الاستراتيجية المختارة قائمة على أربعة عناصر، وهي:

1 - المعلومات والإنذار.

2 - المنع والردع.

3 - إدارة الأزمات ونتائجها.

4 - حيازة الخبرة والتكنولوجيا اللازمة.

ويقترح جنرالات هيئة الأركان التابعين للجنة الدفاع المكلّفين بإعداد نص مشروع المذهب الحربي الرّوسي الجديد تحت تعليمات الرئيس. فلادمير بوتين، ضرورة إقامة مؤسسة تسمى "المركز الفيدرالي للمعلومات المتعلقة بالإرهاب، وحركات العصيان"، ويكون هذا المركز مسؤولاً عن جمع وإدارة وتحليل ونشر المعلومات والتحذير من أعمال المقاومة المدمِرة، ويقوم المركز بأعمال، مثل:

- اعتماد الاحتياجات لجمع المعلومات من الوحدات الميدانيّة والمُخبرين.
- استقبال المعلومات وتخزينها.
- إعداد تقارير يمكن إرسالها إلى خلايا إدارة العمليات العسكرية بالأراضي الشّيشانية.
- تقييم برامج جمع المعلومات.
- تيسير التعاون بين الكتائب القتالية بشأن معلومات تحرّك مقاتلي العصابات الشّيشانية.

ولمنع أو عرقلة أي انتشار للفعل القتالي المعادي إلى خارج حدود الجمهورية وإقليم القوقاز، اقترح أعضاء اللجنة بتنفيذ ثلاثة تدابير، هي:

1 - مبادرة قانونية لجعل أيّ تطوير للعمليات القتالية للعصابات الشّيشانية، جرائم حربية، يجدر تقديمهم للمُحاكمة.

2 - إنشاء مراكز فيدرالية للرصد والإرسال بأوسيتيا الشّمالية وجورجيا لترصّد تحرّكات ومناطق تجمّع المجاهدين الشّيشان.

3 - زيادة الدّعم الفدرالي للقوّات الرّوسية بالمنطقة، لمواجهة المخاطر الاستراتيجية جراء تكتيك حرب العصابات الشّيشانية.

وعلى عكس الاتجاهات النّظرية العسكرية الرّوسية القديمة المتميّزة

بالاندفاع والثقة المفرطة في القدرة التكنولوجية ومدى قدرتها على حسم مسائل النصر في المعركة، فإنّ المذهب الجديد، يربط الجهود القتالية الميدانية بتحليل ذكي لميدان المعركة، فليست كل المخاوف تستحق نفس القدر من الاهتمام، ودور تحليل المخاطر الذي سيترك لقدرة القائد الميداني صلاحية تقدير الموقف وترجمته إلى أمر قتالي يطابق الظروف المحيطة بميدان المعركة وبمستوى العدوّ أو التحليل الاستراتيجي من طرف هيئة الأركان بالإقليم للحد من المخاطر، من حيث بحث هذه المخاطر من خلال تطبيق لبعض التكتيكات القتالية وتحديدها، وإقامة خطة عسكريّة نظاميّة للمتابعة الواسعة والموجّهة لمجالات بذاتها والإنذار والحماية والتدخّل والعمل المستتر وإدارة نتائج المعارك، والاستطلاع واستخلاص الدروس القتالية بعد وقوع الأحداث الميدانية الحربية. وثمّة أدلّة متزايدة على أنّ وجود خطر داهم من الدرجة الأولى، سيدفع بالإدارة العسكرية الرّوسية إلى تقويم إدارة مؤسسة الدفاع الرّوسية، وفي حالة تصعيد العمليات الانتحارية (الاستشهادية) داخل الشّيشان (ضد مرافئ[31] القوّات الرّوسية) أو بروسيا (مواقع مدنية حسّاسة)، ستقوم احتجاجات شعبية، مُطالبة باتخاذ تدابير حاسمة لضمان عدم تكرار هذه الأعمال، ويرى البعض أنّه ليس هناك ثمن مهما كان مكلفاً من الحماية، بما في ذلك الحدّ من السلوكات التخريبية الشّيشانية العشوائية.

ولن تقف الأضرار المترتبة عند هذا الحد، فالأرجح لدى قيادة القوّات الخاصّة الرّوسية، أنّ رجال العصابات الشّيشانية سيحاولون تكرار ما نجحوا في تحقيقه، وقد يؤدي إلى منازعات إقليمية عندما يتسع البحث عن الأطراف المؤيّدة والمسؤولة في دعم الجماعات الشّيشانية المقاتلة.

وبالتالي فالهيئة المكلّفة بإعداد المذهب، تعُدّ هذا الأخير دليلا إرشاديا للإستراتيجية العسكرية الرّوسية وللأمن الفدرالي وإدارة المواجهات المسلحة، ويُعتبر كاستراتيجية سياسية عسكرية عريضة ويعتمد على أدوات السياسة الخارجية السياسية والعسكرية، وستكون موارد وزارة الدفاع

---

(31) Revue: *Regard sur L'Est*, numéro 21, mai - juin 2000, p 21.

وتكنولوجيتها حاسمة لمواجهة وإيجاد حلول للأساليب التكتيكية لحرب العصابات الشّيشانية.

وقد وضعت وزارة الدفّاع الرّوسية عام 2003م برنامج تشكيل بيئة قتالية جديدة في الثّكنات الميدانية المُعدّة لخوض مسارات القتال بالشّيشان، والذي تُعرض فيه أفكار واستراتيجيات التصدي للمقاتلين الشّيشان مع درء مخاطرهم، والاستعداد لخبرات وتكنولوجيات جديدة لمواجهة التهديدات الحديثة الكبرى إذا ظهرت في المستقبل.

وقد لا يرى الكثيرون من قادة القوّات الرّوسية من سلسلة الهجمات التي يشنها المقاتلون الشّيشان ضد الرّوس، أكثر من حلقة في مسلسل حرب الاستنزاف التي لن تغيّر من الأمر شيئا، والتي يراها القائد الشّيشاني شامل باسييف نصرا جديدا يضاف إلى النجاح العسكري لحرب الأنصار (العصابات). فالعسكريون الرّوس يعتبرونها من خلال مذهبهم الجديد لا تَعدوا أكثر من الأنفاس الأخيرة التي يلفظها الطائر الذبيح، وأنّ تمهيدا لإعدام سياسي لزعماء المقاومة، سيضمن بقاء الجمهورية "المارقة" ضمن الفدرالية الرّوسية. فالتغيير في المذهب الحربي الرّوسي يعقبه تغيّر نوعي في سلوكيات المقاتِلة والتفنّن في المراوغة العسكريّة، وهذين التغيرين مترابطين معاً، ويؤدّي كلٌ منهما إلى الآخر. فحين مراجعتنا لسلسلة العمليات العسكرية الرّوسية خلال الفترة ما بين جانفي 2002م إلى غاية جويلية 2003م، يلاحَظ أنّ العمليات تسير بشكل غير منتظم بمنتظم: 01 عملية شهريا، يقابلها خسائر في صفوف القوات الشّيشانية متوسّطها 07 قتلى شهريا، وتقابلها متوسط 1,5 عملية شيشانية شهريا (شهدت بعض الشهور خمس عمليات متتابعة)، وبخسائر في صفوف الرّوس متوسطها 31 قتيلا شهريا (شَهد شهر جوان 2003م وقوع[32] 105 قتلى، وذلك خلال احتفال موسكو بأكبر نصر عسكري لها في تاريخها، وهو ذكرى هزيمتها لألمانيا الهتلريّة).

---

(32) انظر: الشيخ. أبو إسحاق الحويني: أسباب النصر والهزيمة، الجزائر: دار الفوائد للنشر، 2004م.

ويسجّل التغيير النوعي في العمليات حسب المذهب الحربي، ما يلي:

1 - إصابتها ضحايا من المدنيين، سواء في روسيا أو في الشّيشان، السبّب الرّئيسي هو صعوبة حركة رجال الأنصار الشّيشان بين العسكريين الرّوس من جهة، وتعمد القوات الرّوسية لضرب المدنيّين من جهة ثانية. فهي حينما تضرب مدنيين شيشانيين فإنهم غالبا ما يكونون من المتعاونين مع رجال المقاومة والمساهمين في الإرشاد عن جنود القوات الرّوسية واجتياح بيوتهم. أما استهداف المدنيين في روسيا، فهدفه الرئيسي إبلاغ رسالة مفادها أن للعصابات الشّيشانية يدا طولى تستطيع أن تتعدّى بها الحدود الإقليمية لنفوذها، والمساس بحق المواطن الرّوسي في الحياة. ويُلاحظ في هذا الشأن حرص الحكومة الرّوسية على مطاردة أصحاب هذه العمليات، والتبرّؤ منها كجزء من قواعد اللعبة السياسية.

2 - وفي هذا الصدّد يُسجَل حضور قادة القوات الرّوسية في الإعلام الغربي، والرّوسي بالطبع، حيث تُتاح لهم الفرصة للتعبير عن وجهة نظرهم، فضلا عن تمسكهم بإصدار البيانات أو إرسال أشرطة مُسجلة لانتصارات جزئية على غرار النموذج الأفغاني. حيث تسعى موسكو إلى الضغط على دول العالم لتسليم بعض الشخصيات السياسية الشّيشانية وأشهرها:

- مولاي أودجوف: المنظّر الشّيشاني لعمليات المقاومة، والذي يعيش في تركيا، وترفض هذه الأخيرة تسليمه.
- أحمد زكاييف: المبعوث الأوربي للرئيس الشّيشاني أصلان مسخادوف، والذي تمتّع بضيافة العديد من الدول الأوربية، إلى أن أُعتقل في لندن، وتُنتظر المحاكمة التي ستحدّد تسليمه إلى موسكو أو توقيع العقوبة عليه، وربما بتبرئته.
- الرئيس الشّيشاني السابق ياندر بابيف: اللاجئ السياسي في قطر، والمُتهم بالدعم المالي لحركة رجال الأنصار الشّيشان.
- الرئيس الشّيشاني المطارد من القوات الرّوسية أصلان مسخادوف: الذي يتحصّن مع قادة الأنصار الشّيشان في جبال الشّيشان جنوب البلاد، ويديرون شبكة من المقاومة (الجهاد) عبر وسائط عدة

للاتصال. وتُثار في بعض الفترات اتهامات روسية لجورجيا بتقديم الدعم لقادة حرب العصابات الشّيشانية، خاصّة بصواريخ أرض- جو المسؤولة عن إسقاط المروحيات العسكرية الرّوسية.

3 - عرقلة التقنيات التدميرية لحرب العصابات، بإقامة حواجز استطلاعية (إرسال 25 طائرة استطلاع من نوع AWAKS و18 طائرة من نوع S.S 364 Yushine لتفادي ضربات أرض -جو والهجومات الصاروخية أرض- أرض، كتقنية لحرب الأنصار[33] الشّيشانية. فقد احتلّ إسقاط المقاتلين لمروحيات روسية المرتبة الأولى في عام 2002م، بينما احتلّ الهجوم الاستشهادي المرتبة الأولى في النصف المنصرم من عام 2003م، وهو أسلوب دخل إلى ساحة الجهاد بقوة منذ عملية مسرح موسكو في أكتوبر 2002م.

4 - التحذير من العامل النسوي للمقاومة الشّيشانية، فمن زاوية أخرى احتّلت المرأة الشّيشانية مكانة الصّدارة في مستوى عُنف عمليات المجاهدين الشّيشان، عبر مسلسل متوالي من العمليات الفدائية. وقد قامت المرأة بعدة عمليات مؤثّرة (17% من إجمالي عمليات السنة الواحدة)، وركّزت في الأساس على عنصر المباغتة واختارت العاصمة موسكو (شاركت 20 امرأة في عملية مسرح موسكو في أكتوبر 2000)، أو وسط تجمعات لجنود روس في الشّيشان، فعدم التمييز في الرمي اتجاه أهداف نسوية أو أخرى هي أمور يقتضي للجنود الرّوس التفطن إليها، كون بقاء الهدف معناه تدمير وفناء القوات الرّوسية. وهنا تجدر الإشارة، أنّه ما تعرّضت له النساء الشّيشانيات من قتل الزوج والابن والأب (1800 رجل قتلتهم القوات الرّوسية على مدى الأشهر الستة الأخيرة من سنة 2004م فقط)، ناهيك عن جرائم الاغتصاب والتشريد، هي الدوافع الرئيسية وراء قيام عناصر نسائية بتلك الأعمال شديدة الدقة والجرأة. فالتقاليد القوقازية الصارمة المدفوعة بمبادئ الشهادة الإسلامية، وجهاد من قتلوا الأب والزوج، تقف بقوة وراء تطوّع

---

(33) Céline Francis, Op.cit, p., 38.

الشّيشانيات للعمل الاستشهادي، اعتمادا على اليُسر النسبي في حركتهن داخل التجمّعات الرّوسية، في وقت يتعرّض فيه القوقازيون لتوقيف مستمر في المدن الرّوسية، ومُلاحقة متتابعة لسهولة التّعرف على ملامحهم وسط العرق الرّوسي السائد. واختزل فاليري فيرشاجين (Valery Veirchajine) الباحث في شؤون القوقاز الأمر بقوله: "إنّ هؤلاء النسوة، فَقدن على أيدي الرّوس كل ما يخفن عليه، وصار هدف الانتقام أسمى الغايات، بعد أن أُجبرن على السير في نفس المسار الذي سارت عليه النساء الفلسطينيات"[(34)].

5 - أمّا عن جغرافية العمليات العسكرية الرّوسية، فلجنة الشؤون العسكرية بالدوما، ترى أنّه مادامت العمليّات القتالية لرجال العصابات الشّيشانية تدور حول العاصمة غروزني على مدى عام 2002م، إلى جانب كون، شهدت نهاية عام 2002م والنصف الأول من 2003م خروج العمليات الجهادية إلى خارج جمهورية الشّيشان وخاصة إلى العاصمة موسكو، فإنه هنالك قضية شديدة الحساسية على هيئة الأركان الرّوسية الحيطة لها، وهي تجاوب الشعب الرّوسي مع قضية استقلال الشّيشان. فمن ناحية هناك ملايين الرّوس الذين يؤمنون بحق الشّيشان في الاستقلال، وضرورة الانسحاب منها (بلغت نسبتهم في العديد من استطلاعات الرأي العام أكثر من 55%). وهكذا يبدو المكسب الأول من وراء نقل العمليات الانتقامية الشّيشانية إلى العاصمة موسكو هو تشويهها روسيا، قصد سحب أكبر جزء ممكن من الرّوس المتعاطفين مع القضية الشّيشانية إلى فريق الكارهين لمسعى الاستقلال.

6 - ضرورة تصعيد مسار التعتيم الإعلامي، كممارسة دعائية لمصلحة خطط بوتين والعمليات العسكرية الرّوسية. وفي ذلك أعطى جاكسون ديل «Jackson Dyle» مسؤول في واشنطن بوست (Washignton Post) في 29/ 04/ 2002، مِثالاً قارن فيه كيف تابع العالم بشغف اقتحام

(34) BARCIN (T.H): *les grandes questions internationales depuis la chute du mur de Berlin*, Economica, 2001, p., 301.

المخيّمات الفلسطينية عبر عدسات أكثر من 1000 صحفي، في وقت لا يوجد سوى صُحفيَين فقط في الشّيشان، يتابعان ما يجري بها من انتهاكات. بل إن العالم أبدى قلقه لقيام شارون باجتياح بلدة صغيرة مثل جنين في أفريل 2002م ولمرة واحدة خلال ثماني سنوات، في الوقت الذي كانت قوات بوتين تجتاح بلدةً بنفس الحجم، وهي "تسوتسان يورت" (Tsutsan Yurt) 33 مرة خلال 3 سنوات. وهكذا فهناك ما يبرر حرص الحكومة الرّوسية على عدم ظهور المقاومة الشّيشانية على سطح الأحداث العالمية، ساعية إلى تحقيق نصر معنوي يرفع من عزيمة المقاتلين الرّوس. فالجندي الرّوسي الناشئ في جو عائلي محافظ وسط السلام القروي أصبح يتصف تحت هذا المذهب الجديد بروح الطاعة العمياء. كون الجيش الرّوسي أصبح بأمسّ الحاجة إلى الروح القتالية التي كان يتمتع بها الجيش الأحمر، ولقاعدة اجتماعية وسيكولوجية جديدة من أجل تجديد الموعد مع الانتصارات. فالأجيال الجديدة من المقاتلين الرّوس قد تركت صفات المسالمة والخضوع إلى الطبيعة، وتحلّت بالجرأة والرّغبة في تعلم التقنية الحديثة، وهو في حد ذاته لدى هيئة أركان القوات الرّوسية بإقليم شمال القوقاز يُعد سببا لبتر عوامل الانتصار الرّوسي العسكري. وإعادة الروح القتالية روسياً يعتمد على إجراءات أساسية أهمّها:

- التقليل من عدد المجنّدين الأميّين، حيث لا يقوم الجيش الرّوسي بتسريح الأميّين من الخدمة قبل تعلمهم القراءة والكتابة.
- إدخال الحماسية في كل أنواع الرياضة التي تمارسها القوات العسكرية الرّوسية، ومحاولة نشرها خارج الجيش الرّوسي، وهذا بتحفيز الموظفين والعمال والطلاب على الظفر بميدالية مهرة الرّماة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إدخال نشاطات التزحلق على الثلج للوحدات العسكرية، لمنحها قدرة جديدة على الحركة شتاءا، مع تكثيف الدورات التدريبية للقفز بالمضلات.
- تشجيع تدريبات الطيران الشراعي والطيران العادي، وما تمثله من تجديد للثقة بالنفس لدى الجندي الرّوسي.

- منح الجنود العاديين وضباط الصف والملازمون الفرصة للمبادرة والكشف عن كفاءاتهم والجعل منهم منظّمين وقادة ميدانيين.
- ضرورة مرور كافّة القادة العسكريّين الميدانيين بمدرسة الحرب الشعبية، ومتابعة الأوائل منهم لدورات تدريبية في الأكاديمية العسكرية الخاصة بتحسين المعلومات المتعلقة بالنشاطات المضادة لحرب العصابات: حيث يتمتع نصف الضباط الكبار تقريبا بتثقيف عسكري جيّد، بينما يتمتع النصف الآخر بتثقيف متوسط. ولقد منحهم المذهب الجديد هذا، انظباطا فكريا ضروريا، مع البعث فيهم لروح الجرأة التي قتلتها عمليات حرب العصابات الشّيشانية. ويتراوح سِن هذا الجيل الآن بين 40 و50 سنة، وهو سِن إتّزان القوى الفكرية والجسمية، حيث تعتمد المبادرة القتالية الجريئة على التجربة، دون أن تكون التجربة عبئا ثقيلا عليها.
- تجديد الاحتياطات الطبيعية لإطارات الجيش، وهذا بإعداد الشبيبة الرّوسية للخدمة العسكرية المشكّلة لاحتياطي آخر، حيث يُشكّل الطلّاب كتائب مدرسية قادرة على التحول إلى مدارس ضباط احتياطيين في حالة التعبئة. ويكفي لتقدير هذه الإمكانيات وأهميتها أن نعرف أنّ عدد المتخرّجين من المعاهد العليا يبلغ سنويا 80 ألف خريجاً، وأنّ عدد طُلاب هذه المعاهد يزيد عن نصف مليون وعدد الدّارسين في جميع المؤسسات التعليمية حوالي 27 مليونا. ويمكن اعتبار العلاقة بين هذه القوة الحية[35] والقوّة التقّنية للجيش الرّوسي يضعها في رِواق أفضل الجيوش الغربية المتقدّمة. ولغرض كسر الحاجز النفّسي الشّيشاني، سيتم تجديد المدفعية خلال الخطة الخمسية الأولى المعنية بتحقيق النجاح هذه المرّة، حيث خصّصت لها وزارة الدفاع الرّوسية أموال كثيرة لصنع العربات المدرعة وسيارات النقل والدبابات والطائرات. فروسيًا حاليا تملك نصف مليون مدفعية من نوع B.T.A –ب.ت.أ– وتعمد لصنع 1936 60

(35) Ibid, p54.

مدفع وهذا في عام 2006[36] ذات قوة إجمالية تعادل 8,5 مليون حصان بخاري. ويتم صنع الدبّابات الهجومية بصورة متوازية مع كاسحات الألغام. ويتوقّع المراقبون العسكريون وقادة الهندسة العسكرية الرّوسية أن يكون نصيب كل كيلومتر من الجبهة القتالية في الشّيشان في حالة التعبئة من 30 إلى 40 دبّابة.

أمّا الأسطول الجوّي فستعمد هيئة الأركان الجوية الرّوسية لإحراز تقدّم كبير وسريع. فمنذ أكثر من سنتين صرّح وفد عسكري فني فرنسي عن "استغرابه وإعجابه" بالتقدم الرّوسي الحالي في هذا القطاع، واقتناعه بأن جيش الطيران الرّوسي يبني عددا كبيرا من قاذفات القنابل الثقيلة التي تعمل إلى مدى 1200 و1500 كيلومتر. وفي حالة صراع مقبل مع رجال العصابات الشّيشانية، سوف تتعرض المراكز العسكريّة والشعبيّة للأنصار الشّيشان دون شك لضربات طيران تنطلق من القاعدة الجوية في شالي. وتتوقع الخطة الخمسية إنشاء 62 لواءً جوياً تستخدم 250 طائرة، مع ضرورة تنفيذ هذه الخطة بكل دقة مع تخطّيها. وأكثر ما اهتمت به قيادة أركان القوات الرّوسية لشمال القوقاز هو تطوير:

- سلوك الوحدات القتالية.
- تطوير نظم الأسلحة الذكية ومفاهيم تطويرها.

فمن المتوقّع حسب إدارة العمليات العسكرية بموسكو أن تتميز الصراعات الشّيشانية الرّوسية بقدرات كبيرة على القتال، خفّة وحركة عالية من الوحدات والتشكيلات الرّوسية التي من المتوقّع أن تكون أصغر حجما من نظيرتها الشّيشانية. وسيتطلب ذلك الترّكيز على:

- أهميّة الردّ السريع.
- المرونة.
- قوة النيران، وذلك لكسر تماسك العصابات الشّيشانية وسلبهم القدرة أو الرغبة على القتال.

«*La Revue Internationale Et Stratégique*», N° 31; Paris: Automne, 2004, p76. (36)

ولتحقيق ذلك، عمدت النّظرية الرّوسيّة الحربية الجديدة، على اتجّاهات تطوّر التقنيّة التي ستُستخدم لتوفير القدرات المناسبة لنظم الأسلحة[37].

فلم تتغيّر الوحدات الخاصة من حيث مهامها، أو من حيث توفير القدرة على شلّ حركة رجال الأنصار الشّيشان، بوسائل مختلفة قصد إرباكهم وشل قدراتهم أو اندفاعهم في القتال. ولقد تطورت الوحدات المظلية الرّوسية بسرعة كبيرة، بحيث أصبحت توفر أشكالا مختلفة ومعقدة من الحماية، وذلك لمساندة العمليات في ميدان القتال. وتعمد نفس الإدارة (إدارة العمليات) إلى توفير التطور الغير مسبوق، سواءً في المجالات التقليدية أو الجديدة مع إمكانية تعديل الوحدات الخاصة (التابعة للداخلية الرّوسية) الموجودة في الخدمة وتطوير أنواع جديدة.

وقد يكون من غير الحقيقي الاعتقاد بأنّ الدّافع التّكتيكي هو العامل الأساسي في تطوير واستخدام الوحدات المظلية الرّوسية، ولكن في نفس الوقت يمكن القول بأنه هو أحد العوامل الكثيرة التي يتّم دراستها جميعا والجمع بينها. وتُوّضح دراسة الحرب روسياً بالشّيشان، أنّ معظم التغييرات الجذرية في القدرات القتالية نبعت بالنسبة إليهم أساساً من الاستخدام المبكّر للوحدات الخاصة المتوفرة، أو من الحشد المبكر للقدرات وليس من الظّهور المفاجئ لرجال العصابات الشّيشانية. ولقد كان معظم ما حدث من تطوير هو ارتقاء بالقدرات وليس تغييرا جذريا فيها، حيث كان أساسا قرار استخدام الوحدات المظلية لتحسين الأداء لمفاهيم ونظم قتالية موجودة فعلا. وتتوقع نفس الإدارة أن يستمر هذا الاتجاه، وخصوصا مع بزوغ الشعور بروح الانتقامية لدى الشباب من الجنود الرّوس سيُعوّض الروح القتالية التي كانت تشكل آنذاك العقيدة الحربية للجيش الأحمر، مما سيقلل من احتمال المفاجأة التكتيكية.

وقد يكون أهم عامل من بين جميع العوامل التي أدرجها المذهب الجديد، والتي يجب دراستها لتقييم إمكانية التطوير المحتمل لأي وحدة

---

(37) Bertrand Degoy: *La Russie en Quête de Doctrine Militaire: Bases Technico-Militaires de la Doctrine*, Institut de Stratégie Comparée: 2002; p328.

قتالية هو جاذبية التطبيق (أو إمكانية وجدوى التطبيق العملياتي)، الذي بدوره يُعتبر أحد أهم الحوافز للتطوير التقني والتكتيكي. فعادة ما يبحث الاستراتيجيون العسكريون باستمرار عن المزايا التي يحققها امتلاك قدرات عسكرية بطرق غير مُتوقعَة جديدة أو أكثر كفاءة من تلك المتوفرة، وعندها يصبح تأثيرها على المذهب العسكري الرّوسي للقتال. فكيفية استخدام وتفعيل الوحدات المظلية ضمن منظومة القتال المتوفرة بشمال القوقاز بات هو العامل الحاسم(38).

ويتم تحديد المذهب القتالي للقوات المسلحة الرّوسية، بناءاً على عدّة عوامل، من أهمّها: توفر التقنيات، والتكتيك ذو الصلة بنظم الأسلحة والقتال. وهذا ما يدفع بقيادة القوات الرّوسية بموسكو لإعداد المظليين الرّوس لأربعة أنواع من الصراعات مع رجال الأنصار الشّيشانيين:

1 - حرب عالية الشدة (High Intensity Warfare)، حيث يوجَد رجال العصابات الشّيشان في وضع عدو محدّد ومعرّف تعريفا دقيقا، ومن المحتمل أن يكون استخدام القوة العسكرية للوحدات الرّوسية الخاصة، هو الوسيلة الأساسية لحسم القتال.

2 - التدخّل المسلّح (Armed Intervention)، وهو خاص بالحالات التيّ لا تحتاج إلى شنّ حرب مضادّة (حرب العصابات المضادّة)، ويشمل ذلك دخول قوّات المظليّين المقاتلة في أراضي أو مناطق تكون وحدات المشاة العسكرية الرّوسية محاصَرة من طرف رجال العصابات الشّيشانية، وعادة ما يكون هدف قوّات المظليّين المتدخلة محدودا للغاية (على سبيل المثال، إنقاذ الجرحى من الجنود الرّوس، تأمين الانسحاب السريع، استرجاع أسلحة القتلى خاصّة الرّوسية منها)، وتتخذ وحدات المظليين المتدخلة شكلا متطورا كما هو مبين في الشكل الآتي(*)، والذي يعكس آخر ما ارتقت إليه استراتيجية التطوير الشكلي فيما يخص

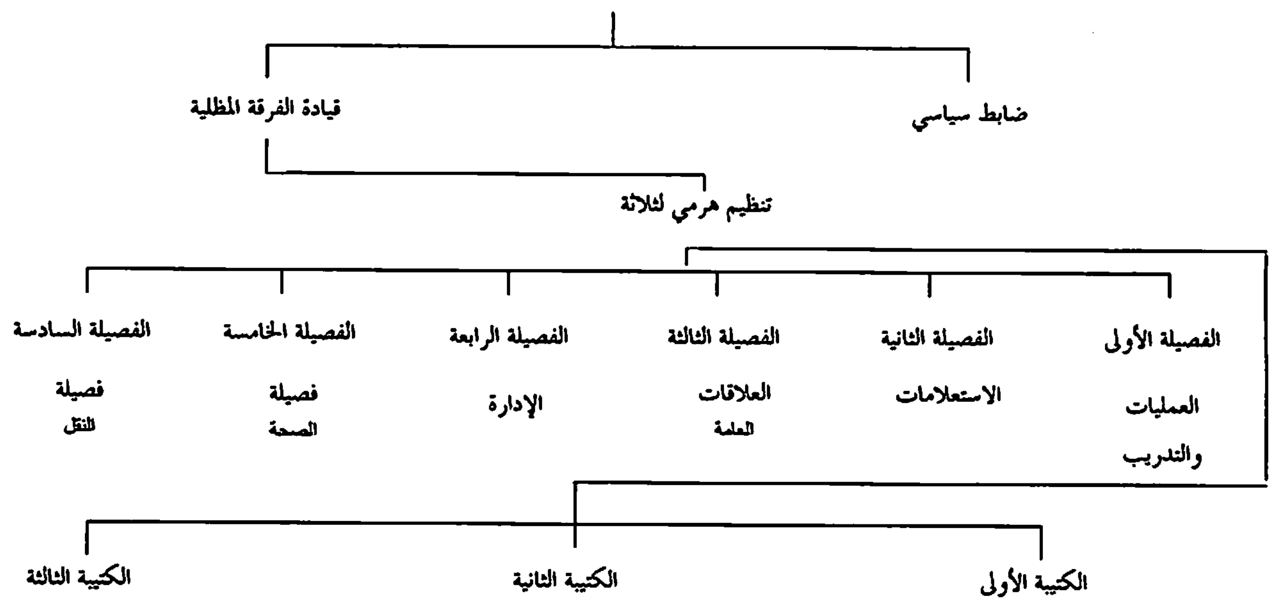
---

(38) Bertrand Dogoy, Op.Cit, p341.

(*) الشكل رقم (4): bertrand Degoy, Op.cit, p., 342.

وحدات المظليين المغاوير الرّوسية (Russian Para-Commandos Unities).

الشكل رقم (4): تنظيم قوات المظليين المغاوير المنتمية للفرق القتالية الخاصة بمطاردة رجال العصابات الشّيشان



3 - عمليّات مقاومة التمرّد (Counter Insurgency Operations)، وتكون ضدّ قوات مقاتلة شيشانية غير مُحددة المعالم، حيث يتمّ تصميم شكل وحجم القوّة العسكرية للمضليين الرّوس لتُكمل الإجراءات التكتيكية التي يلزم اتخاذها لهزيمة نشاطات التمرد الشّيشاني المسلّح.

4 - عمليات مقاومة الإرهاب (Counter Terrorist Operations)، ويتمّ تنفيذها طبقا لتوجيهات السلطات العسكرية القائمة بغروزني، وطبقا لما يقضي به القانون الداخلي للاتحّاد الفدرالي الرّوسي.

ولا تخفي قيادة الأركان الرّوسية، أنّه من المحتمل أن تنشأ في المستقبل أنواع جديدة إضافية من المواجهات القتالية مع المجاهدين الشّيشان. على سبيل المثال، قد يكون من المقبول روسيّا زيادة الحاجة إلى استخدام القدرات الجوية (القوات الجوية) ذات الصلة بالهجوم، لحماية مواقع القوات المظلية الرّوسية.

تبقى الحرب عالية الشدة أكثر التهديدات التي قد تواجهها القوّات الرّوسية، حيث عادةً ما تتّصف بالوحشيّة والتي تحتفظ بميزات قتالية خاصّة بها، مثل:

- خِفة الحركة.
- الاشتباكات المُكلّفة، التي تتطلّب دائما أسلحة أكثر تقدماً.
- القدرة على الردّ السريع.
- الاحتمال الكبير للتدمير والقتل.

بالرّغم من ذلك، فإنّ تلك التحرّشات العسكرية عادة ما تتمّ على مساحات واسعة حيث عادة ما تكون الاشتباكات شديدة ولكن قصيرة. وعادة ما تكون بين الاشتباكات فترات ومسافات من التوقفّ، تقوم فيها القوات الرّوسية والقوات الشّيشانية (باعتبارهما قوات متصارعة) بإعادة التجميع والمناورة للمواجهة المقبلة، ويعتبر الجنرال فاليري ياتزسيف (valerey yatsev) قائد الكتيبة 18 للمظلّيين الرّوس بمدينة شالي (جمهورية الشّيشان)، أنه تعتبر القدرة على تدمير العصابات الشّيشانية -كخصم قوي- قبل أن

يتمكّن من الحشد والاشتباك عاملا حيوياً ويتطلب نظما قتالية وأخرى للأسلحة قادرة على التعرف والوصول إلى أهدافها، والتي غالباً ما تكون منتشرة، وأحياناً يصعب كشفَها أو محصَّنة وعلى مسافات بعيدة وتحت جميع الظروف الجوية.

ولقد لوحظ أثناء التدخّل العسكري الرّوسي في داغستان، أنّ مثل هذا الموقف يحتاج لقوّات عسكرية وأسلحة لها قدرات مثل تلك التي تُستخدم في الحرب عالية الشدّة، حيث أنّ تلك القدرة تُستخدم للتهديد(39) أو لإحداث تدمير شديد في بعض الحالات القليلة، لإظهار مدى القوّة مع الاستعداد لمواجهة القوّة بالقوّة. حيث كان لتأثير الرأي العام، من حيث عدم إفصاح القوات الرّوسية عن حدوث إصابات، أثره في التركيز على وسائل إجهاض دفاعات العدوّ واستخدام الضربات الدقيقة.

ويمكن القول بأنّ الحرب عالية الشدة التي حذّرت منها قيادة الأركان والتدخل المسلّح هما مثالان للمهام التي تتطلب حلولا أكثر ذكاءً للعمليات القتالية الرّوسية، حيث تزداد أهمية استخدام القدرات من أجل:

- كسر تماسك قوات الأنصار الشّيشانية.

- تحطيم الاندفاع القتالي الشّيشاني أكثر من التدمير المادّي لهم.

وعادة وبدون استثناء تقريبا ما يُنظر إلى حرب المناورات روسياً، على أنّها حرب قوات مشتركة ضد الشّيشان، تهدف إلى استخدام القوة ضد نقاط ضعف محدّدة، ومن أهمّ خصائصها:

- قوّة الدّفع.

- والمُعدّل العالي للحركة، بهدف إحداث الصدمة والمفاجأة لدى الخصم الشّيشاني.

ويتطلب هذا النوّع من المواجهات القتالية (الصّراعات) مع المجاهدين الشّيشان روسياً، التركيز على:

---

(39) Isabelle Facom, Op,cit; p143.

- تحقيق السيّادة في مجال المعلومات.
- قوّة النيران.
- التنّسيق والتّعاون في مجال النّيران على طول وعرض ميدان القتال.
- تطوير خِفّة حركة العمليات القتالية، بحيث لا تستطيع قوات المجاهدين الشّيشان مسايرتها، ولكن ما هو ملاحظ هو كون المذهب الجديد يغفل نقطة بالغة الأهمية: هي كون أنه في معظم الحالات تأخذ منهجية الحرب بالنسبة للقوات الرّوسية بالأراضي الشّيشانية خصائص الحملة العسكرية، حيث يتم القتال فيها تحت ظروف عدم اليقين، وعلى أرض غير مجهَزّة، وبدون بنية تحتية للإمداد بالمؤن والذخيرة، على الرغم من أنّ الوحدات والتشكيلات الرّوسية قد تكون أصغر حجما من سابقاتها، إلّا أنّ التقدم التقني، أصبح يُوّفر قدرات قتالية وخفة حركة أكبر. ويشمل كل من التدخل المسلح ومقاومة التمرد الشّيشاني على مواقف تثير مشكلة أخرى لتخطيط القوة، وهي عدم تماثل قدرات الخصمين: على سبيل المثال، من الصعّب تخيل قتال يكون فيه الخصم له قدرات تماثل تلك القوة المجتمعة التي يملكها الجيش الرّوسي، وقد يكون الموقف القتالي أصعب حين تتوقع قيادة القوات المسلحة الرّوسية بمدينة "قدرميس" خصم شيشاني له قدرات تكتيكية مثل التي تملكها القوات المسلحة الإسلامية الانفصالية بالفلبين، ومع ذلك سواء عن قصد أو عن غير قصد، يعتبر قادة المظليين الرّوس أنه سيَتمكّن رجال القوات الخاصة الروسية من مراعاة التدخل المسلح أو عمليات مقاومة التمرد باستغلال عدم تماثل القدرات للهجوم، حيث يكون احتمال استغلال مزايا التكتيك المتقدّم أكثر ما يمكن.

وبالتالي وعبر المذهب الجديد يكون الجيش الرّوسي قد خطّط ليكون قوّة بدون منازع عبر الجمع بين:

- السيّادة التقنية الشاملة.
- السرعة.

- حشد القوات.

لكنه أصبح من الواضح أنّ تلك المزايا يمكن أن تكون عديمة الجدوى في حالة ما يُسمى: "بميدان القتال المُعقّد" (Terrain de Combat Complexe) مثل القتال القريب في المناطق السكنية، الغابات، المناطق الجبلية حيث يصبح من الصعب استغلال التفوق في:

- السرّعة.
- أو الحشد.
- أو التقنية.

ومن ثمّ تصبح المهمة التقليدية لقوات المشاة الرّوسية هي الاستيلاء والتمسك بالأرض، كعامل هام، وفي مثل تلك الحالات يصبح من الصعّب مساندة قدرات الجندي الرّوسي المُترجِّل.

وتُوجد عوامل كثيرة أخرى تُؤثر في المطالب والمواصفات، فتوفير واستخدام أي نوع من الوحدات القتالية الرّوسية، يتم إعداده لتحقيق قدرات جديدة أو متطورة أمام المواجهات المسلّحة مع قوات الأنصار الشّيشان. ومن أهم العوامل المتحكّمة في نجاح العمليات القتالية الرّوسية عند دخولها في نزاع واشتباك مسلح مع حرب العصابات الشّيشانية هي:

* مدى قابلية تأثير السلاح على حسن سير العمليات الرّوسية: حيث أظهرت الحرب الشّيشانية-الرّوسية الأولى (1994-1996م)، مدى تأثير وسائل الإعلام، وعدم قابلية الشعب الرّوسي لحدوث خسائر في الأرواح، وخصوصا في حالات التدخل المُسلّح ومقاومة التمرد الشّيشاني، حيث أصبح من المهم تقليل تدمير البنية التحتية المدنية الشّيشانية وعلى وجه خاص ما يسمى بالتدمير العرضي. ومن المتوقّع أن يستمر هذا الاتجاه، وهو ما يتطلّب تركيزا على ما يلي:

- التمييز.
- والدقة.
- وموثوقية الأسلحة.

* القابلية للنقل[40]: حيث تحتاج قوات الحملة العسكرية الرّوسية الصغيرة نسبيا، إلى نقل احتياجاتها وأسلحتها إلى مسرح العمليات وقد يسبب ذلك عدم القدرة على توفير الوسائل البرية وبوجه خاص الوسائل الجوية لنقل تلك الاحتياجات، بعد وقت قصير من الإنذار تهديدا لتلك القوات. وتحتاج الطلائع الأولى للقوات الرّوسية إلى تسليحها بأنواع خاصة من الأسلحة الفعّالة لمواجهة الأعداد الكبيرة المتوقّعة من القوات التي تهاجم أو تنوي محاصرة مناطق الإنزال في المرحلة الأولى لعملية الحشد، ويستلزم ذلك نقل تلك القوات جواً، على الأقل في المراحل الأولى، مع توفير مخزون مناسب وأسلحة خفيفة وفعّالة.

* الموثوقية (reliability): حيث توجَد دوافع كثيرة لتحسين موثوقية نظم الأسلحة الرّوسية الجديدة، منها[41]:

- تقليل تكاليف الصيانة طوال فترة الاستخدام.
- وتوفير الجاهزية العملياتية.

وهذا يتطلب تحقيق هجوم دقيق وتجنّب التدمير المقصود (العرضي)، تأكيداً على هذا العامل أكثر من ذي قبل، وهو ما يحتاج روسياً إلى مراجعة تعريف أو فلسفة عامل الموثوقيّة للمحافظة عليها، حيث أصبحت الأسلحة أكثر تعقيداً، وتدعوا المطالب إلى توفير أقلّ قدر من الصيّانة وزيادة عمر السلاح يلزم استخدام حلولا تقنية جديدة.

* الاتجاهات التقنية والتكتيكية للتطوير:

وتعتمد نظم الوحدات القتالية الجديدة في تشغيلها، على التفاعل المعقّد بين نظم فرعية يمكن تعريفها روسياً[42] بأنها توفّر درجة عالية من الأداء من حيث:

---

(40) Van Creveld (M): *La Transformation de la guerre*, Editions la Rocher, 1998; p20.

(41) Bruce Hoffman, Op.Cit, p164.

(42) Steven. J. Main: *North Caucasus District: Defending Russia's interests in the Caucasus (1996 - August 1999)*, Conflict Studies Research Centre, June 2000, p223.

- دينامية السلاح (Dynamic Weapons)
- التحكم في السلاح (Weapon Control)
- تدمير أو هزيمة الهدف (Defeat Target)

حيث يتجه استخدام التّقنيات والتكتيكات النّوعية للأسلحة، إلى زيادة قُدرات الوحدات والنظّم القتالية الفرعيّة، بحيث يستفيد منها نظام الجيش الرّوسي بالكامل، ولا شكّ أنّ التطوّر التكتيكي للقوّات الرّوسية سيكون له نفس التّأثير على أسلحة الخصم الشّيشاني.

ويمكن القول بأنّ مهمّة مصمّمي المذهب الحربي الجديد، هي[43]:

- توفير تصميم قتالي يجمع بين الديناميكية التكتيكية والفعالية التقنية الرّوسية.
- تحقيق التغلغل الرّوسي واختراق دفاعات المجاهدين الشّيشان.
- التحكّم في السلاح وفي الخطط العملياتية.
- تأمين الوصول إلى معاقل القوات الشّيشانية.
- هزيمة حرب العصابات الشّيشانية بحيث يحقق السلاح والتكتيك الرّوسي الأداء المناسب الذي صُمّم من أجله.

كما وأنّه سيتطلّب تصميم الوحدات القتالية الرّوسية التي ستشتبك مستقبلاً مع المجاهدين الشّيشان ما يلي:

- تحقيق المرونة.
- توفّر درجة عالية من الفاعلية عند استخدام الأسلحة في أنواع مختلفة من العمليات، ضد أهداف شيشانية، يتم تصميمها واستخدامها تحت ظروف إجراءات مضادة تتطور باستمرار. وسيتطلب تصميم الخطط القتالية الرّوسية، أن تكون قابلة للتطبيق، وكذا للتطوير المستقبلي، لتواجه مطالب التطور في التكتيك القتالي الشّيشاني، أو تغيير التقنية العسكرية المُستخدَمة عند التصميم. ويحتاج كل ذلك إلى حلول

---

(43) Ibid, p116

ناضجة وواقعية، وتستغل الخبرات السابقة وتحقق المهمة النهائية للقوات الرّوسية، لتحقيق الأداء المطلوب للنظام التكتيكي الكامل قصد خوض صراعات مفتوحة مع حرب العصابات الشّيشانية وقد يتعدّى القائد الرّوسي المستخدم للمذهب الجديد في تصميم تكتيكاته الجديدة ليشمل البيئة التي سيتم فيها تشغيل القوات التي تضم الظروف الطبيعية والظروف القتالية بما في ذلك الهدف المطلوب التعاملِ معه، والإجراءات المضادة والنظم القتالية الأخرى التي ستعمل بها وحدات المظلّيين. وتُعرَف تلك الطريقة للتصميم بأنها طريقة تصميم نظام النظم (System of Systems)، وتمثّل مشكلة حقيقية لمصمم الخطط القتالية الرّوسية بالشّيشان، حيث غالبا ما يكون التفاعل بين السلاح والخلفية، الهدف والإجراءات المضادة، غير قابلة للتحليل المنطقي (لوجود عوامل كثيرة غير مرئية)، وفي نفس الوقت فإنّ التفاعل بين كل من أنظمة الوحدات الخاصة ونظم قتال المظليين الرّوس المعروفة يتزايد تعقيده بسرعة.

على كل حال، فإنّ الرئيس الرّوسي فلاديمير بوتين مرّر القانون الخاصّ بالمذهب العسكريّ الجديد، بما فيه المراسيم التنفيذيّة المكمّلة للقانون، واضعا بذلك توسِعة في سلطات الكرملين، من حيث توجيه العمليات القتالية بالشّيشان أو أشباه النزاعات المسلحة التي قد تدخلها القوات الرّوسية مستقبلا، وهذا تحت التهديدات التي تقف على الحدود الأمنية الرّوسية، والمتمثلة في:

1 - خطر توسع الحلف الأطلسي إلى الدول المشكّلة -سابقا- لتركة الاتحّاد السوفياتي -سابقا-.

2 - اللوبي الإسلامي بروسيا، ومحاولة عرقلته عبر نُوابه بالكرملين أو الدوما لمشاريع قوانين تنظيمية أو تنفيذية متعلّقة بالمهام والعمليات العسكرية التي ستنوط بها القوات الرّوسية مستقبلا.

وعلى الرّغم ممّا يواجهه التنبؤ بمفاهيم المذهب الجديد، حول نظم الوحدات القتالية من مخاطر، إلّا أنّه من الممكن لدى هيئة أركان القوات

الرّوسية بالشّيشان التنبؤ بالقدرات التي يجب على الوحدات المقاتلة أن تحققها خلال الجزء الأول من القرن الحادي والعشرين، إذا أخذت بعين اعتبارها مطالب القائد الميداني الرّوسي، كتطوير التكتيك والعوامل المؤثرة الأخرى، حيث تتوقع قيادة القوات الرّوسية ما يلي:

- درجة عالية من الدقة والفاعلية ضد الأهداف التقليدية.
- قُدرة كبيرة على الفعل القتالي في مساحات شيشانية واسعة، وذلك في العمليات منخفضة الشدة، الصعبة والمعقّدة، حيث يكون من غير المقبول روسياً استخدام وحدات غير شرعية (مرتزقة)، أو ما قد يسبب لها فضائح خطيرة، وعلى الرغم من ذلك يلزم للمذهب الحربي الجديد تحقيق هزيمة على الهدف (رجال حرب العصابات الشّيشانية) في ظل المذهب الحربي الجديد.

ثالثاً: مفاهيم حرب العصابات الجديدة.

وكما أنّ للمنهزم أن يغيّر من خُططه وسلوكه القتالي، فإنّ للمنتصر سيادةً لمفاهيمه وتجذّر لخططه في فكر وميدان القتال سواء تعلق الأمر هنا بما يرتبط بالقوات الرّوسية أم ببيئة المعركة والفكر القتالي للخصمين.

وبالتّالي، تصبح حرب العصابات الشّيشانية مثلها "مثل طلب العلم والمعرفة، درب من دروب الجهاد، وهذا الشكل من الجهاد أصبح يمثل صوراً من صور الكفاح التي أمر الله بها كل مسلم من أوّل يوم في حياته حتى يلفظ آخر أنفاسه"، وهذا حسب تصريحات الرئيس الأسبق للجمهورية ياندر باييف(44). إن حرب العصابات السلفية الجهادية كمفهوم شامل هي واحدة من العناصر الأساسية للعقيدة القتالية الإسلامية، وهي أيضا من أصعب المسائل التي يتعذّر للخطط والمذاهب العسكرية الغربية فك رموزها، ومضمون الجهادية السلفية لحرب الأنصار (العصابات) الشّيشانية، هو وراء

---

(44) زليم خايندربي: الشيشان: السياسة والواقع، داغستان: مطبعة اقرأ: 2000 م / 1421 هـ، ص71.

معظَم الهجمات السياسية التي تشن ضد الإسلام في منطقة شمال القوقاز[45] فالرّوس يطلقون على الجهاد الشّيشاني مُسمى الإرهاب[46] أو التطرف في حين أن النخبة الإسلامية المزعومة في العالم الإسلامي لا تحاول التفكير في ذلك حتى لا يضطروا إلى مواجهة الغرب المتحضر وهو لا يخرج عن نطاق رِدة فكرية حسب المقاتلين الشيشان، وحتى قادة وحكومات غالبية الدول الإسلامية، بما في ذلك بعض الدول التي تطلق على نفسها مُسمى الدول الإسلامية، يحاولون الابتعاد عن تناول هذا الموضوع.

ويقف وراء الكثير من الهجمات السياسيّة ضد الجهاد فكرةً ومفهوماً أنّ الجهاد السلفي لحرب العصابات الشّيشانية، هو بمثابة حرب مقدسة، وهذا المفهوم هو الفكرة السائدة لدى وسائل الإعلام غير الإسلامية بالمنطقة. والجهاد السلفي لحرب العصابات في حقيقته، هو مجموعة مركّبة من التعهدّات المطلوبة من المقاتلين المسلمين، وتتمّثل هذه التعهدات فيما يلي:

- أن يكرس مقاتل الأنصار الشّيشانيين حياته لله ويحيا حياته باسم الله.
- أن يحمل على ترسيخ كلمة الله وشريعته في الدنيا.

وحرب العصابات هذه ما هي إلّا جانب مسلّح من جوانب الجهاد، وهي بطبيعة الحال مقرونة بمفاهيم أخرى، كمفهوم "إعداد القوى ورباط الخيل" وهو أمر لابّد منه والاستعداد له عندما تفرضها الظرّوف كأمر حتمي لا مفر منه، ومن المشاكل التي تصادفنا أنّ أولئك الذين يخطئون في تفسير معنى الجهاد (مجموع النخبة[47] وأئمّة المسلمين) وأولئك الذين يتعمدّون تشويه صورته (يدركون حقيقته، ولكن يرتعدون لسماعه هم اليهود والنصارى من دار الحرب)[48]، إذ يحاولون فرض تفسيرهم لمفهوم السلفية الجهادية

(45) نفس المرجع، ص68.

(46) انطلقت هذه الحملة وهذا النعت روسياً قبل واقعة 11 سبتمبر 2001 الأمريكية.

(47) الدكتور. علا عبد العزيز أبو زيد: الحركات الإسلامية في آسيا، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، 1998م، ص255.

(48) نفس المرجع، ص271.

على حساب حقيقة هذا المفهوم، وهذا حسب تصريحات أبو الوليد الغامدي خليفة خطّاب في قيادة الأنصار الشيشان.

وفي حين أنّ حرب العصابات الجهادية السلفية قد تأخذ شكل حرب دينيّة فإنّ حرب الشّيشان الجديدة هذه ليست جهادا، وواقع الأمر أنّ الحرب على تنوّع أشكالها وأساليبها، هي أمر يُدينه الإسلام كدرب من دروب الشر (فالحرب أمر مكروه ولكن لابد منه).

فحرب العصابات الشّيشانية تصبح جهادا سلفياً[49] إذا تم شنها وفقا لشريعة الله وباسمه، غير أنه ليس من الموضوعية -وهو ما يؤسفنا- أن كثيرا من المسلمين يعتقدون من منطلق جهلهم في الشعارات التي يستخدمها الغير مسلمين، وهذه الحقيقة وحدها تعتبر شاهدة على الحالة الراهنة للأمة الإسلامية.

ولقد اقتنع الشيوعيون والديمقراطيون والتحرريون ومن على شاكلتهم بأن القتال والموت من أجل مصالح الدولة، بغض النظر عن ماهية هذه المصالح، أمر لا بأس به وعمل محمود، ذلك لأنهم يطلقون على ذلك مسمى الوطنية، وقد يشمل هذا المفهوم التضحية بحياة الفرد خدمة لبعض الأسباب البغيضة، دون أي اكتراث، والوطنية كما قيل أمر محمود، وعلى الجانب الآخر ووفقا لمعتقدات نفس الشعب نجد أن القتال في سبيل الله وباسم ترسيخ حاكميته وشريعته في الأرض، والموت من أجل الخالق يحمل لديهم مثلهم مثل الرّوس، مسمى الإرهاب.

ومع ذلك يفهم المسلمون الحقيقيون المعنى الحقيقي للجهادية السلفية لحرب العصابات الشّيشانية، وعدم قابلية هذه الحرب للانفصال عن العقيدة القتالية الإسلامية، وأنها معلم من معالم الطريق القويم الذي رسمها الله لشعوب دار السّلام، ومن ثمّ فهو عنصر من عناصر الحياة الإسلامية كما يُصوّرها القرآن لسان ربّ العالمين. وبدون التنقيب عن التفاصيل الأكاديمية،

(49) الشيخ. نابغ الريان "فتاوى تجميلية لخيرة المجاهدين في الأمّة القوقازية"، المملكة العربية السعودية: دار التقوّى الرياض- بدون تاريخ، ص78.

فيمكن صياغة معنى عملي لما يعنيه لفظ الجهاد السلفي بالفعل (الجهادية السلفية) في النموذج القتالي الشّيشاني الجديد: فحرب العصابات الشّيشانية هي حرب أنصار الجهاد السلفي في شقه العسكري، ويعني الكفاح والمقاومة التي اختارها مسلمي الشّيشان والمتعاطفين من غير الشّيشان من باقي المتطوعين المنتمين لدار السلام، منخرطين فيها بتصميم والتزام: من أجل تعاليم الله، وبالطبع فإن صفات الشجاعة والالتزام مطلوبة للجهاد المسلح في الحياة القتالية للمجاهدين الشّيشان وتكون لازمة في حالة حرب العصابات، هذه الأخيرة تكون ضرورية[50] لعدم وجود خيار ونموذج قتالي آخر من أجل الدفاع عن عدالة الله في أرض الشّيشان حسب المقاتلين الشيشان أنفسهم.

وأسمى أنواع الجهاد السلفي المسلح لحرب العصابات الشّيشانية هو محاربة روسيا كدولة كافرة بالله بالنسبة إليهم، فإذا كان الغرض من حرب العصابات هو حماية مسلمي الشّيشان والقوقاز وأراضيهم والدّفاع عن مبادئ الإسلام فإنه ومع ذلك يكون من الأهمية بمكان التأكيد أن حرب العصابات لدى المجاهدين الشّيشان لا تكون غاية في حد ذاتها ولا يجوز إعلان هذه الحرب إلّا إذا لم يكن لذلك بديل، وحرب العصابات حينئذ تحمل مسمى جهاد سلفي مسلح، وهذا النوع من القتال: هو الذي فرضه الغير مسلمين على المسلمين، وفي هذه الحالة، يرى فقهاء السنة أنه "يحمّلنا الله مسؤولية الدفاع عن أنفسنا إذا لم يكفّ أعداؤنا عن مهاجمتنا". ويضيف أحمادوف عبد الرحمن، مفتي الجمهورية الإسلامية الأنجوشية، قائلا: "ويجب ألّا نتوقّع ذلك منهم، حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البَقَرَة: 217]، وبالطبع فإننا لن نغفل ذلك، ولقد أظهر تاريخ البشرية أن التحرر من الظلم والقهر مستحيل بدون الجهاد، فمن المستحيل أن تحمي دينك الحقّ والعدل والحرية دون اللجوء إلى الجهاد، وعندما يكون الجهاد هو السبيل الوحيد الباقي، فإننا نكون مطالبون بأن ننخرط في صفوف الجهاد، في صورة حرب إذا ما وقع الاعتداء على

(50) نفس المرجع، ص91.

شعبنا وأراضينا وديننا، والحرب إذا أُعلنت لأيّ سبب آخر تعتبر جريمة في نظر العالم وجريمة أمام الله، وممّا لا شكّ فيه أنّ الجهاد في صورة حرب العصابات بالنسبة للشيشان وجيرانهم من المسلمين، أصبح واجبا عليهم أمام الله، ذلك لأنّ الكافرين الرّوس هاجمونا بقصد تدميرنا والقضاء على ديننا".

وبالتالي فإنّ حرب العصابات الشّيشانية ضد حرب الجبهات الرّوسية أصبحت بالنسبة للمجاهدين الشّيشان من ثمّ فرض عين وواجب مقدّس على كل مسلم في بلاد القوقاز، وبالتأكّيد على كلّ مسلم في شيشينيا، وبالنسبة لبقية دول العالم الإسلامي، يتمثل واجبهم في هذا الشأن في المشاركة في النزاع من خلال مساندة شعب الشّيشان على الصعيدين المعنوي والمادي، وهذا الدعم يجب أن يكون تناسبيا مع قدراتهم على المستوى الفردي والوطني.

فالجهاد السلفي لدى حرب العصابات الشّيشانية، هو مفهوم ومجموعة من المبادئ القياديّة في علوم وتطبيقات العسكرية للدّين الإسلامي، ومعناها ومكانتها بالنسبة للمجاهدين الشّيشان يتم التأكيد عليها وترسيخها وفقاً لأحكام القرآن وسنة النبي، وعند القيام بهذه المهمّة القتالية أو تلك، ترسم الجمهوريات الإسلامية القوقازية لها طريقا ومسارا إسلاميا مستقلا، بعيدا عن أي مؤثرات أو تدخلات خارجية.

فالحرب التي يدخلها المجاهدون الشّيشان (حرب عصابات) هي دفاعا عن العقيدة وعن الحق للعيش في كنف شريعة الإسلام التي انزلها الله، لتكون وحدها هي الناموس الإلهي الشامّل والعادل لكافّة البشر على وجه الأرض.

ففي حالة الاستسلام والتخلّي عن العقيدة، فستكون العقوبة على ذلك عقوبة سرمدية، فضلا عن الإذعان الذي لن يكون مقابل تخلي القوات الرّوسية عن الضعّف والامتثال للقانون الإلهي، ومن ثمّ فإنّ المجاهدين في وضع لا خيار فيه ولا مفلت منه، وهذا على وجه الدقة مفهوم الجهاد السلفي المسلّح لدى المجاهدين الذين ينخرطون في صفوف الجهاد في شيشينيا.

ويعتبر مجاهدي حرب العصابات الشّيشانية أنّه من حقهم أن يسجلوا أسماءهم بكل فخر في سجل الجهاد الإسلامي، ويكفي الرجوع إلى الحروب التي اندلعت منذ سنة 1999م: للدفاع عن غروزني والتصدي للعدوان الذي شنته القوات الرّوسية في مطلع عام 2000م، واستعراض الغارة المشهورة التي شنّها فيلق بزعامة شامل باسييف، في أعماق الأقاليم الرّوسية، والمعركة التي دارت بالقرب من بودينوفسك (Bodinovsk)والمعركة من أجل قرية برفومكس (Barvomks)عقب غارة سلمان رادوبيف على كزلر (Kazler)، وأعمال الإمام خطّاب بالقرب من شيرزن أورت (Chirzen Ourt) وياريش- ماردي (Yarich - Mardy) ومقاومة باموت (Bamoute)، أولد أشوي (Aould Achauy) وياندي (Yandy) حيث ترُد كل هذه المعارك على المخاطر، وهناك غيرها الكثير، وكلّ هذه الأعمال توّجت بتحرير غروزني، وعقب تحريرها، اضطر الجيش الرّوسي البالغ تعداده نصف مليون مقاتل إلى الاستسلام، والمهم في هذا أنّ هذا الجيش استسلم أمام نموذج حرب المجاهدين الشّيشان، وهذه شهادة تؤكّد أنّ المجاهدين أظهروا صلابة وشجاعة في كافة المعارك التي خاضوها في خضم حرب العصابات التي انتهجوها، كونهم وحسب معتقدهم يقاتلون باسم الله[51].

ويُعتبر مفهوم الانتصار المحقّق شيشانياً في سياق الفوارق الغير معقولة، هو إشارة واضحة بالنسبة لأنصار الجهاد السلفي الشّيشاني أنّ: الاعتقاد في الله وعدم التخلي عن الطريق القويم، يجعل كل شيء ممكنا بما في ذلك دحر أعداء الإسلام والمسلمين مهما بلغت قوتهم، وكذا: تحلي المسلمين بروح الإسلام والثقة في فضل الله وقوته يجعلهم لا يرهبون أحدا، واستعادة الأمة الإسلامية لأمجادها السابقة أمر يمكن تحقيقه، إذا قبلت ما فرضه الله عليها، وأقررت الأمور التي في استطاعتها تحقيقها[52].

---

(51) الدكتور شوقي أبو خليل: عوامل النصر والهزيمة -عبر تاريخنا الإسلامي، سوريا: دار الفكر بدمشق، 2002م، ص53.

(52) زليم خايندربي، مرجع سابق، ص81.

فقيادة العمليات الجهادية لحرب العصابات الشّيشانية، ترى أنها تؤمِن بأنّ الله يؤيد من يتبعون طريقه القويم بالأمارات وبأسباب القوة، ومن أمثلة ذلك، أنه يتعذّر على المرء أحيانا أن يوضح كيف تسنىّ تحقيق أمر من الأمور، وإذا تأمّل فيما يحدث في كثير من الحالات، ينتهي التأمّل إلى أنّ الأفراد لم يكن لديهم وعي وإدراك بل وتحكّم فيما يصدر عنهم من أعمال، حيث كانت أعمال مجاهدي حرب عصابات الجهاد السلفي الشّيشاني: من منطلق الثقة في فطرتهم وسليقتهم.

وبالنسبة لقضية كيفية فهم مصطلح الجهاد السلّفي المسلّح كعقيدة قتالية إسلامية لحرب العصابات الشّيشانية في القوقاز وفي العالم الإسلامي، يمكن القول أنّ هذا النّمط الجهادي تمّ فهمه على أنّه جهاد كل المسلمين، وأن الجهاد في الشّيشان يُنظر إليه على أنه جزء من الجهاد الإسلامي العظيم، الذي يرجع تاريخه إلى عهد الخلفاء الراشدين، وإنّ هذا الجهاد يهدف إلى إحياء الوحدة الإسلامية، والدليل على اهتمام رجال الأنصار الشّيشانيين بالجهاد السلفي هو مشاركة العديد من المسلمين في الحرب من كافة أنحاء العالم، فلقد استشهد أكثر من مائة من المسلمين من دول مختلفة، ولا يزال رفاقهم يقاتلون بإيمان واعتقاد فيما أمرهم به الله في القرآن الكريم، ومن هؤلاء المجاهدين: حكيم اليمني وأبو طلحة المكّي وأبو مصعب الطابوقي وعبد الصبور المصري وأبو أنصور الجنوبي، وعبد الرحمن الكويتي وأبو ثابت الجيشي، وهناك غيرهم الكثير ممن جاؤوا من أكثر من مائة دولة مختلفة، للإنضمام إلى صفوف القتال.

وبالنسبة لمشاركة مسلمين آخرين من القوقاز في الحرب، فمسلمي داغستان ومعهم الكثير من المنطقة، يشاركون في الحرب بهمّة وبسالة. ففي بداية الحرب كان هناك حوالي ألف من هؤلاء المجاهدين، منهم عدد من المسلمين من الاتحاد السوفياتي سابقا، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنّ الأغلبية الساحقة من هؤلاء المقاتلين جاؤوا من داغستان وفي بداية الحرب في صف عام 1999، كان المجاهدون من غير الشّيشانيين يمثّلون 10% من القوات المقاتلة لحرب الأنصار الشّيشانية للجهاد السلفي، الأمر الذي جعل مساهمتهم في الحرب أمرا له مغزاه. وزيادة على ذلك، فإنّ تواجدهم يعتبر

مؤشرا على موقف مسلمي المنطقة إزاء الجهاد السلفي المسلح بصفة عامة، واتجاه جهاد الأنصار الشّيشان بصفة خاصّة.

فحرب أنصار الجهاد السلفي المسلح الشّيشاني مضبوطة بالأخلاق والمناهج السنيّة، وبحدود أقامها الله حتى لا يعتدوها، وهذا ما أراد شامل باسييف تكريسه، فهو يرى مثلا: "فمن الذي كان مسؤولا عن تفجير القنابل في موسكو وفولونسك، ذلك الحادث الذي أُستخدم من منطلَق الدّهاء كمبرر للغزو الرّوسي الأخير، لقد أجاب الزمن على هذا التساؤل كما يفعل دائما، ولقد كانت القوات الخاصة الرّوسية هي المسؤولة عن ذلك، بأوامر ممن كانوا يشغلون أعلى المناصب في السلطة في روسيا، ومع ذلك أقول لكم بصراحة، من منطلق مسؤوليتي، أنّ الشّيشان اليوم لهم الحق المعنوي والقانوني ليس فقط في تفجير القنابل بالمباني في روسيا بل لهم الحق في محو روسيا من على وجه الأرض هي وشعبها، وهذا الحقّ واضح وجليّ إذا استعرضنا حرب الإبادة الجماعية التي تشنّها الدولة الرّوسية ضد الشّيشان على مدى السنين.

وهذه الاعتداءات مع ضراوتها حظيت بالتأييد السلبي أو الايجابي للأغلبية الساحقة من الشعب الرّوسي، وإذا كنّا لا نلجأ إلى تفجير المباني وغيرها، فما ذلك إلا لأننا نخاف الله، ويتعيّن علينا اتباع منهجه وسبيله، وهذا يعني أنه يتعين علينا فقط تسوية حساباتنا مع الأفراد الذين شاركوا في هذه الجريمة، وهذا طريق طويل ولكنه هو الطريق القويم الذي يتعين علينا أن نسلكه بمشيئة الله حتى نهايته"[53].

وفي نفس الوقت، فإنّ أيّ روسي يستشعر الشّر في عدوان روسيا على شيشينيا يمكنه أن يلاحظ أنّ أفعال روسيا تدمرها هي في المقام الأول، وواقع الحال أن أفعال روسيا، على المدى البعيد، قد تتحول لتصبح في صالح المجاهدين الشّيشان، ولا أحد يستطيع فهم المشكلة فهما صحيحا

(53) الشيخ. أبو إسحاق الحويني: أسباب النصر والهزيمة، الجزائر: دار الفوائد للنشر، 2004 م، ص111.

ومتعمقا سوى الرّوس الذين يهمهّم خلاص روسيا، ومن منطلق هذا الفهم تأتي تصرفاتهم. وعلى النقيض من ذلك، فإن ما يلاقيه رجال أنصار السلفية الجهادية المسلحة من مصاعب وأوقات مأساوية تأخذهم إلى طريق يرون فيه أنه سيأخذهم بكل تأكيد إلى عتبة النصر، ومع ذلك لكي يتم إدراك ذلك، لابد للمرء أن يؤمن ويعتقد في الإله الواحد، فروسيا اليوم يحكمها الإلحاد، وإن الكنيسة الأرثوذوكسية الرّوسية ترى بعضا من الحق والحقيقة، لكنها خائفة من أن تفصح عن ذلك، كون آباء الكنيسة غير واثقين تماما من انتهاء عهود المخابرات، ومن ثمّ لا يزال الشك والخوف يسيطر على أفعالهم، الأمر الذي يلغي أي إمكانية لكي يكون للكنيسة الأرثوذوكسية أي تأثير على السياسة بشأن أي أمر مثل الحرب الشّيشانية الرّوسية.

فحرب الأنصار الشّيشانية، متأكدة أنهّا ليست فقط في حاجة إلى من يدافعون عن أوضاعها، وإنمّا هي في حاجة إلى أبطال يحدوهم خوف الله وتقواه ويألون على أنفسهم خدمة دينهم وأراضيهم وشعوبهم، ويدخل ضمن هؤلاء الأبطال: الرّوس[54] ممن يخافون الله حق تقواه.

ومن المفاهيم الأساسية التي صاحبت ما سطّر مجاهدوا الأنصار الشّيشان له من مواقف دينية وتكتيكية والتي أرعبت القوات المسلحة الرّوسية، هي العمليات الاستشهادية، والتي شنّها كل من حواء برايييف، وعبد الرحمن الشّيشاني والقاضي ومولاي، وخاتم وشقيقه علي، وعبد الملك، وغيرهم.

وقبل الخوض في المفاهيم، يجدر التنبيه لمسألة هامّة، هي أنّ مسألة مفاهيم حرب أنصار الجهاد السلفي الشّيشاني، فيها التفصيل. والتفصيل يُبنى على حال العدوّ ووضع الحرب وحال الشخص وملابسات المفاهيم، فلا يحُكم على المفاهيم الآتية وغيرها إلا بعد معرفة الواقع، والحُكم على الشيء فرع عن تصوره، علما أن هذه المفاهيم ذات الأحكام الجهادية، كلها متعلقة بتكتيك وعلم الواقع القتالي، فالجهاد فقهه يُبنى على واقعه بقدر أكبر

(54) نفس المرجع، ص134.

بكثير من بقية مسائل الفقه. فمَن أراد أن يحكم على قضايا معيّنة في الجهاد السلفي لحرب الأنصار الشّيشانية، فليسأل أهل الجهاد الحقيقيين عن حقيقة واقعهم. فواقع الجهاد السلفي المسلح يؤخذ من المجاهدين الشّيشان وليس من الرّوس.

1- العمليات الاستشهادية:

فالعمليات الاستشهادية أو العمليات الفدائية هي نوع من العمليات التي يقوم بها فرد أو أفراد ضد عدو أكثر منهم عدداً وعُدة، علما أنهم أقدموا على العمليات مع علمهم المسبق أن مصيرهم واحد وهو الموت، وهذا ما تيقنوه أو هو أغلب ظنهم[55].

وفي حرب الأنصار الشّيشان، فالمجاهد المسلح يقتحم ثكنات الجنود الرّوس أو مناطق تجميعية ويطلق النار عليهم عن قرب، علما أنه دخل مسبقا في هذه العملية، ولم يفكر أصلاً في الخروج ولم يُعِّد خطة للرجوع. فهدفه واحد: هو أن يقتل أكبر عدد من أفراد القوات الرّوسية ويموت يقينا. هذا هو أسلوب العمليات الاستشهادية الذي يُستخدم في الجهاد الشّيشاني.

وما أقدم المجاهد الشّيشاني (الاستشهادي) على هذا إلا لقوّة إيمانه ويقينه، ولنُصرة دين الله وفداءً منه بنفسه لإعلاء كلمة الله، وهذا طبعاً حسب عقيدة المقاتلين أنفسهم.

وأثر هذا المفهوم على القوات الرّوسية عظيم، بل لا يوجد نوع من العمليات أعظم في قلوبهم رعباً من هذا النوع، وبأسبابها تجنّبوا مخالطة السكان الشّيشان واستضعافهم وسلبهم وانتهاك أعراضهم خشية هذه العمليات، بل إنّ نشاط قواتهم اقتصر على محاولة اكتشاف مثل هذا النوع من العمليات قبل وقوعه، فاشتغلوا بذلك.

فخسائر الرّوس بشرياً هي أكثر من 1600 جندي ما بين قتيل وجريح،

---

(55) الشيخ. اليازجي درّ الإسلام: فصل في أقوال العلماء فيمن هجم على العدوّ وحده بإذنٍ من الله، الكويت: مطبعة اليقين، 2002م، ص236.

جرّاء هذه العمليات، ودمار كامل لأهم مباني تمركز القوات الرّوسية في الشّيشان، ودمار للمعدات والأسلحة والذخائر والآليات المُرابطة في المباني.

وللعمليات الاستشهادية سنَد شرعي، ومن جمله هذه الأسانيد، مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

هذه الآلية هي أصل عقد البيع والشروط بين المجاهد وربِّه، فكلّ حال أدّى فيها المجاهد الثمن ليقبض المثمن فهي جائزة حتى يدُل دليل على منعها خاصّة[56].

ومعنى يشري: أي يبيع، وفي تفسير الصحابة لهذه الآية، دلالة على أنّ من باع نفسه لله، لا يُسمّى مُنتحرا حتى ولو انغمس في ألفٍ من رجال العدو وحوصر وقُتل.

2 - التّترس: (التستر وراء رهائن)

فمسألة التترس التي أجازها العلماء، هي مسألة شبيهة بمسألة العمليات الاستشهادية، إلّا أنّ بينهما فارقا سنبينه فيما بعد، لأنّ من أجاز قتل المسلمين المُترّس بهم، لا شك أنه يجيز قتل النفس بالعمليات الاستشهادية، إذا كان في ذلك مصلحة للدين.

فقد جاء في مختار الصحاح 63، قال: التترس هو التستر بالتُرس. وفي المصباح المنير 43[57]، قال: "التُرس معروف. تترس بالشيء جعله كالتُرس، وتسترّ به".

(56) نفس المرجع، ص231.

(57) الشيخ اليازجي درّ الإسلام، مرجع سابق، ص366.

والمراد بالتُّرس هو أن تتّخذ القوات الرّوسية طائفة من المسلمين الشّيشان بمثابة التُرس يحمون بواسطتهم أنفسهم، كونهم يدركون أنّ خصومهم من المجاهدين الشّيشان بسبب محافظتهم على أرواح هذه الطائفة المترس بها، لن يُقدِموا على ضربهم أو الهجوم عليهم.

وبالنسبة لامتناع رجال الأنصار الشّيشانيين عن قتل من تُترِّس بهم، فإنه لا يلزم أن يكون الدّرع البشري أو رهائن الحرب المُتَترس بهم من المسلمين فقط، بل إن القوات الإسلامية لأنصار الجهاد السلفي المسلح بالشّيشان، مأمورة بتفادي قتل معصومي الدم حتى من الرّوس أمثال: النّساء والصبيان والشيوخ، فالإسلام يأمرهم بالكفّ عنهم، إلا إذا حدث من الكفّ ضرر على المسلمين، فالمصلحة تبيحه.

ولو كان المترس بهم من المسلمين، فلا يجوز رميهم بحال، إلّا إذا أفضى الامتناع إلى تحرر عموم المسلمين والمجاهدين بترك قتال الكفار، حتى لو أزهقت أرواح المسلمين فالمسلم مأجور على فعله والمقتول يبعثه الله على نيّته.

قال الشوكاني في فتح القدير 5/ 447 والدسوقي 2/ 178 وصاحب مُغْني المحتاج 4/ 244 وابن قدامة في المُغْني 10/ 505، كل هؤلاء نقلوا عن الجمهور قولهم بوجوب قتال العدوّ إذا دعت الضرورة إلى ذلك، حتى لو أدى ذلك إلى هلاك الدرع الذي يحتمي به العدو، وذكر صاحب مُغْني المحتاج لذلك شرطين:

1 - أن يتحاشى المجاهدون ضرب الدرع ما أمكنهم، إلّا إذا حدث هذا الضرب بحكم الخطأ أو بحكم الاضطرار(58).

2 - عدم وجود قصد قلبي لضرب أفراد هذا الدّرع، وإن وُجد القصد الحسي اضطرارا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 10/ 376: «لو تَترس

(58) الشيخ صالح ابن عبد العزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2001، ص225.

الكفار بمسلمين ولم يندفع ضرر الكفار إلا بقتالهم، فالعقوبات المشروعة والمقدورة قد تتناول في الدنيا من لا يستحقها في الآخرة، وتكون في حقّه من جملة المصائب، كما قيل في بعضهم القاتل مجاهد والمقتول شهيد»[59].

3 - الشّهيد:

ذكر ابن حجر في الفتح 6/ 43 أربعة عشر وجها لسبب تسمية الشهيد بذلك، ثمّ قال: «وبعض هذا يختص بمن قُتل في سبيل الله، وبعضها قد يُنازع فيه».

وعند النووي في المجموع 1/ 277 وشرح مسلم 1/ 515 سبعة أوجه فقال: هي[60]:

1 - لأن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم شَهدا له بالجنة.
2 - لأنه حي عند ربّه.
3 - لأن ملائكة الرحمة تشهده فتقبض روحه.
4 - لأنه ممن يشهد يوم القيامة على الأمم.
5 - لأنه شُهدَ له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله.
6 - لأن له شاهدا بقتله وهو دمه.
7 - لأنّ روحه تشهد دار السلام - أي الجنّة - وروح غيره لا تشهدها إلّا يوم القيامة.

فعند المالكية :قال الدردير في الشّرح الكبير 1/ 425 هو: من قُتل في قتال الحربيين فقط، ولو قُتل ببلد الإسلام بأن غزا الحربيون المسلمون، أو لم يقاتِل بأن كان غافلا أو نائما، أو قتله مسلم يظنه كافرا، أوداسته الخيل، أو رجع عليه سيفه أو سهمه، أو سقط في بئر أو سقط من شاهقٍ حال القتال.

---

(59) نفس المرجع، ص368.

(60) نفس المرجع، ص351.

عند الشافعية : قال ابن حجر في الفتح 6/ 129 هو: من قُتلَ في حرب الكفّار مقبلا غير مدبر، مخلصا[61].

وروى أبو داود في سننه حديث 2539[62] عن أبي سلام، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أغرنا على حي من جهينة، فطلب رجل من المسلمين رجلا منهم فأخطأه، وأصاب نفسه بالسيّف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخوكم يا معشر المسلمين) فابتدره الناس فوجدوه قد مات، فلفّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثيابه ودمائه وصلّى عليه ودفنه، فقالوا يا رسول الله، أشهيد هو؟ قال (نعم وأنا عليه شهيد).

وبهذا يتبيّن أنّه ليس شرطا أن يُقتل المجاهد بسلاح العدو حتّى يُقال عنه شهيد، إنما الشهيد من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حسب عقيدة مقاتلي عصابات الشّيشان، وقُتل في أرض المعركة بأية طريقة كانت، فإنه ينطبق عليه وصف الشهيد.

وبناءا على المفاهيم الثلاثة - السابق ذكرها -، إنّه شرعا من الأفضل ألّا تُفعل هذه العمليات والسلّوك القتالي الإسلامي حتىّ يحقّق المجاهد الشّيشاني بها عِدة أمور:

أولاً: الإخلاص وابتغاء وجه الله، وقصد إعلاء كلمة الله والقيام بواجب الجهاد والرغبة في الشهادة، وشرط الإخلاص هو الوحيد من الشروط الذي يعتبر شرط صحة، فمتى انتفى فالعمل باطل.

ثانيا: أن يغلب على ظن المجاهد الشّيشاني أنّ القتل الذي سيُحْدثه في الأعداء أو الدمار، لا يمكن تحقيقه بأية طريقة أخرى تضمن له سلامته أو غلبة الظن بالسلامة.

ثالثاً: أن يغلب على ظن مجاهدي أنصار الجهاد السلفي الشّيشاني

---

(61) نفس المرجع السابق، ص412.

(62) الإمام المحدث الفقيه محمد عبد الحي الكنوني الهندي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة، 1998، ص551.

المسلح، أنّ العملية ستُحْدث نِكاية بالعدو، أو رعباً أو تجرئة للمسلمين على الأعداء.

رابعاً: لابد للمجاهد الشّيشاني من استشارة أهل الرأي والمعرفة بالحرب، وخاصة إمام حرب العصابات القائد خطّاب في مكانه.

خامساً: لا يُقدِم على مثل هذه العمليّات إلّا في ظروف الحرب، لأنه لا يصار إليها، إلّا لتحقيق مصالح للمجاهدين (المقاتلين) الشّيشان، ولدفع الجيش الرّوسي (العدو) وإذا لم تعلن حرب العصابات شيشانياً، فإنّ ضررها على المسلمين بالقوقاز أعظم من نفعها فيجب تركها.

4 - المجاهدون العرب الأفغان:

وهو مفهوم انطلق مع انتهاء الحرب الأفغانية 1992م، حيث كان على المتطوعين العرب الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني ضدّ الرّوس، والذين قدّرت بعض المصادر أعدادهم بحوالي ستة آلاف متطوع - ليسوا كلّهم ممن تحوّلوا فيما بعد أفغانا عربا بالطبع -، حيث حاولوا أن يبحثوا عن مساحات أخرى غير أفغانستان، لتصريف الرصيد المعنوي والديني، ولتوظيف الطاقات والخبرات الجهادية والقتالية فيها، ليتسنىّ لهم ذلك في الشّيشان.

ويُقصد بالعرب الأفغان[63]: «مجموعات من المجاهدين العرب من غير الأفغان الذين شاركوا في الجهاد ضد السوفييت والحكم الشيوعي في كابول، والذين اتجهوا لمقاتلة حكومات بلادهم (بحكم كُفر الرِّدة) أو حكومات دول أجنبية، بعد أن انتهت مبررات الجهاد الأفغاني». ويمكن تسميتهم" بمجاهدين بلا حدود" أو "مقاتلين عبر الدول" أو "المقاتلين المتعددي الجنسيات". وهم من الظواهر التي برزت أثناء حرب العصابات الشّيشانية، وكانوا أحد المتغيرات المهمة التي ساعدت على انهيار المذهب الحربي الرّوسي، وتطوّرت في إطار المتغيرات المتعلّقة بما يُطلق عليه

(63) اللواء الركن. زكرياء سماحي: المصير المجهول لكتائب العرب الأفغان- بين الإبادة والأممية، طبعة نادرة، مصر: مكتبة الأكاديمية الحربية بالقاهرة، 2003، ص428.

بظاهرة العولمة، ولذلك فلم يُقيموا اعتباراً يُذكر لظاهرة السيادة المرتبطة بفكرة الدولة القومية، ومن ثمّ لا يعتبرون الحدود السياسية بين بلدان العالم الإسلامي أو حتى على المستوى العالمي حائلا عن نُصرة القضايا العادلة من وجهة نظرهم، ومن ثمّ يتوجّهون لنُصرة إخوانهم المسلمين عامة، ويتوجهون لمحاربة مايرونه قوى الظلم والشر على المستوى العالمي.

فالأفغان العرب المتطوعون في حرب العصابات الشّيشانية هم بالأساس: خلاصة ما تبقّى من المجاهدين الأفغان، الذين احتضنتهم معسكرات بيشاور وجلال آباد وقندهار ومعسكرات الحدود الباكستانية-الأفغانية ما بين عامي 1979-1992م، ووفقا لما يذهب إليه البعض، فإنّ العرب الأفغان -رغم اختلاف جنسياتهم- يشكّلون نوعاً من التنسيق فيما بينهم، يصل إلى ما يمكن تسميته "بالدولية الأممية" أو "الجيش الأممي" وبالتالي أصبح لهم وجود مستقل عن دولهم، الأمر الذي يمكن معه إدراجهم في دائرة الفواعل أو القوى فوق أو عبر القومية (Trans-National Actors) في إطار العلاقات والتفاعلات الدولية والتي تملك إلى حد ما نوعاً من التأثير على هذا المستوى حسب التحديد العلمي لمفهوم القوى الشعبية الفاعلة على المستوى الدولي.

وتأسيسا على ما سبق، يمكننا أن نحدّد مفهوماً لظاهرة العرب الأفغان بالشّيشان وفق المؤشّرات التالية:

1 - الأفغان العرب الشّيشان ليسوا من المواطنين الأفغان، بل من الشباب العربي والمسلم الذي التحق بالمجاهدين الأفغان، وبعد عودتهم إلى بلادهم- أو بلاد أخرى- اتجهّوا إلى ممارسة أعمال العنف السياسي والقتال، مستفيدين من خبرتهم ومهاراتهم العسكرية التي اكتسبوها أثناء الحرب وبعدها في أفغانستان ثم بالشّيشان، وبالتالي لا مجال للخلط بينهم وبين حركة طالبان أو أية مجموعة من مجموعات الأفغان.

2 - ينتمي معظم الأفغان العرب بشيشينيا إلى أجيال شابة، أي من فئة عمرية غالبا ما تتراوح بين 20-35 عاما، وهذا يعني أنهم ذهبوا إلى أفغانستان

ربما كانت أعمارهم تتراوح بين 15-20 عاما، وهي مرحلة تكوين فكري، حيث عاشوا سنوات عدة في المعسكرات الأفغانية في الثمانينات ومطلع التسعينات، وتدربوا على الأسلحة الخفيفة والثقيلة، إلى جانب الخبرات العملية المتنوعة، إضافة إلى تلقّيهم دروسا مكثّفة عن الأفكار التي تركز على استخدام القوة لإحداث التغيير المطلوب، وهذه إحدى الاستراتيجيات التي تستند إليها فلسفة الجماعات الإسلامية العنيفة. ويرى بعض علماء النفس أن هؤلاء الشباب عندما يُقدمون على تنفيذ عملياتهم بالشّيشان، لا يراودهم أدنى شك في أخلاقية عملهم، وأنّه مُبرّر دينياً بسبب التلقين الفكري والمذهبي الذي تعرّضوا له في السن المبكرة في معسكرات التدريب الأفغانية وسط أجواء الحرب، فقد تشكّلت عقولهم ووُجهت سلوكياتهم بناءاً على هذه العمليات التيّ قام بها خاصّة قادة الفكر السلفي الجهادي وبعض قادة حركتي الجهاد والجماعة الإسلامية المصرية.

3 - تأسست مفاهيم البنية التنظيمية المنتجة لظاهرة العرب الأفغان على جانبين:

- الأول: الجانب الإغاثي، فالمتطوعون العرب في حرب العصابات الشّيشانية، يدخلون في إطار الإغاثة "الإسلامية"، فهم المشكّلون للقطاع الأكبر، وقدّموا العون للّاجئين الشّيشان المقيمين على الحدود الشّيشانية- الداغستانية أو داخل الشّيشان ذاتها ويُقدِّر البعض عددهم في بداية النصف الثاني من التسعينات بـ11 ألف(64) متطوع من الأطباء والمهندسين والمدرّسين والطلبة وغيرهم.

- الثاني: الجانب القتالي تمثله مجموعات المتطوعين المقاتلين الذين دعّموا الفصائل الأفغانية والذين جاءوا من معظم البلاد العربية، إضافة إلى متطوعين من أقليات إسلامية في بلدان أوروبية وآسيوية، وقد تلقّوا تدريبهم على أيدي عناصر تنتمي إلى الجماعات العنيفة في

(64) Michel Bonner: *Aristocratic Violence and Holy war: studies in the jihad and the Arab Byzantine frontier*, New-heaven, 1999, p48.

بلدانها، وطبقا لأحد التقديرات حول أعدادهم فإنها قد تصل إلى نحو[65] 5 آلاف شخص.

4 - تلقّت عناصر العرب الأفغان المقاتلة بالشّيشان، ثلاثة أنواع من الإعداد خلال سنوات الحرب الأفغانية وما تلاها، تتمثل في إعداد عسكري، واستخباراتي وديني، فعلى صعيد الإعداد العسكري، تلقوا تدريبات تتّصل بخوض حرب الاستنزاف، وما يتطلبه ذلك على مستوى العمليات العسكرية من القدرة على القيام بأعمال تكاد تُشابه حرب العصابات، والمدن، والتفجيرات بمختلف مستوياتها، والقنص والإغتيال، وغير ذلك. أما الإعداد الاستخباراتي فيتّصل باستكمال الجوانب السابقة من الاستطلاع ورصد ومراقبة واتصال وتبادل المعلومات وتلقّي التكليفات. أما الإعداد الفكري والعقائدي فيُرّكز على التلقين الديني، وتوصيل مفاهيم ومضامين معيّنة، تتعلق بالتعامل مع القوات الرّوسية وحكومتها (الرّوسية والشّيشانية الموالية لروسيا)، والمجتمعات (الرّوسية والشّيشانية) والقِوى السياسية والدينية المختلفة بشيشينيا خاصّة، وبالقوقاز على وجه العموم.

5 - لا يدخل في نطاق مفهوم ظاهرة الأفغان العرب بشيشينيا، كل من شارك في الجهاد الأفغاني من "المجاهدين العرب" فكثير من المجاهدين العرب المشاركين في القتال ضد السوفييت عادوا إلى بلادهم، واندمج بعضهم في الحياة السياسية العامة، وقد نجحت حكومات عربية عدة مثل: اليمن، الأردن، ودول خليجية في استيعاب معظم أفرادها الذين شاركوا في الجهاد.

6 - يدخل ضمن الأفغان العرب بالشّيشان، قادة الحركات الإسلامية العنيفة الذين مكثوا في أفغانستان لفترات ممتدّة، والكثير من المتطوّعين العرب، حتى وإن لم يشاركوا في القتال، فالذي يجمعهم مع وجودهم في الشّيشان تقارب رؤاهم الفكرية والحركية ودعوتهم لاستخدام العنف

(65) Ibid., p150.

لطرد الغزاة (روسيا)، ولمحاربة قوى الكفر العالمي وِفق تصورهم، حتى وإن لم يمارسوا أنفسهم القتال.

ويرى البعض أنه لا ينبغي المبالغة في حجمهم، إذ يُعتقد أنّ نِسبة الجماعات الجهادية المشاركة في جهاد الأنصار الشّيشاني من العرب الذين توجهوا إلى شيشينيا ضئيلة من حيث العدد، وإن كانت عالية المهارة من الناحية النوعية، وإنّ البعض الآخر يُشير إلى النجاح الواسع الذي تلقّته هذه الظاهرة الآخذة في الانتشار، والتعمّق الأفقي والرّأسي، أي من حيث الكمية والعدد أو من حيث النوعية والكفاءة والعدّة.

5 - الإمامة العسكرية المقاتِلة (المجاهدة):

القيادة الدينية للشؤون العسكرية أمر قديم، منذ غزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبالإقليم منذ الإمام شامل، ولكن إمامة حرب العصابات أمر فريد من نوعه، أوّل ما ظهرت مع الإمام والقائد العسكري خطّاب، الجامع بين صفات العالِم العامِل والمجاهِد القائد، مُدخلاً أسلوب القتال العشوائي ومنطلقا من عاطفة موزونة. فالإمامة المقاتلة لحرب العصابات الشّيشانية كمفهوم، تنطلق من ثوابت واضحة وأكيدة مستمدّة من كتاب الله وسنّة النبي عليه الصلاة والسلام، وفيما يلي نذكر أهم الثوابت النظرية لمفهوم الإمامة العسكرية المجاهدة. وكان لخطّاب -رحمه الله- ثلاث نظريات(66) تتعلق بالإمامة العسكرية المجاهِدة، وهي:

- النظرية الأولى: "التربية"

وعلى هذا الأساس كُلّما أتى بلداً من البلدان وأراد أن يفتح باب الجهاد فيها، قام بأخذ مجموعة من شبابها، ثم اعتنى بهم ووضعهم في محاضن دعوية حتى يكونوا هم أساس الدعوة والجهاد في ذلك البلد، وفي الشّيشان أنشأ معهد القوقاز الديني لتخريج الدّعاة، وأوّل مجموعة اعتنى بها

(66) اللجنة العسكرية لتنظيم القاعدة بجزيرة العرب: مُعسكر البتّار، العدد الرابع عشر، شهر جمادى الأولى 1425 هـ 2005 م، ص27.

في الشّيشان كانت تضم 90 شخصا، ثم صفّاها حتىّ وصل عددها إلى 60 شخص، وهم الآن أصل الجهاد في تلك البلاد، وكان يحُث جنوده على أن تتطابق أفعالهم مع أقوالهم، حيث كان كثيرا ما يخاطب أصحابه من العرب قائلا: "إنّ هؤلاء لا يعرفون لغتّكم، ولا ينبغي أن يكون هذا حاجزا بينكم وبينهم بل أروهم صِدق أفعالِكم".

- النظرية الثانية: "التّجهيز"

وقد بلغ به الأمر أنّه كان يجهّز عتادَ السّنة ونحوهَا قبلهَا، وكان يقول أيام حربه في طاجكستان "لا تكونوا مثل إخوةٍ لكم يأتون لينصروا أُناساً، فإذا هم يطلبون من ينصرهم، لا مال معهم ولا سلاح ولا طعام".

فالإمامة القتالية لخطّاب وأبو الوليد الغامدي كانت تُعجز من حولها سواء من القيادات الحربية الشّيشانية أو الرّوسية بدقة الترتيبات، حتى كان مدرسة في التنظيم والترتيب منذ قتاله بأفغانستان، وقبلها أيضا، وإعداد العدّة السلفية الجهادية المسلحة لدى خطّاب تدخل في نطاق الاستعداد العسكري الذي يشمل:

الطعام والسكن والطريق والاستخبارات حول العدو، بحيث يحصل التكامل في تجهيزه واستعداده.

- النظرية الثالثة: "القتال"[67]

فلقد دعا خبراء الرّوس العسكريون وطالب بعضهم أن تُدرَس أفكاره وكذا مفاهيمه العسكرية في جامعاتهم وهو سبب انكشاف جمهورية الشّيشان الصغيرة تكنولوجيا وعسكريا، ومع ذلك فقد نجح في مهمّتين، كلٌ منهما يُعتبر انجازاً في حدّ ذاته:

- حيث استطاع التّخفي بجنوده والحفاظ عليهم.
- واستطاع أيضا دحر القوات الرّوسية وإيقاع الخسائر فيها.

---

(67) اللجنة العسكرية لتنظيم القاعدة بجزيرة العرب، نفس المرجع، ص27.

فالإمامة المقاتلة المجسّدة شيشانياً في القائد خطّاب، ترى أنّ مِن عوامل النصر والتمكين في المعارك هي:

- الإيمان والتوكّل على الله وحده أولاً، يفتح أبواب النصر.
- الأنفال (الغنائم) التي تُغتنم من القوات الرّوسية، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (...وجعل رزقي تحت ظل رمحي...) (حديث رواه الإمام أحمد، وهو صحيح).

6 - مفهوم العاصمة الطُّعم:

حيث ترى الإمامة القتالية لخطّاب أنّ سقوط العاصمة الشّيشانية "غروزني" لا يُشكّل هزيمة للمجاهدين ولا يُشكّل كذلك انتصارا للقوات الرّوسية، بل سقوط المدينة في أيديهم يُشكّل عبئاً تكتيكيا ونفسانيا عليهم، فهم سيحوّلون تكتيكاتهم من الهجوم إلى الدفاع قصد المحافظة على العاصمة، ومن ثمّ تكون غروزني نقطة احتشاد كبرى للقوات الرّوسية، لتكون أغلبية الضربات الهجومية للمجاهدين في اتجاه مَعاقل الجيش الرّوسي بغروزني أو حولها.

وتتَولى الإمامة المقاتِلة شؤون إعداد "الطليعة المجاهدة" أو الكادر القتالي ذي المهارات العالية، واستخدام "الجهاد الطلائعي" المدرَّب، وإعادة زرعه داخل الدولة المستهدَفة، سواءً لتولّي قيادة دينية لبعض العمليات أو المشاركة فيها مع عناصر أخرى بما لديها من خَبرات واسعة.

ومُقوّمات النّصر لدى الإمامة العسكرية الشّيشانية هي(68):

1 - القائد القدوة.

2 - العقيدة الإيمانية الصّادقة .

3 - معرفة العدوّ .

(68) أبو سعيد الدارمي: تاج الوقار لخيرة الأبرار لمعسكر الأحرار، المجلّد السابع، المملكة العربية السعودية: الرياض، مطبعة التقوى والكرامات، 2003م، ص673.

4 - الانضباط وأدب الحرب.

5 - العلم كسلاح والمعرفة كرأس مال.

6 - الإعداد الكامل والتّدريب الواقعي المستمر.

7 - تضامن المجاهدين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4].

8 - الإستناد إلى دروس "معركة أُحد"، والاستفادة من دورس تنظيم القتال الإسلامي، المتمثّلة في:

أ - تقوية المعنويات بمحاربة عوامل الضعف ونزعات الخوف، وغرس الشجاعة والتضحية والاستهانة بزُخرف الحياة في سبيل الحق ونُصرته.

ب - إعداد القوة المادية: القوة تتناول العدد والعدّة والحشد وإعداد آلات الحرب ووسائل القتال ومواد التموين وكل النواحي الإدارية والفنية.

أمّا الرِّباط فهو تحصين الحدود والثغور والأماكن الضعيفة أمام العدو، وتهيئة القوة الكامنة فيها لحمايتها.

9 - التمسك بقيم مدرسة الرسول-صلى الله عليه وسلم-الجهادية وعوامل الغَلبة فيها، وقيَم الشّهادة، تطبيقا لكلمة سيف الله المسلول، خالد بن الوليد القائل لجيوش الكفرة والمشركين: "إنّي والله قد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة".

10 -الصبر، لقد إهتّم خطّاب كقائد بالتدريب والجاهزية النفسية للقتال وأوْلاهما عناية خاصة، فلقد قال الرسول "يوم بدر": **(والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا محسنا مقبلا غير مدبر، إلاّ أدخله الله الجنّة)** صدق رسول الله.

واهتمّت الإمامة العسكرية لخطّاب، بناءا على ما سبق ذكره، بتكوين مدرسة قتالية على منهج مدرسة الرسول القتالية والتّحريض على القتال لرفع المعنويات وإذكاء شُعَل الحماس في النفوس والرّغبة العارمة في لقاء العدو

وقهره مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: 65].

7 - الدّفاع المتمركز:

وهو كل ما يتعلّق بتحصين الحدود والثغور ووضع المقاتلين الشّيشانيّين الأكثر شجاعة، من ذوي الدّين المتين والثقافة الحربية الممتازة لحراستها، وهي مستوحاة من استراتيجية "رباط الخيل" الإسلامية، والمرابطون فيها لهم أجر عظيم، فعن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: (**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها...**) [رواه البخاري]. وكان الخطّاب أو شامل باسييف دائمَا الاتّصال بهؤلاء المقاتلين الشيشان المغاوير، ليتعرّفا منهم على أخبار القوّات الرّوسية لقربهم منها.

8 - الثّبات عند القتال:

معناه، مجموع الأوامر القتالية المتضمّنة لكل ما يتعلق بعدم تولية رجال العصابات الشيشانية لظهورهم أمام القوات الرّوسية، إلّا للاستعداد للقتال في مكان آخر أو للمناورة، تحت نهج إسلامي رباني مصداقا لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: 173].

9 - الانسحاب الهجومي:

ومعناه الهجوم الغير مباشر على القوات الرّوسية (العدوّ) من اتجاهات خلفية غير متوقّعة، كالإنسحاب في اتجاهات عديدة والقيام بتغييرها، بحيث يصرِف المجاهدون تفكير القوات الرّوسية عن أهدافهم الحقيقية، مما يزعزع ترتيب القوات الرّوسية الدفاعي، ويُثير تساؤلاتهم حول أهداف الهجوم، مثلاً، هل هو غروزني أم المدن المحيطة بها؟

ويتضمّن هذا المفهوم الاستراتيجية التي تستهدف الإنهاك واستنزاف العدو، مع قتله.

10 - الضّربات المفاجئة:

وهدفها الطبيعي هو ضرب خطوط تموين القوات الرّوسية، لا قتلها، وعرقلة قلاعها، لا جيشها، ويُعبّر قادة العصابات الشّيشانية عن هذا المفهوم، مثلما عبّر عنه (الكومت دوريري) في كتابه (اتفاقية في فن الحرب) (A Treatease on the Art of War): "إنّنا نخوض الحرب كالثعالب لا كالأسود ونقوم بعشرين حصار وضربات اصطدامية من أجل معركة واحدة"[69].

ويُعتبر فِعل الصّدمة للضربات هو المفهوم المرتبط بالضربات المفاجئة، فعندما تحين فرصة سحق الخصم الرّوسي، لابد من مهاجمة شيشانية، والاستفادة من الخطوات الخاطئة التي قد يرتكبها.

11 - كتائب الموت[70]:

وهي مجموعة من وحدات المجاهدين الشّيشان تعمل من أجل الاقتحام الدمويّ على الرّوس، حيث لا تُرجى معه النجاة، ويُعد هذا كأعظم سبب يَدلي به المجاهدون بأنفسهم إلى الأعداء الرّوس لقتل أنفسهم، وتعتبر هذه الوحدات أنها مسخرة للقتل، بمعنى أنّه أية عملية يقومون بها هي من أجل الموت (الإماتة) مصداقا للحديث النبوي: (اعملوا فكل ميَسّر لما خُلِق له) - صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

وكتائب الموت هي أكثر الأساليب إقصاءً للعدوّ من العمليّات الهجومية الخاصّة، تحُشد لها الطاقات والإمكانيات المعنوية خاصّة، ثُم ينفّذ الاقتحام، وفيها كسر لقلوب القوات الرّوسية، وإرعابا لهم وتدميرا لمعنوياتهم وإحباطا على المستوى الإعداد النفسي لهم، حيث كانوا أكثر عصبية وأشد[71].

---

(69) Price, Edward: *The Strategy and Tactics of Revolutionary Terrorism: Contemporary Studies in Society and History*, London: Constable, 2001, p67.

(70) اللّواء الركّن. عبد السلام.ف: فيالق الشهادة، القاهرة -مصر: مطبعة الأكاديمية، 2002م، ص213.

(71) نفس المرجع، ص177.

فلقد خصّص الإمام الغزالي الجزء الأكبر من كتابه "إحياء علوم الدين" للحديث عن التربية النفسية وأهميتها في سيطرة الإنسان على حواسه، عن طريق التخلّق بأخلاق الفضيلة والتحلي بخصال الاستقامة، وهذا الأثر التربوي ينعكس على أسلوب تعامل أهل حرب العصابات الشّيشانية في ظهورها تحت إمامة وقيادة شامل باسييف والخطّاب، حيث تبرز خصائص جديدة في أسلوب التعامل مع الحرب، تتمثل فيما يلي:

1 - أن يكون الهدف الأسمى للمقاتلين الشّيشان في سعيهم وجُهدِهم وتضحيتهم وحربهم: نُصرة دين الله، وتقوية الحق ودعمه، والانتِصار للفضيلة، لكي تكون كلمة الله هي العليا، وهذا الهدف الكبير يصبح الغاية القُصوى التي ينطلق أفراد العصابات الشّيشانية لتحقيقها، باذلين كل جهدٍ، مُضحّين كل غالٍ، مستميتين في سبيل تلك الغاية.

2 - أن يكون الإخلاص في العمل والتضحية من أهم مُبرّرات قبوله عند الله تعالى، لأنّ العمل الذي يُنتقص منه لصفة الإخلاص يُعتبر باطلاً، لا يؤدي الغرض منه، ولا يُثاب الإنسان عليه.

وفي ظل هذه الخصائص التي تُعد كمكوِّنات هامّة للعقيدة القتالية لدى حرب العصابات الشّيشانية لا يمكن تصوُّر خِصال التنافس البغيض أو التحاسد المُقيت، التي تنمو- غالبا- في ظل انعدام الغايات المُثلى لذلك الجهد والتضحية، مثلما هو شأن المقاتلين الفدراليين الرّوس، فالعصابات الشّيشانية هي قوة مُدافعة ومُغالبة ومُطالبة، وهذه العوامل تنمّي رغبات الجماعة المقاتلة وتطلعاتها إلى المجد والرياسة، فابن خلدون يقول "لأنّ التغلّب يمنح للنفس البشرية شعور بالثقة والاعتزاز والتميّز والتفوّق، وهذه المشاعر تقلّص قِوى النفس الروحية، وتُنمي لديها مشاعر المنافسة والتطلع إلى الرياسة، مما يجعل تلك المطامح متزاحمة على أهداف واحدة وتبرز في هذه الحالة مشاعر التحاسد، وبخاصة في ظل تغلُّب الأقوياء على الضعفاء"[72].

(72) الدكتور. محمد فاروق النبهان: الفكر الخلدوني-من خلال المقدمة-الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ-1998م، ص98.

3 - الانتماء الحضاري والديني للمنطقة، كعنصرين لا يمكن للمقاتل الشّيشاني تجاهلهما بحكم انتمائه لنفس المنطقة والتاريخ، ولو أنّ العرب الأفغان هم حديثي الحضور بالمنطقة، غير أنّ وجودَهم يُعتبر هاماً لإضفاء مستوى آخر على القتال الشّيشاني تحت وعاء جهادية معادية لكل وجود مادي ومعنوي لِما هو روسي دخيل.

4 - طبيعة القيادة العملياتية القتالية الشّيشانية، فبعدما كانت تستند إلى الخبرة السياسية والإدارة القتالية العسكرية الشّيشانية سواء تحت قيادة الرئيس جوهر دوداييف(73) أو أصلان مسخادوف، تحوّلت القيادة فعلياً وميدانيا إلى إمامة وقيادة عملياتية عسكرية سواءً تحت لواء أبو الوليد أو عبد الرحمن خطّاب بالتنسيق مع رئيس مجلس الشورى العسكري القائد شامل باسييف.

وتحويل إدارة العمليات العسكرية إلى قادة ينتمون لتيار الدّعوة، وهو مُحصلة نظريات ووعاء مبدئي للجاهزية القتالية الشّيشانية، المكوِّنة لما يُسمى بالعقيدة القتالية لدَى مقاتلي حرب العصابات الشّيشانية، وهو ما سنحاول التّطرق إليه في المبحث المقبل.

وعليه فمِن مُنطلق الوعاء الديني والعقائدي، يتحوّل مذهب حرب العصابات الشيشانية إلى نمط من أنماط حروب المُستضعَفين، والتي لها دور على الرّغم من ضعفها المادي، أمام التفوّق العسكري التكنولوجي الروسي لتكوين قوّة عسكرية نزعت المهابة من الجيش الروسي من أُفول الشعوب التي كانت تدور أنظمتها في فلكه في أوروبا وآسيا.

فنموذج الحرب الشيشانية عملت كقوة ضعيفة مادياً على محور خاص بالأمة، ألا وهو إحياء العقيدة والجهاد، وتنطلق بالتالي المواجهة مع الوحدات الروسية من عدة قواعد، منها:

---

(73) وُلِد مُحقِّق حلم جمهورية الشيشان بالاستقلال "جوهردوداييف" في عام 1944 في قرية يالهو الواقعة في جمهورية الشيشان، وقد وَعِيَ منذ نعومة أظافره ظلم الاحتلال الروسي، إذ كانت عائلته ضمن العائلات التي هُجِّرت إلى سيبيريا.

- الجيوش النظامية، إذا تمركزت فقدت السيطرة، وعلى العكس إذا انتشرت فقدت الفعالية.
- ومن القواعد الهامة أيضا، قاعدة أنصارية تصلح كاستراتيجية عامّة، وتصلح كذلك للتخطّيط في العمليات الصغيرة، تقول القاعدة "إِضرب بقوتك الضاربة وبأقصى قوّة لديك في أكثر نقاط العدو ضُعفاً".
- ومن القواعد الأساسية كذلك والتي كانت عماد الحروب السّابقة والحاضرة ومازال علماء الاستراتيجيات والمؤرِّخون يتحدّثون عنها هو أنّ تركيز جماعات الجهاد عليها سيُعجّل بانهيار الأعداء كل الأعداء، هي: "أنّ أقرب وسيلة لهزيمة العدوّ الأقوى عسكرياً، هي استنزافه عسكرياً واقتصادياً". وبالتّالي تكون المُواجَهة تحت ضبط العقيدة والتوحيد تستند إلى قوة المبدأ أكثر منه إلى قوّة السلاح وصَاحِبه.

الفصل الثالث

مستقبل حرب (العصابات) الشّيشانية
-نقاط قوة وضعف-

فبعد التطرّق إلى المفاهيم الجديدة لحرب الأنصار الشّيشانية، يمكن الإشارة إلى كون هذه المفاهيم تشكل أحد شروط النصر الحاسم ومقوّماته عند أنصار الجهاد السلفي الشّيشاني المسلح، بقيادة الصحوة الإسلامية، الدّاعية والمقاتلة.

ولاشكّ أنّ هذه المفاهيم تُشكل أحد أهم الشروط (نقاط القوّة) التي يقتضيها الفكر الاستراتيجي الإسلامي، والمتوفرة شيشانيا، وبداية العمل بهذا الفكر هي التي تترجم صمود جيش دولة صغيرة (الجمهورية الإسلامية الشّيشانية) أمام قوّات جيش نظامي كبير (فيدرالية روسيا)، والعلة تعود لما يلي:

* الارتباط الوثيق بين نظام الأنصار الشّيشان والشعب الشّيشاني، بحكم طبيعة علاقته به، والتي هي إسلامية لما فيها من شورى وإغاثة ودعوة المطابقة لكل القيم الإسلامية، والتواصل بين فئات الشعب الشّيشاني بحكم خاصية وحدة الشعب الروحية في الشّيشان.

فعلاقة أفراد الأنصار الشّيشان بالشعب تُصعّد من التلاحم بين رجال المجاهدة والمواطنين أما توّفر الوحدة الروحية فقد تقلّل من الخيانات.

فالأجدر تحليل معاني مفاهيم حرب الأنصار الشّيشانية، تحليلا يجعل شروط النّصر ومقوّماته أمرا لا ريب فيه، لكونه حاصلا فعلا في وجود

المسلمين الشّيشان الموضوعي، ويقبل أن يصبح كذلك في وجودهم الذاتي، فيتحول بفضل ذلك إلى وعي يشارك فيه بقية المسلمين بالقوقاز، قصد تحقيق وعي إقليمي - جهوي. ويقتضي ذلك الإبتداء بتحديد مستقبل حرب الأنصار (العصابات) الشّيشانية، تحديدا جلي للكيفية التي تساعد على نقل فاعلية حرب الأنصار الشّيشانية من مجرد الحصول الحدثي إلى الحصول المعنوي ببيان دلالتها التاريخية ومغزاها الروحي. وقبل التطرق للبت في مصير حرب الأنصار الشّيشانية، يجدر تبيان بعدين أساسيين يربطان بين الفعل القتالي الشّيشاني ومضمونه القتالي التاريخي ومعناه في الحضارة الإسلامية.

فأمّا البعد الأول فهو قانون الوحدة الغائية للضدّين: الوحدة التي يتميز بها كل ظرف قدري في مسعى المجاهدين الشّيشان الصاعد من تاريخهم، ذي وحدة منهجية، الظرف الذي يجعل واقعهم التاريخي القتالي بحصوله الحدثي وبمعناه الرمزي يحقق نفس الغايات بفعل التناقض المطلق بين مناهج الأطراف الشّيشانية المقاتلة الفاعلة (القديمة بقيادة الإمام شامل النقشبندي والمعاصرة بقيادة خطاب وأبو الوليد الغامدي وشامل).

وأمّا البعد الثاني، فهو قانون الفاعلية التاريخية: فلكل جيش من الجيوش قانونه المستمد من ضرورة التلازم بين طبيعة الأحداث المحددة للوجود التاريخي القتالي الشّيشاني الفعلي أو الواقعي، وطبيعة المعاني المحددة لدلالته، التي هي وجودها التاريخي الرمزي. فلا يمكن لمنهج قتالي أن يؤثّر في التّاريخ العسكري بغير التطابق بين وجودها الموضوعي (في هذه الحالة إرهاصات في الاستمرار أو تحديث المنهج القتالي الشّيشاني)، ووجودها الرمزي (في هذه الحالة فشل للفكر العسكري الرّوسي وانتصار المقوّم الإسلامي كأساس للصمود الروحي للمجاهدين الشّيشان أمام الغزو الرّوسي). فالمقوم الإسلامي لدى المقاتلين الشّيشان يعتبر كعنصر وحيد حقيقي لوجود الأنصار الشّيشان الروحي، وخاصة عند الاصطدام بالممحص الحاسم للمعاني الحربية التاريخية في حيوات الجيوش العظيمة، معناه حرب الأنصار الشّيشانية تعد أفضل أمثلة هذا القانون. ذلك أن وحدة القيام الحضاري لجيش من الجيوش هو طبقات المخ، فلا يمكن للطبقات

السطحية أن تكون فاعلة إذا لم تكن نابعة من الطبقات العميقة، إذ هي تستمد منها مبدأ حيويتها وسند تأثيرها الحقيقي عندما يجد الجد، كما هو الشّأن في الحروب.

فحرب الأنصار الشّيشانية تعدّ من أحد إرهاصات العودة إلى الفكر العسكري الإسلامي، الذي يلخصه ابن خلدون في مبدأ استراتيجي استنتج منه قاعدتين اثنتين:

- فأما المبدأ فهو مبدأ المفاضلة بين المناجزة (= الحرب الخاطفة) والمطاولة (= حرب الاستنزاف) بحسب طبيعة القوة عند كلا المتحاربين: فالقوي ماديا يختار المناجزة إذا كان ضعيفا روحيا والقوي روحيا يختار المطاولة إذا كان ضعيفا ماديا. ولما كان هذا المبدأ يتضمن مفهوم التصرف في مدة فعل الحرب، فإنه يؤدي إلى قاعدتين تتعلقان بالنسبتين المادية والروحية بين الزمان والمكان. لذلك تصبح القاعدتان الموّجهتان لمستقبل حرب الأنصار (العصابات) الشّيشانية هما: قاعدة روحية تعالج مشكلاً ذا حل علمي ينتسب إلى علم الأخلاق الدينية ويحدد طبيعة الفاعلية في حرب الأنصار، وفيها يمكن وضع علاقة جوهرية بين البعد النفسي أو القوة الروحية والبعد التقني أو القوة المادية في الحرب.
- والثانية قاعدة مادية تعالج مشكلا حله العلمي ينتسب إلى علم الفيزياء الرياضية، ويحدد كيفية الفاعلية في الحرب، وفيها يوضع مبدأ المُزاوجة بين الحركة والسكون في قيادة المعارك وإيقاع الفعل فيها، وهو ما سنحاول توضيحه عبر أهمّ السيناريوهنات المتضمنة لمتغيرات متعددة تتحكم في مصير الأنصار الشيشان قصد البتّ في عناصر القوّة والضعف فيهما.

أولاً: السيناريو الأول:
استمرار حرب الأنصار الشّيشانية

حيث يُفترض فيه وضع المجاهدين الشّيشان جيد تكون القوات الرّوسية من خلالها متواجدة في الأراضي المفتوحة الشّيشانية، وهو ما معناه تكبد خسائر فادحة في صفوف المقاتلين الرّوس، وحيث يظن هؤلاء أن القتال انتهى فهنالك لكل نهاية بالنسبة لقيادة أركان القوات الرّوسية بالقوقاز، بداية بالنسبة لمجاهدي أنصار الجهاد السلفي المسلح الشّيشاني، فترك دخول القوات الرّوسية في العمق أكثر فأكثر يوقعهم في تكتيك قُطّاع الطرق (حيث يقطع أنصار الشّيشان عليهم الطّرق).

ومسألة استمرار حرب الأنصار شيشانيا، هو تابع لقضية مدى ثقة المجاهدين وإيمانهم بالعقيدة الحربية الإسلاميّة، وما يمثل بالنسبة إليهم مفهوم الجهاد المسلح، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمّد: 35].

أمّا تحليل ما بدأ يحُضّر من المستقبل فيمكن رده إلى مسألتين: فأما المسألة الأولى فتتعلق برأس حربة المقوم المادي لدى الأنصار الشّيشان[1]، معناه: ممُحص القوة الماديّة أو الحرب العسكرية ببعديها المادي والنفسي. وأما المسألة الثانية فتتعلق برأس حربة الصحوة الروحية، ما معناه: ممُحص القوة الروحية أو الحرب العقائدية ببعديها المادي والنفسي. وسيتم التركيز هنا على المسألة الأولى، إذ إن شروعها في الوجود دليل على الاستمرار وتحقيق النصر في المسألة الثانية: فلو لا فشل الاستيعاب الرّوسي لمسلمي القوقاز ثقافيا وحضاريا لما كان للروس حاجة لمحاربتهم عسكريا وماديا[2].

والسؤال هنا مضاعف:

أولاً: كيف يُفهم صمود مجاهدي الأنصار الشّيشان كقوة مسلحة لبلد

---

(1) الشيخ أبو اسحاق الخويني: أسباب النصر والهزيمة، الجزائر: دار الفوائد للنشر، 2004م، ص163.

(2) نفس المرجع، ص171.

صغير أنهكته حرب لم ستتوقف لمدة أكثر من عشر سنوات في معارك كان ما حصل فيها من جرائم يفوق بالكم والكيف ما حصل في كل الحروب السابقة؟.

وثانيا: ما هي مقومات استمرار حرب الأنصار لدى المجاهدين الشّيشان؟.

المسألة الأولى:

والجواب على السؤال الأول لا يستحق الإطالة، يكفي القول: أن حرب الأنصار الشّيشانية من المنظور الرّوسي[3] هي بداية حرب مقدسة. وإذا كانت حرب الأنصار تقبل الوصف بالحرب المقدسة، فإنّ الزّعم بأنّ روسيا قد ربحتها شيشانيا هي مجرد كذب محض[4]. فالقوات الرّوسية تبدو بفعل تمركزها في المدن الكبرى للجمهورية الشّيشانية في السطح قد حازت على بعض الإنتصارات الجزئية. لكّنها في العمق خسرتها، فهي قد ألغت مبرر هيمنتها على القوقاز بالقضاء على شعوبها، إذ الإبقاء على أراضي الإتحاد الفدرالي الرّوسي كان المبرر الوحيد لوجودها فيها. وبذلك فإن روسيا قد مكنت خصومها من الأنصار الشّيشان وبالقوقاز من فرصة التحرر، واستئناف الدور التاريخي الإسلامي بالإقليم، ومن ثمّ من احتمال استمرار حرب الأنصار والتحالف مع باقي أفراد الجمهوريات الإسلامية للقوقاز ضدها. بفعل توفر عامل الدعوة والأيدي القديرة لدى مسلمي القوقاز.

وطَبعا فهذا أيضا مرتبط بطبيعة المتغيرات التي ستتحكم في الظروف التاريخية التي ليس لقصد الفاعلين فيها (المجاهدين) من دور إلّا جزئي، كونها حسب قيادة حرب الأنصار الشّيشانية (بقيادة شامل وخطاب) هي من قضاء الله وقدره فالعامل التّاريخي ليس هو مقصود الأفعال الواعية، بل هو

(3) هناك سيطرة أرثذوكسية بين عناصر القوات الروسية، وهناك من يرى أن روسيا تتعمد للغزو بفعل ديني وليس مادي 'اقتصادي للمزيد انظر كتاب Sapir (j): *Le déclin de la stratégie sovietique*, La découvert 1991, p 128).

(4) وهو ما تروجه وكالة الأنباء الروسية بدعم من الإعلام الغربي (المسيحي).

متولداتها اللامقصودة مع الأفعال اللّاواعية ومتولداتها، والتفاعلات بين المقاتلين في نفس الإقليم، وجميع ذلك من القضاء والقدر الذي يؤمن به المجاهدون الشّيشان، بأنه جار بمشيئة الله ورعايته لصالح عباده الصالحين الذين يرثون الأرض[5]. فالرّوس قد هُزموا في الحرب الثانية، وأضعفوا قوّاتهم وهو ما معناه تقوية الأنصار الشّيشان، أو حتى أعداء روسيا المحتملين. وبذلك فدخول المجاهدين الشّيشان في حرب مقدسة في ظرف ملائم لهم، سيظفرون بها، لكونها الحرب المقدسة الأولى في الإقليم لتحرير شعوبهم من قبضة الغزاة، فوضع الأنصار الشّيشان المعلن في هذه الحالة ليس طري العود ولا هيّن العريكة.

فبقاء حرب الأنصار الشّيشانية، مرتبط بقاعدتين وحيدتين، واللتان ينبغي للمجاهدين ألا ينفصلوا عنها[6]:

* ألّا يكونوا مجرّد وَقود للحرب، والعمل على نشر الدّعوة السّلفية الجهادية، حتى يتسنى لهم تمكين أنفسهم وغيرهم وجعل جميع السكان الشّيشان وباقي منطقة القوقاز يؤمنون ومضطرين لدخولهم ضد القوات الرّوسية. وذلك الشرط متوّفر، وقد حدّده سابقاً ابن خلدون، المطاولة بدلاً من المناجزة والخداع والمناورة التي تقتضي الكر والفر والمهادنة والمفاتنة، تحينا لفرصة الإجهاز على العدوّ. ومجرد التعدد واضطرار روسيا للحرب في جل مناطق القوقاز بحكم حضور الفعل الجهادي الإسلامي المسلح فيها حيث سينهكها ويقضي على عزيمتها، مما ييسر الإجهاز على قوتها المادية، بعد إجهاض كل ما عندها من محتوى القوّة النّفسية.

* اعتبار القيم السلفية الجهادية، هي قيم هم (المجاهدون الشّيشان) أولى بها وبتحقيقها - نظرًا لفكرة البراءة عندهم- الفعلي، من كل الجماعات الإسلامية الأخرى ما داموا يؤمنون بأن قيم الإسلام هي الفطرة الإنسانية، وهو ما معناه: الحقوق الطّبيعية التي توصف بكونها حقوق

---

(5) الشيخ ناصر الأحمد: المجاهد سيف الدين قطر، الجزائر: مكتبة الطيب العقبي، 2003م، ص76.

(6) الشيخ أبو إسحاق الحويني، مرجع سابق، ص211.

الإنسان من المنظور الفلسفي، وتوصف بكونها واجباته من المنظور الديني، إذ هي عين المقاصد الشرعية الخمسة المعلومة لكلّ ذي بصيرة[7].

فرغم كل الحسابات المادية التي كان يمكن أن تؤدي للحسم العسكري الرّوسي في يوم على أقصى تقدير، ففهم التغير في العقيدة الحربية، وتحديد الشروط المستقبلية لهزيمة روسية أخرى، وتحقيق الاستمرارية والمناعة الإسلامية لأنصار الجهاد السلفي الشّيشاني المسلح، التي لا يمكن أن يهزمها بالسهولة المتوقعة بدفعها لتحقق مقصود الدين الخاتم: فلا يمكن أن يكون الإسلام خاتما إذا كان قابلا للهزيمة على أيد بشرية، تستبدله بعقيدة محرفة هي المسيحية الصهيونية[8].

فبقاء حرب الأنصار، تابع لمنطق الحرب التي يخوضها المجاهدون، المخالف لمنطق العدو (القوات الرّوسية) ولفكره بما فيه من شروطهما المادية والروحية. حرب أنصار ضد جيش، مع محاولة حصر الفاعلية في أدوات الفعل المادية مع القدرة على التحكم في شروط إنتاجها واستعمالها.

فشروط استمرار حرب الأنصار (العصابات) متوفرة، مادامت معطيات الدولة الفعلية وجيش شيشاني فعلي _ (نظامي) غائبة. فإذا وُجدا يصبح هذا الشكل من الحروب رديفا لحرب لا يمكن أن توصف بكونها حرب أنصار (عصابات) بل جزء من المناورة التكتيكية. والمقوّم الإيجابي منعدم كذلك، أمام غياب الدولة التي تقود الجهاد المسلح (المقاومة) وهو ما سيعزز من مبررات بقاء حرب أنصار الجهاد السلفي المسلح. والعلة في حسن التحليل، أن استراتيجية وقادة الأنصار الشّيشان لم ينسوّا تاريخ الحروب الإسلامية، كيف وأن قائد ميداني كشامل باسييف أقر بتأثره بأحد كتابات ابن خلدون، وأحد فصوله الذي خصصه لنظرية الحرب الإسلامية في المقدمة.

فالفاعل في استمرار حرب الأنصار الشّيشانية هو المزاوجة المناسبة

---

(7) نفس المرجع، ص214.

(8) عرموش أحمد راتب: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، بيروت: دار النفائس، سنة 1423هـ - 2002م، ص68.

لحال المجاهدين بين القوتين المادية والروحية وليس وجود إحداهما دون أخراهما: لذلك اعتبر الإلتحام بين المقوم المادي والصحوة الروحية ستوفر هذا المبدأ في حرب الأنصار[9].

لكن كيفيّة المحافظة على هذه الفاعلية، هي التي ستحدد كذلك استمرارية الفكر الاستراتيجي للسلفيّة الجهادية المسلحة: كيفيّة التصرّف في الحركة والسكون في الحرب على القوّات الرّوسية على المستوى الفيزيائي الطبيعي (سرعة الفعل وقوته)، وعلى المستوى الخلقي والروحي (ثبات الفعل وأثره). فلقد وجد الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم - أن الفكر العسكري عند عرب الجاهلية قد بقي فكر بدو رحل، فاقدا لمبدأ المزاوجة بين الحركة والسّكون، سرعة وثباتاً، فجمع بين منطق الحركة التي تترجم في الحرب بالزّحف عن طريق أسلوب الكرّ والفرّ، ومنطق السكون المتمثل في ثبات القاعدة الثابتة ببعديها الروحي (عقيدة الأمّة وتاريخها) والمادي (أرض الأمة وجغرافيتها)، التي يكون منها الكرّ وإليها الفرّ خلال السلم قبل الحرب، ما معناه: دار الإسلام ذات الثغور التي ترهب الأعداء وذلك هو معنى آية الردع التي تحدد مبدأين لاستمرار إرهاب العدو، هما مبدأ القوة عامة، ويعني القوة العقائدية (الروحية)، ببعديها الخلقي والديني، والقوة المادية ببعديها العلمي والاقتصادي، ثم مبدأ رباط الخيل ويعني القوة القتالية خاصّة [10].

وهو ما سيحاول القادة الانفصاليين الشّيشان تطبيقه، لمّا كان ما يشترطه دوام الفعل الجهادي المسلّح وبقاؤه، هو استعمال أدوات الردع التي تمكن من التحكم في علاقة فيزيائية بين المكان والزمان، بتحديد سرعة الفعل الجهادي المسلح (القتالي) وقوته في نسبة تحقق الغرض في الفعل الحربي (مشكل فيزيائي رياضي)[11]، وعلاقة روحية بينهما بتحديد ثبات

---

(9) الدّاعية الدكتور. محمد القحطاني: حرب الأنصار في نهج الأبرار: "دراسة نقدية في مناهج العمليات الإستشهادية لما يسمى بالحركات الإسلامية المسلحة، بيروت -لبنان: المنار للطباعة والنشر، 2004م- ص349.

(10) عرموش أحمد راتب، مرجع سابق، ص106.

(11) أي علاقة التكتيك والأرض (ميدان المعركة).

المجاهدين كفاعلين قتاليين وأثر الفعل الجهادي فيهم وبهم إلى أن تتحقق غاية الفعل الجهادي المسلح لحرب الأنصار الشّيشانية (مشكل خلقي عقائدي)، فإن استمرار هذه المزاوجة، يقتضي تحقيق ثورتين في الفكر الحربي الشّيشاني (الفكر السلفي الجهادي المسلح)، كلتا هما ذات بعدين: الأول فيزيائي رياضي للتحكم في سرعة الفعل الجهادي المسلح وقوته الشارطتان لاستمراره، هما نسبة بين المكان (الأين) والزّمان (المتى) الطبيعيين. والثاني عقائدي روحي للتحكم في فاعلية الفعل القتالي للأنصار الشّيشان لثباته وأثره، وهي كذلك نسبة لكونه بين الأينين، والزمان الذي هو نسبة لكونه بين متوين[12].

والثوّرة الثانية، أهم من الأولى لكونها تتعلق باستمرارية الغايات الجهاديّة الشّيشانية. في حين الأولى تتعلّق بالأدوات، لذلك يجوز تقديم العامل العقائدي (الروحي) على العامل التجهيزي المادي في الحسم واستمرارية حرب الأنصار الشّيشانية، المحدد مستقبلا ببعدين: فبعدها الأول يتمثل في جعل أفراد الأنصار السلفيون الجهاديون الشّيشان سكان إقليم القوقاز كلهم مرابطون، واعتبار التربية الجهادية الإسلامية، جزءا لا يتجزأ من الدعوة والتربية الدينية، حتى يتسنى تحقيق الرباط للاستمرار في حماية الثغور كذروة العبادة. وبذلك سيكون توزيع المجاهدين على المكان يلغي مستعصيات المشكل الفيزيائي الرياضي، ، إذ أن كل نقطة من إقليم جمهورية الشّيشان أو منطقة القوقاز، فيها من يحميها من أهلها، إلى حين استكمال النفير لتحقيق بُعد القوة بعد الحد من السرعة: قضية الجوار التي تجعل كل المواطنين القوقاز، حماة لحيزهم بمقتضى عصبية الدين والجوار المباشرين[13].

---

(12) والمشكلة هنا هو صعوبة الموازنة بين الشروط المادية والروحية للإعداد أو حتىّ خوض المعارك، فغالباً ما تميل أغلبية القوّى المسلحة عالميا كلّ الميّل لأحدى الشروط، وبالتالي مذهب الوسطية هو مقرون بالعقيدة القتالية الإسلامية، ولكن تطبيقه يختلف بين تنظيم إسلامي مسلّح وآخر.

(13) ويعد من الشروط المتوفرة لإقامة نظام الخلافة في منطقة شمال القوقاز، وهذا حسب قادة أنصار الجهاد السلّفي المسلّح الشيشاني.

وبُعدها الثّاني، يتمثل في جعل حرب الأنصار الشّيشانية خارج الإقليم (كدار للإسلام) نحو الأراضي الرّوسية، نقلا لهذا المنطق إلى ساحة المعركة: فكل جماعة مجاهدة من الأنصار الشّيشان تنتقل انتقال وحدة حية بحميتّها وحاميتها لتحمي أرضها ودينها (كمقاصد غائيّة) انطلاقا من الحدود السياسية لروسيا (دار الحرب). وبذلك سيكون المقاتل الشّيشاني مدافعا بعقله (اجتهاد) ونفسه (جهاد)، هذين المقصدين اللذين يتحولان إلى أداة في حرب الأنصار الشّيشانية، رغم كونها غايتين في السلم.

وسيوحّد بين بُعدي الثورة الأولى، طبيعة الواجب الجهادي في حياة المقاتلين الشّيشان: فهو فرض ديني ليس فيه إكراه خارجيّ بل مصدره والباعث عليه الوحيد هو الإيمان وقوة العقيدة الإسلامية لدى مقاتلي الأنصار الشّيشان والعرب الأفغان وبقية المتطوعين. لذلك فالقيام به ينتسب إلى التطوع وليس إلى الإكراه، وهو ما قد يدفع لاستمرار المقاتلة بالنسبة إليهم. لكون المقاتل المكره أكثر خطرا على الدفاع من العدو المهاجم، إذ قد يُعتمد عليه في الخطة القتالية، فيفسدها بترك موقعه. ومعنى ذلك أن التربية الجهادية تكون إلزامية لاستمرار حرب الأنصار الشّيشانية، فالمشاركة الجهادية في حرب الأنصار خاضعة للحافز الديني والمعنوي دون إكراه. من هنا كانت منزلة الشهادة أسمى المنازل الروحية في ديمومة الفعل الحربي الشّيشاني مما يجعلها مطلوبة لذاتها، وهو ما يغني الحاجة إلى الإكراه عليها. ولن ينحط دور الجهاد المسلح لأنصار الجهاد الشّيشاني السلفي المسلح، ما دامت قيادة الأنصار لا تخلط بين الدفاع الجهادي الذي هو فرض عين وعلم الدفاع الجهادي[14]، الذي هو فرض كفاية.

أما الثورة الثانية فبُعداها هما مضمون آية الردع التي تحددهما بصورة صريحة عندما أشارت إلى القوة بصورة عامة، ثم أردفتها برباط الخيل.

(14) وهو علم شرعي، يهتم بمقاصد دفاع المؤمن عن ماله وشرفه، بالإضافة إلى تحديد الإطار الفقهي لكيفيات الدفاع هو ليس بالضرورة مسلّحاً، ويعرّفه الشيخ عبد الله الغولي هو ما اقتضى من درأ المفسدة وجلب لمصلحة، لا يخالطه عقل، بل منطق الإحتكام لكتاب الله وسنة النبي محمد: للمزيد انظر كتاب الشيخ عبد الله الفوغاني: كيان أحكام جهاد الطاغوت، الجزء الثالث، الرياض: دار التبليغ، 2003، ص281.

فالقوة في حرب الأنصار الشّيشانية عامة هي البعد الأول، وهو ما يتعلق بأسباب الاستمرار والمناعة، ما كان منها غير مباشرا، معناه المناعة التكتيكية (ثمرة العقيدة القتالية الإسلامية) بالإضافة إلى المناعة الخلقية[15].

ورباط الخيل هو البعد الثاني، ويتعلق بالقوة العسكرية لأنصار الجهاد السلفي الشّيشاني المسلح رمزا، حيث تُعدّ رأس حربها لكون فصائل الاستشهاديين هي الرمز لذروة القوة العسكرية شيشانيا.

ويجمع بين استمرارية البُعدين، مبدأ جوهري يحدد فلسفة الحرب الشّيشانية الإسلامية، والتي تسعى إلى منع وقوع الحرب بإرهاب الرّوس أو بالردع وهو ما يحضر إلى عقولنا ويعيد إلى أذهاننا دلالة الشهادة بوضعها التضحية بالنفس تضحية لا تكون كما أتفق، بل باعتبارها آخر ما يضحى به، وباعتبار القيادة الإسلامية لا تكلف الإنسان فوق وسعه تحملاً للألم وإقداما على الموت. ومن ثمّ فالموت في الحرب لا يسمى شيشانيا شهادة بحق، إلّا عندما يكون المجتمع الشّيشاني المسلم قد قام بكل ما ينبغي القيام به للدلالة على قيمة الحياة ومنزلة النفس، بحماية المجاهدين الشّيشان من الموت المجاني، حتى يكون الاستمرار في التضحية بالنفس آخر وسائل الدفاع، إذ ليس من الصدفة أن جُعل القرآن الكريم قتل نفس واحدة وإحياءها، معادلا لقتل الناس جميعا وإحيائهم، واعتبار مركز المقاصد فالعقل والمال قبلها، والعِرض والدّين بعدها، صفات لها ولا معنى لهما من دونهما، وهي لا تكون قابلة للشهادة من أجلهما (الأوّلين)، إلّا بحكم الآخرين، واعتبار المسّ بالخصائص الأربعة إفقادا للنفس معنى الحياة الحرّة[16].

لذلك كان مفهوم الشّهادة ومنزلة الشّهيد في حرب الأنصار الشّيشانية أساس آخر لاستمرار الفعل الشّيشاني القتالي. لتصبح الاستمرارية في الموت في سبيل الله الذي هو وجه الاجتهاد الجهادي - علم عملي-، أو التواصي

---

(15) ومعناه الإيمان بالله واليقين أن النصر من عند الله كشرط من شروط التوّحيد "...إن تنصرّوا الله ينصركم".

(16) الداعية الدكتور رياض بن مالك: في الشّهيد والشهادة، الطبّعة الثانية، الدوحة: مطبعة الرسائل للنشر والتوزيع، 2001م، ص416.

بالصبر من أجل تحقيق غاية التكليف أو العقيدة القتالية الحرّة، التي من دونها لا يكون تكليف الأنصار الشّيشان ذا معنى: العقد الحر[17].

فاستمرار حرب الأنصار الشّيشانية، لا يكون حاصلا فعلا إلّا في وجود التواصي بالحق بين المجاهدين (جوهر الاجتهاد الذي هو غاية في السلم وأداة في الحرب (المشاورة) والتوّاصي بالصبر (جوهر الجهاد الذّي هو غاية في السلّم وأداة في الحرب: (المصابرة) فرض عين، أن يطمئن مركز قيادة الأنصار لأطرافهم (المجاهدين) في الوظيفة الجوهرّية التي تحققّ بقاء أسلوبهم الجهادي: رعاية الثغور مهمة الجميع بحسب الجوار والعقيدة الخاضعين لمنطق الأخوة الإسلامية، وليست مهمّة قائد متجبرّ يصرح جنوده في أطراف البلاد.

وهكذا فاستمرار فعل الأنصار القتالي، قد حُدد ببعد جديد لحيز الفعل الجهادي المسلح. فإذا كانت العلاقة المادية للجهاد بين المكان والزمان قابلة للرد إلى التحكّم في سرعة الفعل القتالي الشّيشاني وقوته من حيث دور وجهه المادي في الاستمرار والحسم الحربي (وللجغرافيا الطبيعية والتقدم التكتيكي هنا الدور الأول في استمرارية هذا الفعل)، فإنّ العلاقة العقائدية (الروحية) بينهما ستكون قابلة للرد إلى التحكم في ثبات واستمرارية الفعل الجهادي المسلح وأثره أو وقعه من حيث دور وجهه الديني - (وللتاريخ الطبيعي والحضاري والأصالة الخلقية هنا، الدوّر الأول في تفكيك الرموز الخلقية للفعل القتالي الشّيشاني).

وعليه ففي هذا المقام الأوّل، قضيّة استمرارية حرب الأنصار الشّيشانية مرتبطة بمدى تمسّك المجاهدين وفهمهم لعقيدة الحرب الإسلامية المعالجة للمسائل الفيزيائية والرياضية، والمسائل الخلقية الدينية، الممكّنة من الاستمرار والبقاء، ومن ثمة التغلب على كل العقبات التي أدت إلى انهيار

---

(17) كشرط من شروط الولاء، ففي المعركة ولاء المجاهد لقائده هؤولاء لله وطاعته له أمر واجب، "أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم.."، وبالتالي لا وعود أو ترغيب مادي يربط بين الولاءات في الجهاد الإسلامي بل الأمر كله لله.

الجيوش، التي لم تدرس منطق التاريخ الحربي الإسلامي ونظريته الخلدونية، ولم تفهم إستراتيجية القائد خالد ابن الوليد. ويكفي أن حرب الأنصار الشّيشانية لها من المؤهلات التي ستكفل لها تثبيت القوات الرّوسية في ساحة الحرب بطول الجمهورية الشّيشانية وعرضها، مفقدا إياها سرعة الحركة ما يحوّلها من مهاجم إلى مدافع، وهو ما معناه أن إرهاصات الفكر العسكري الإسلامي ستعود إلى الوجود، مُصارعة القوات الرّوسية بمنطق حرب الأنصار الشّيشانية، فيجعلونها تتردد في الفعل بدل الفعل(18).

ولا يهم في قضية استمرار حرب الأنصار، هل ستكسب جميع المعارك، المهم من سيربح شروط نقلها من المناجزة إلى المطاولة، فيتحكم في العلاقة بين المكان والزمان، بالجوار والدين - العقيدة -، ويحقق من ثمة شروط ربح الحرب، فروسيا ستضطر إلى مضاعفة عدد جندها يوما بعد يوم، لتغطية ساحة المعركة الممتدة بامتداد رقعة الشّيشان ومنطقة القوقاز معا، ومن ثم مضاعفة الخسارة إلى أن يحصل لها في الرقعة هاته ما حصل للإتحاد السوفياتي في أفغانستان.

أمّا المقام الثاني، فهو يتعلّق بمقوّمات استمرار حرب الأنصار لدى المجاهدين الشّيشان، ويتعلّق الأمر هنا بخمسة أمور، هي:

- القيادة.
- التنظيم.
- البيئة.
- التخطيط.
- الفكرة.

ولكن ما يهّمنا هنا هو العنصر الذي هو لبّ استمرار حرب الأنصار، والذي مثّله خطّاب وأبو الوليد(19) أو حاليا شامل باسييف، وهو القيادة،

(18) الدكتور. توفيق سلامة: الإسلام المدافع؟، الطبعة الأولى، سوريا: منشورات المكتبة الأكاديمية بدمشق، 2003م، ص79.

(19) وهو خليفة القائد خطّاب، شارك في حرب أفغانستان، ثم انتقل رفقة خطّاب =

من حيث أنها فن استمالة الأفراد للتعاون في تحقيق هدف مشترك، وهنا تظهر قدرة قيادة الأنصار الشّيشان على الاستمرار في التأثير التوجيهي على سلوك المرؤوسين المجاهدين، فيتبعّونهم راضين مقتنعين بأنهم القادرين على تحقيق أهدافهم، وهنا يبرز الدور العقائدي والأخلاقي كأحد أبرز الواجبات القيادية شيشانيا، وهو الاستمرار على تحفيز ومساعدة السكان الشّيشانيين خاصة والقوقازيين عامة. ليكونوا أفضل ممّا قد يكونوا بدونهم، وهذا يعني القدرة على مواصلة العمل الدّعوي إلى جانب القتالي، لإرشادهم نحو تحقيق قيم ومُثل موضوعة من قبل مصادر عليا أساسية، من دعائم الدين. يقول ابن تيمية عنها: "يجب أن يُعرف أن أمر ولاية الناس، من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد عند الاجتماع من رأس تنجح في قيادة الجماعة"(20).

هذا العنصر الذي يقتضي معه المواصلة في التمسّك ببعض الصفات، منها:

- الصفات الإيمانية.
- الصفات الفكرية.
- الصفات الذاتية.
- الصفات المهنية.

والتي تنضوي تحت ثقة قيادة الأنصار بالمجاهدين، المؤدّية إلى تولّد رغبة لدى القائد الشّيشاني في أن يسمح للآخرين في الاشتراك في وضع الحلول للمشاكل العالقة، وفي الأخذ برأيهم ومصارحتهم والانفتاح عليهم بطريقة أكثر حرّية. بالإضافة إلى قوة القيادة، فاستمرار حرب الأنصار

= إلى طاجاكستان لطرد السوفيات منها، لينتقل إلى أرض الشيشان، حيث تسلم مقاليد القيادة في حرب الأنصار بعد استشهاد خطّاب.

(20) شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - رحمه الله -: السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، قصر الكتب بالبليدة، بدون تاريخ، ص76.

الشّيشانية مرتبطة ارتباطا عميقا بمستوى القاعدة المقاتلة، أي القوة الكامنة في المرؤوسين - المجاهدين - أي بمعنى الكيفية التي تستطيع بها قيادة الأنصار من تحويل المجاهدين إلى فعّالين، وهذا لا يتم إلّا بما يلي:

- إذا أبدى المجاهدون حاجة كبيرة إلى إقامة الدين وشرع الله على الأراضي المدنّسة روسيا حسبهم.
- إذا أبدى المجاهدون حاجة ماسة إلى الاستقلال.
- إذا كان لديهم الاستعداد لتحمل المسؤولية وصنع القرار.
- إذا كان لديهم تحمل أكبر من غموض.
- إذا شعروا بأن القضية ليست فقط مهمة، بل مقدسة.
- إذا عرفوا كيف يستغلون المعلومات الضرورية والخبرة للتعامل مع القوّات الرّوسية.
- إذا كانوا مجاهدين ربانيين وليسوا بظرفيين.
- بالإضافة إلى فاعلية مجاهدي الأنصار الشّيشان في العمل كفريق.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّه على الرّغم من مقتل القائد خطّاب ثمّ خليفته أبو الوليد الغامدي أو حتى الرئيس الشّيشاني الإنفصالي -أصلان مسخادوف- وما تشكلّه الحملات الرّوسية من محاولة لتصفية القيادات المؤثرة في حرب الأنصار، قصد الإحباط من معنوّيات المجاهدين، كان لابدّ من الوقوف على سؤال بالغ الأهمية: إلى أيّ مدى يمكن أن تكون لمثل هذه السلوكات - تصفية القيادات الشّيشانية المقاتلة- أثر على مسار حرب الأنصار خاصة والمقاومة على وجه العموم؟.

وعلى الرّغم من كون حرب الأنصار قد فقدت أحد عقولها المدبّرة - خطّاب -، الذي أوقع بين الرّوس خسائر فادحة. باعتبار كونه تأتّى له ذلك اعتمادا على مهارته العالية في التعامل مع العدو، التي اكتسبها في معارك أفغانستان، وهذا منذ أن وصل إلى الشّيشان في عام 1994/ 1995. حيث نُصّب كأحد أهمّ القادة الميدانيين، وحظي بشهرة واسعة لتمكنّه من تنفيذ عدّة ضربات موجعة للروس. فمن المحتمل أن تتعرض حرب الأنصار لضربة

أساسية بفقدانه، حيث منذ العام 1998م، الذي كان بداية العمل المشترك مع القائد الشّيشاني شامل باسييف، والمقاومة الشّيشانية تجني ثمارها بإيقاع خسائر فادحة في صفوف الجيش الرّوسي عبر حرب أنصار الجهاد السلفي المسلح. وفي كل عملية كان يقودها خطّاب وشامل باسييف. تكون النتيجة سقوط عشرات من القتلى الرّوس، لدرجة أنّ الإحصاءات الرسمية التي قدّمتها الحكومة الرّوسية بتاريخ 13 ماي 2002[21]، تشير إلى أنّ حصيلة القتلى من الجانب الرّوسي خلال الفترة بين أوت 1999 وأفريل 2002، بلغت ما يزيد عن 2400 قتيل وأكثر من 6400 جريح.

وعليه، فاستمرار حرب الأنصار يقتضي منها في هذه الحالة-انتظار شهرا كاملا - وهو تقدير نفسيّ عسكريّ- لحشد المعنويات وتجميع القوى من جديد، وهذا قصد تقديم الرد لتقديم رسالة شديدة اللّهجة إلى الجانب الرّوسي، مفادها أنّ حرب أنصار الجهاد السلفي الشيشاني أكبر من أن تنتهي باختفاء خطّاب.

وفي الوقت الذي يناسب لقيادة أركان القوات الرّوسية أن تصوّر القضاء على خطّاب أو حتى على نائبه وخليفته أبو الوليد الغامدي، وكأنه إنهاء لحرب الأنصار الشّيشانية- الداغستانية في الجنوب، فإنّ الكثير من المحللين العسكريين الرّوس وعلى رأسهم "فاسيلي درادتشكوفسكاي "Vassily dratchkovsky" يعتقد أنّ ثمّة خطّابا وأبو الوليد ثان، وثالث سيظهران لتستمر حرب الأنصار خاصّة في الجنوب الرّوسي[22].

وعلى الجانب الآخر، يرى بعض كبار القادة في المخابرات الرّوسية[23] (المعروفة اختصارا باسم إف إس ب FSB)، أنّ أيّة ردّة فعل من

---

(21) James Town: *Les forces fédérales russes restent incapables d'emerger dans le bourbier tchétchéne*, défence foundation, Mai 2002, p39.

(22) Vassilly Dradtchkovsky: *Une guerre sans fin*, Traduit par: céline francis, Brylant, 2004, p50.

(23) وعلى رأسهم برانوفسكي مانيلوف مدير دائرة التضليل والتشويش بالمخابرات الفيديرالية الروسية والذي كان جنرال سوفياتي سابق، شارك في حرب ضد أفغانستان ويعرف جيدا إمكانيات المجاهدين ومعنى الجهاد عسكرياً.

مقاتلي الأنصار الشّيشان، ما هي إلا محاولات لاختبار ومعرفة مدى استعداد الجيش الرّوسي، ودرجة تجهيزه وتحركاته وقواعده في المنطقة، لشن حرب جديدة واسعة المدى في جنوب روسيا. وعليه فلن تكون الحرب الجديدة التي يريد المجاهدون الشّيشان خوضها تحت قيادة شامل باسييف، سوى امتداد لحرب الشّيشان الثانية، والتي ستمر بين مد وجزر، وكرّ وفرّ.

ليكون مسرح العمليات كحد أدنى يصبح يتعلّق مباشرة بثلاث جمهوريات: أنجوشيا - الشّيشان - داغستان.

فحرب الأنصار الشّيشانية المسلّحة بالدين -وهو ما ينطبق على المقاومة في القوقاز- تصبح أكبر من أن تتوّقف لموت قائد أو اختفاء زعيم، فالتاريخ الحربي الشّيشاني خاصّة والقوقازي عامّة، يبين أنّ عشرات الزعماء والقادة ممن مروا على القوقاز، كانوا في طليعة الدفاع عن أرضهم ودينهم، ولم تتوقف حركة المقاومة بتوقف نبضات قلوبهم. وربما ستؤثر الضربات الرّوسية على حركة جهاد رجال الأنصار الشّيشانيين بعض الوقت، وربما ستهدأ الحركة في وقت آخر غير أن هذا سوف لن يؤثر على استمرار نموذج الحرب الشّيشانية كما كان الحال عندما أعلنت الحكومة الرّوسية قتل جنودها الـ13 ألفا من الشّيشان منذ 1999م، لتصاحبه سلسلة تفجيرات أختيرت (خلال أهمّ احتفالات روسية بالنصر) أسفرت عن حجم كبير من القتلى الرّوس[24].

ضف إلى ذلك، أنّ حتى عملية اغتيال "مسخادوف" الرئيس الانفصالي للجمهورية الإسلامية الشّيشانية، سيفتح أمام التيار الجهادي فرصة لإعادة ترتيب نفسه (عسكريا وسياسيا)، وشن هجمات جديدة ضد روسيا، حيث لا يعتقد أنها ستقتصر على الداخل الشّيشاني، بل ستنتقل إلى مدن روسية، حيث هجماتها ستتجه نحو القوات الرّوسية والحكومة الموالية لروسيا داخل جمهورية الشّيشان، ونحو قيادة أركان الجيش الرّوسي والحكومة الرّوسية (المؤيدين للإجتياح الرّوسي بالشّيشان وبباقي الأراضي الإسلامية بشمال

---

(24)( )- Revue Militaire suisse: *Editorial tchétchéne, Les grandes cimeliéres sous la lune*, Suisse: R.M.S., Juin 2000, p60.

القوقاز) بالأراضي الرّوسية. بحكم أن مسخادوف كان يمارس دورا مهما، برفضه للعمليات العسكرية خارج الأراضي الشّيشانية[25].

فاغتيال هذا الرئيس الشرعي للحركة الاستقلالية الشّيشانية، لا يعدّ حدثاً عاديا، بل سوف يمثل تحولاً في ديناميات الصراع الشّيشاني - الرّوسي المعاصر. كون هذا الرئيس والذي فاز في انتخابات عام 1997 بنسبة قاربت 80%[26]، اعتبرت نزيهة وفقا للمراقبين من منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وكان يعد ممثل الاعتدال والأمل الأخير لروسيا قصد الخروج من أزمتها في الشّيشان.

فاغتيال مسخادوف يعكس الاستراتيجية العسكرية- الأمنية التي انتهجتها روسيا كسياسة قائمة على تصفية القيادات الشّيشانية جسدياً، بدأت بـ"جوهر دوداييف" ومرورا ب "زيلمخان يندربايف" ووصولا إلى مسخادوف. سياسة التصفية الجسدية الرّوسية هذه، استندت إلى فكرة أن التخلص من القيادات سيؤدّي إلى تفتيت قواعد حرب الأنصار كدعامة أساسية للجهاد المسلح الشّيشاني، غير أن المقوّم الحضاري والمعنوي للمجاهدين الشّيشان سيدفع بهم إلى المزيد من التصعيد في الصراع.

فالقوات الرّوسية التي كانت قد وضعت "مسخادوف" على لائحة التصفية الجسدية منذ البداية، وهي التي أطلقت عليه تسميات من نوع "شبيه بن لادن" ورفضت الجلوس معه على طاولة التفاوض، وذلك على الرّغم من أنه يعدّ الأنسب والأمثل، لاعتداله وللقبول الدولي الذي يلقاه في العالم باعتباره رئيسا شرعيا، وفوق هذا كله باعتباره خاصّة الأكثر تأثيرا على فصائل حرب الأنصار الشّيشانية، الأمر الذي سيوقع روسيا والحكومة الموالية لها في الشّيشان في مأزق، وخاصة أن الطرفين ادعيّا مرارا أنّه "ميت سياسيا" وليس له تأثير على فصائل أنصار (عصابات) الجهاد السلفي الشّيشاني المسلح.

---

(25) وهو جوهر الخلاف بينه وبين قادة الأنصار الشيشان.

(26) وهي الانتخابات التي لم تعترف بها السلطة الروسية، بالمقابل وجدت ارتياحا وتأييدا من عدة دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية، تركيا، أفغانستان وإيران. . . .

وبالتّالي هذا الاغتيال سيعيد توزيع القوى المقاتلة داخل الشّيشان بتصعيد أكثر فأكثر للجناح الجهادي في حرب الأنصار ذات الطابع السلفي – الجهادي، والذي يمثلها المقاتلون العرب في الشّيشان، أمام التيار الموالي لروسيا، وتيار أصلان مسخادوف القومي.

غير أن المقاتلين العرب في فصائل حرب الأنصار الشّيشانية، سيسعون للإنتقام من مقتل قادتهم (خطّاب وأبو الوليد)، ورمز الجهاد الشّيشاني المسلح، وسيحتاجون إلى وقت لإيجاد بدلاء عن قادتهم، يدفعون بهم إلى مواصلة الجهاد والنهّج الشّيشاني القتالي المختار.

فالنكسات التي تمرّ بها حرب الأنصار الشّيشان، ستعود عليها بالإيجاب وهذا من حيث[27]:

- توجيه ضربات ضد الحكومة الشّيشانية الموالية لروسيا، بفعل تورطها في أغلب التصفيات الجسدية اتجاه القيادات الإنفصالية الميدانية منها والإدارية (السياسية).
- تصاعد شعبية أنصار الجهاد السلفي المسلح الشّيشاني، لكون أن اغتيال "مسخادوف" يعتبر شيشانيا لإنهاء كل البدائل من أجل تسوية سلمية للصراع، وبالتالي ضرورة الإيمان والاستمرار في الجهاد المسلح كمخرج وحيد للمسألة، وبالتالي سيدفع هذا الشعور، إلى تزايد المنضمين إلى صفوف الأنصار الشّيشان على مصراعيها ليكون هذا كنتيجة لعدم انصياعها للتحذيرات التي وُجهت لها من قبل أكاديميين ومنظمات غير حكومية أو حتى منظمة إقليمية[28] للتفاوض مع مسخادوف. فحالة اغتيال مسخادوف (في 24 جوان 2005م)، ورغم عدم علميّة مقولة "التّاريخ يعيد نفسه" إلّا أنّ طبيعة الصراع

(27) القوقاز: تقرير صحفي لجريدة الخبر الأسبوعي مع الخبير أرسلان شيخاوي. العدد 289، في 23/ 04/ 2004م. ص.ص.، 7-8.

(28) وهنا إشارة لمنظمة الأمن والتعاون الأوربي التي حذرت روسيا من مغبات الإستمرار في الحرب وضرورة الجلوس لطاولة المفاوضات بجدية مع الرئيس الشيشاني والتي تصفه بالمعتدل مسخادوف وهو ما لم يحصل بتاتا.

الشّيشاني-الرّوسي الممتدة، توحي بحالات تشابه عديدة تنبئ باستمرار حرب الأنصار الشّيشانية، وهذه الحالة تذكّر بقصّة اغتيال مؤسس الطريقة القادرية في الشّيشان "كونت حجي" عام 1864 حين خرج الآلاف من مُريديه في مسيرة سلميّة، للإفراج عنه. فقد كان من دعاة السلّم، وأوقف الحرب التي أنهكت شعوب شمال القوقاز على إثر انتهاء الحرب المريدية باستسلام قائدها "الإمام شامل". وكان الرد الرّوسي على المسيرة بفتح النّيران عليهم، وقتلت ما يقارب الأربعة آلاف شخص، فيما عرف لاحقاً بـ: " أحداث شالي" ومن ذلك التاريخ تحولت الطريقة القادرية إلى أكثر فئات المجتمع الشّيشاني عدائية للقوات الرّوسية، وتقلدت زمام النضال ضد روسيا، بعد أن كانت محصورة في الطريقة النقشبندية. وبهذا المعنى فإنّ تفاقم الأمور سوف يجعل الإدارة العسكرية والسياسية الرّوسية تبحث عن جهنم شيشاني آخر، لاستبعادها الحلول السلمية للأزمة.

فشامل باسييف يرى أن مجاهدي الأنصار الشّيشان، يرون أن حل مشكلة الشّيشان لا يّرى إلا بما يوافق الشريعة الإسلامية فقط(29).

ولعلّ أكبر نقطة ستؤثر على استمرار حرب الأنصار الشّيشانية هو الفراغ القيادي الذي سيتركه كلّ من خطّاب وأبو الوليد، والمتمثل في قضية التنسيق بين المجاهدين العرب والشّيشان، بحكم دورهما، وخاصة بالنسبة للقائد خطّاب الذي كان يقوم بدور فاعل في عملية التنسيق بين المجاهدين بمختلف فصائلهم، وانتماءاتهم العرقية وحتى الفكرية منها، وتعزيز حضورهم في صفوف الأنصار تحت لواء الانتماء الأصلي للإسلام الجهادي، بكل ما يمثله من معاني، بعيدا عن أي إطار حزبي أو غيره.

ومسألة أخرى قد تؤثر على مستقبل جهاد الأنصار المسلح، وهي قضية تمويل حرب الأنصار الشّيشانية: فكثير من المتبرعين في سبيل هذه القضية

---

(29) *Le Figaro* n° 1035, du mardi 30 novembre 2004, p3.

كانوا يقدّمون لجهاد الأنصار، ثقةً في خطّاب[30]. وما يقوم به، وثقة في دينه وأمانته، وبعد رحيله ورحيل أبو الوليد، فالخَلف لا يمكن معرفتهم جيدا، إلا بعد فترة واشتداد الوطيس، ولا شك أن تدفق المساعدات المالية والمعنوية للمجاهدين سيتأثر ويؤثر بصورة أو بأخرى على وضع جهاد الأنصار الشّيشان، ولكن هذه الحالة شبيهة بمرحلة ما بعد سيد قطب، فمن كان يظن أن بعد إعدام سيّد قطب[31] أنّ تنتشر دعوته ويتلّهف الشباب على كتبه، وتشهد فترة السبعينات من القرن الماضي إقبالا كبيرا ورغبة في تتبّع آراء ذلك المفكر الكبير وغيرهم من الأمثلة الكثيرة.

ولهذا فالمعطيات السّابق ذكرها، تُرجّح استمرار حرب الأنصار الشّيشانية، وهو مستقبل حربي مرتبط بالفعل الدّيني والقتّالي للمجاهدين الشّيشان، وقدرة المجاهدين على تجاوز بعض المحطّات العسيرة في نهجهم القتالي، وهنا الأمر يقترن مع القوة العقائديّة والمكوّن النفسي للمجاهدين، الذي سيؤدي إلى بقاء الجهاد الشّيشاني صامدا وهو ما معناه استمرار الوضع القائم كسيناريو.

ثانياً: السيناريو الثاني:
تلاشي وتفرق أنصار الجهاد السلفي الشّيشاني

فالأمر هنا يتعلّق بمعطيات خارجية قد تؤدّي إلى إضعاف موقع أنصار الجهاد السلفي المسلّح الشّيشاني: حيث سيقوم الحلف الأطلسي (الناتو) بعملية استراتيجية أولى وحاسمة لصالح القوات الرّوسية، فمن الضروري استعمال التكتيك الجوي بعمق متوسطي يقدر بـ600 إلى 1000 كيلومتر[32]

(30) خطّاب كقائد كان يمثل عنصر ثقة داخل وخارج الشيشان، نظراً لإمامته وقوّة الأمانة التي يشهدها له حتىّ أسراه الرّوس. للمزيد انظر كتاب اللواء- الركن عصمت فوزي: مدخل للقيادة العسكرية، القاهرة: مكتبة الأكاديمية، 2004، ص300.

(31) وهو قائد الفكر الاخواني التقليدي والحركة الإسلامية بمصر، أعدم إلى جانب بعض مشايخ الإخوان المسلمين.

(32) D. Fronçoise Dance: *Les représentations de l'otan dans la politique intérieur russe*, Paris, Juin 2001, p16.

من الحدود الدولية لروسيا. فتحرك القوة الجوية الأطلسية من قواعد أرضية روسية سيؤدي إلى انسحاب جزئي لقوات الأنصار الشّيشانية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن إمكانية قيام الحلف الأطلسي بضربة باسم "مكافحة الإرهاب"[33] في الإقليم الشمالو-قوقازي كعمق استراتيجي، ستكون محدودة للغاية لكون أنه باستطاعة الناتو تحريك 550 طائرة حربية مقاتلة لهذا الغرض من أصل 5300 طائرة. وباستطاعة مقاتلاتها الوصول إلى الحدود الشّيشانية-الداغستانية إلى غاية تتارستان، (حيث إن هذه الجمهوريات تشكل مواقع ذات عمق استراتيجي في إقليم القوقاز كعنصر هام فيما يسمى بالهلال الدّاخلي)[34].

ودخول روسيا في المجموعات العسكرية لحلف الناتو، سيشكل هناك إمكانية للقيام بمناورات أرضية ضدّ حرب الأنصار الشّيشانية، وبالتالي إمكانية السيطرة على تخوم شمال القوقاز باتجاه الجنوب بعمق استراتيجي يقدر ما بين 650-750 متر. بهذا فإن تركيبة القوات الجوية المتحدة لحلف الناتو، ستزيد بالنسبة للقوة التكتيكية الأرضية الرّوسية تقدما على حساب المجاهدين الشّيشان.

وسيكون تحت تصرف الناتو حوالي 190 مطارا عسكريا، بما في ذلك المطارات والقواعد التي بناها الجيش السوفياتي - سابقا -والتي تتسع لحوالي 3500 طائرة حربية. مع استخدام هذه القواعد سيكون بإمكان القوة التكتيكية البرية الرّوسية من اقتحام خطوط دفاعات مجاهدي الأنصار حتى مدينة "فيدينو".

وبالتالي فتزاوج العقيدة الحربيّة الأطلسية بالمذهب القتّالي الرّوسي الجديد سيتُوّج بحرب حديثة، تأخذ عنصر المفاجأة فيها أهميّة أكثر فأكثر. ففي حال حدوث مفاجأة بالضربات الأولى من قبل القوات الجوية للناتو

(33) وهي المهّام الجديدة المسندة للحلف المتحول إلى تحالف من أجل مكافحة ما يسمى ب"الإرهاب".

(34) وهي مجموع الجمهوريات الإسلامية الواقعة داخل أوراسيا (قلب العالم) والتي لا تطلّ على المياه الكبيرة (البحار والمحيطات).

وبضربات صاروخية مكثفة ومستمرة لمدة 5 إلى 7 ساعات، تستفقد فرق الأنصار والفصائل القتالية الشّيشانية إمكانياتها الدفاعية. فقبل نقل مقاتلات الناتو للقيام بالضربة الأولى على الحدود الرّوسية -الشمالو-قوقازية، يتطلب للطيران الارتفاع من قواعده في روسيا إلى إطلاق الصواريخ المجنّحة وهو ما لا يسمح بالدفاعات الأرضية للمجاهدين الشّيشان بتوفير الوقت الكافي للتنبه للهجوم وللرّد الحاسم، وهو ما يجبرهم للترّاجع أو الانقسام.

أمّا بتوزيع قوّات الناتو وروسيا في مرتفعات شمال القوقاز، سيكون بإمكان القوّة المظليّة الرّوسية إحداث ضربات بمدن جهادية كآرغون وشتوي بعد بضع دقائق من إقلاع الطيران من قواعده.

وبدخول هذه الدول سيصل الخطر مباشرة إلى أغلبية الجمهوريات الإسلامية القوقازية، مما سيعطي لحلفاء روسيا الإمكانية في خلال بضع أسابيع نشر (280 ألف جندي و300-400 طائرة مقاتلة وحوّامة)[35].

وبتحرير روسيا من بعض الاتفاقيات الدولية العسكرية التي فُرضت عليها من طرف الغرب والتي لم تكن لصالحها سيمكّنها من تمكين تحفيز وتنشيط قواتها وتحرير استغلال بعض الأسلحة المحظورة دوليا، وكذا تدعيم الصراع الدعائي المستند للحملة الأمريكية لمحاربة الإرهاب ضد أنصار السلفية الجهادية المسلحة الشّيشانية والذي سيسير على اتجاهين:

1 - من داخلها (داخل دول جمهوريات القوقاز الإسلامية)، المنتميّة إلى الاتحاد الرّوسي، عبر التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، المسيطر عليها من قبل مجموعة من السياسيين الموالين لروسيا وشخصيات مالية مرتبطة بجهات مشبوهة، وإداريين وصحفيين ذوي علاقة وطيدة بالصهيونية العالمية[36].

---

(35) أشتون كارتر ووليام بيري: الدفاع الوقائي، استراتيجية أمريكية جديدة للأمن، ترجمة: أسعد حليم، الطبعة الأولى، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2001م، ص68.

(36) Miguel angel miron et eria hernequin; *Guerre mondiale «sainte» et «de longue durée»*, Méxique: centre d'investigation économiques et politique d'actions communés, Chiap-, 2001, p110.

2 - ستعمد روسيا إلى خلق رأي عام داخلي في روسيا ضدّ أية توجهات مضادة للقوات الرّوسية، عبر وسائل الإعلام المسيطر عليها فعليا من قبل جنرالات روس أعضاء في الناتو والصهيونية العالمية.

يوجد عمليا في الشّيشان، حملات رشوة روسية وأموال طائلة تُقدَّم لمجموعات اجتماعية مؤثرة على المجتمع المدني في الأوساط الحكومية الموالية لروسيا، والمستخدمون في هذا المجال هم: صحفيون وعلماء وسياسيون واقتصاديون عن طريق ما يرمز له بمساعدات وبرامج إغاثة غربية، وبرامج تعاون إنسانية مشتركة، والتي ستظهر على شكل أموال وحوافز مادية أخرى، ستعمد من ورائها الإدارة الرّوسية إلى تسيير بلا انقطاع سرقة واسعة النطاق للمخزون الذهني للشيشان والجمهوريات الأخرى بشمال القوقاز، إما عن طريق "تهجير العقول الدّعوية"[37] وإما عن طريق استغلال الكمون الديني لصالح المشاريع المصالحاتية بين الجماهير القوقازية والقوات الرّوسية المتواجدة فيها، بما في ذلك ذات الاستعمال المزدوج، المتمثل في:

1 - المدّ العسكري.

2 - ونزع الثّقة من التركيبة العسكرية الحالية، المتواجدة في الشّيشان خاصة- باستثناء القاعدة الرّوسية بالعاصمة غروزني[38]-، وتوفير "عملاء مؤثرين" في أوساط الشعب الشّيشاني، وإن أمكن في أوساط الأنصار الشّيشانيين.

وهذا كلّه أمام اتسّام مواقف حكومات الدوّل العربية والإسلامية بالسلبية الشديدة تجاه ما يحدث في الشّيشان بل يمكن القول بالصمت تحت مبرر عدم التدخل في الشؤون الداخلية لروسيا، وبالطبع في هذا الموقف نيل

---

(37) Daniel Kiniécik: *Retour de l'époque glacière: rapport est-ouest au seuil du nouveau siècle*, celToslavica, 2000, p28.

(38) وتعتبّر من أقوى الوحدات الروسية المتواجدة في القوقاز، بفعل خبرتها القتالية والتدريب الخاص الذي عنيّت به قواتها من قبل قدامى الحرب الأفغانية، من وحدات القوات الخاصة (التابعون للداخلية الروسية والمظليين الروس التابعين للدفاع الروسي وتسمى بوحدات "إيفان").

من فكرة النُّصرة الواجبة بين الشعوب الإسلامية التي تفرضها فكرة الأمة الواحدة، ولكن في المقابل نلمس تواجد لروح الأمة بين القواعد الشّعبية والنخب غير الرسمية، التي مازالت تتعاطف مع القضية الشّيشانية، وتسعى إلى خدمتها بكل السبل الممكنة المعنوية أو المادية على حد سواء.

وبالتالي ستعمد إدارة بوتين في الحملات العسكرية المقبلة إلى تفادي أخطاء قد وقعوا فيها في الحروب الماضية. وعليه هل ستكون للمجاهدين (المقاتلين) الشّيشان فرصا أخرى شبيهة بالسابقة منها، لاقتناص الرّوس؟ وما مدى نجاحهم في تحقيق الفاعلية دون الاعتماد على الدعم أيا كان مصدره؟.

فمن أهمّ الأخطاء التي يتجنب الرّوس وقوعها في الحملات القتالية المقبلة هي: مساندة الرّأي العام الرّوسي والعالمي للشيشان، حيث سيبُرز الخِطاب الرّوسي المجاهدين الشّيشانين كإرهابيين انفصاليين، يجب على الجميع التصدي لهم. وبالتالي فتصاعد الحمية الإسلامية عند المجاهدين ستستغلها قيادة أركان القوات الرّوسية، خاصة بداغستان (عند محاولة إقامتهم لدولة إسلامية في داغستان) لتقوم بعمليات عسكرية لملاحقة مجاهدي الأنصار الشّيشان في داغستان حتى يجبرونهم على الانسحاب إلى الأراضي الشّيشانية. ومن ثمّ ملاحقتهم على الأرض الشّيشانية نفسها.

وهنالك اتجّاه روسي[39]، يرى أن روسيا ستوجد بطريقة أو بأخرى الظروف لامتداد الحرب في كامل شمال القوقاز، لتحقيق أمر هام يتصّل بالسياسة الداخلية الرّوسية مع اقتراب الانتخابات البرلمانية الرّوسية والانتخابات الرّوسية[40] على النحو الذي يرجح من كفة القوى الليبرالية في مواجهة القوى الشيوعية. ولهذا فإن أغلب الأخصائيين الرّوس[41]، يتحدثون

(39) وهو الاتجاه المحافظ المشكل لقدامى ضباط الجيش الأحمر.

(40) الأمر يتعلّق هنا بانتخابات 2008 الرئاسية، حيث أمر إنهاء الحرب الشيشانوروسية بات أمراً ضرورياً لبوتين لتجديد عهدته، خاصّة بعد الفضائح العسكرية والأمنية التي أعقبته، جرّاء عدم تسييره بعقلانية الأزمة الشيشانية.

(41) وهو الاتّجاه الممثل لرافضي الإجتياح الروسي للشيشان، والذي يضمّ جمعيات مدنية وحقوقية روسية متعاطفة مع القضية الشيشانية.

عن كيف أن الحرب في الشّيشان هي خيار محسوب من أجل ترجيح كفة بوتين في السياسة الرّوسية.

أمّا الإدارة العسكرية الرّوسية ستعمد إلى استراتيجية قتالية مرحلية تكون دفاعية، وتكتيكاتها تراجعية في معظمها، ويكون هدفها الرئيسي الحفاظ على العاصمة والمراكز الأكثر استراتيجية لذا استعانتها بقوات من الناتو سيكون بقصد ملاحقة وتضييق الخناق على أفراد الأنصار الشّيشانية. وتضمن تكتيكاته، الانسحاب من المواقع الثانوية وهذا عن طريق:

- ترك المدن الإقليمية كضفّة تيريك.
- التراجع إلى المدن الرئيسية.
- محاولة تثبيت الحكومة الموالية.

وفي هذه المرحلة ستحوّل قيادة القوّات الرّوسية حربها من حرب ضدّ العصابات الشّيشانية إلى حرب متحركة بشكل رئيسي وبسرعة، وخلال تطور الصراع ستتحول إلى حرب مواقع، لتتواصل معارك المدن والتحصينات، حتى تنضج الظروف الحربية للمعركة العسكرية الواسعة الجبهات، التي سيتم فيها -حسب التقديرات العسكرية الرّوسية-[42] سحق حرب العصابات الشّيشانية.

وبالتالي بهذه التحركات ستتمكن روسيا من أن تجد لنفسها أدواراً مهمّة في الحرب الأمريكية وحلفائها على الإرهاب، ويمكن أن يكون هناك اتفاق ضمني بين إدارة موسكو وإدارة واشنطن لمكافحة ما يسمى بالإرهاب[43]. فالقوات الأمريكية المتمركزة في محيط روسيا عليها أن تتعامل مع روسيا في إطار اتفاق جيو-استراتيجي يخدم واشنطن أيضا وهذا الاتفاق سيجعل من روسيا فاعلاً أساسيا في أوربا وامتداداً إستراتيجياً لها، إذ تبقى روسيا عنصرا فاعلا، تريد أن تعتبر كقوة جديدة، ويتعين على

---

(42) Dr. Fronçoise dance, op.cit, p34.

(43) الغريب في الأمر أن المستهدف الأمريكي والروسي هو واحد، الجهاد الإسلامي، فهل هي صدفة!.

الأمريكيين أن يراعوا هذا العامل، وما يجمعهما حاليا هو مكافحة الإرهاب الدولي.

فلقد مثلّت حرب الأنصار الشّيشانية أكثر من مجرّد ظهور وضع استراتيجي وسياسي روسي جديد، فتلك الحرب قد مثلّت أيضا عرضا حقيقيا لما يمكن اعتباره على أنّه ما قد سمي سابقا بالمذهب العسكري الرّوسي الجديد. فالنصّر السريع والحاسم للولايات المتحدة سيخلق معاني ضمنية عديدة بالنسبة للمحللين الرّوس والمدارس العسكرية الرّوسية، فقد يتحول المذهب العسكري الجديد لروسيا والذي كان وليدا عن الهزيمة التي منيت بها القوات الرّوسية في الحرب الرّوسية- الشّيشانية الثانية ليتطور باحتكاكه بالقوات الأطلسية (الناتو) إلى نسخة رهيبة من مذهب الحرب الخاطفة(44)، والذي كان ينتهجه الرايخ الثالث الألماني في الحرب العالمية الثانية، فقد يستطيع التفوق الجوي الأطلسي الهائل تدمير كل ما كان يقف في طريق قوات المشاة الرّوسية لتحل بعد ذلك إلى جانب قوات المظليين الرّوس الدبابات من طراز "M1 A3" و"برادلي" بـ "التنظيف النهائي" لأنقاض وحدات الأنصار الشّيشانية.

علما أنّه في النسخة القديمة من الحرب الخاطفة للرّايخ الألماني، كانت قوّات المشاة هي التي تدعم القوات الجوية، أما في النسخة الجديدة روسيا، فإن قوات المشاة الرّوسية هي التي ستكون تحت حماية ودعم القوة الجوية الهائلة للناتو، والتي كانت القاتل الحقيقي في المعارك، خاصّة في نهاية القرن العشرين وحلول النصف الأول من القرن الواحد والعشرين، وهذه الاستراتيجية الجديدة هي التي ستمكّن تكتيكيا القوات الرّوسية أن تجعلها تفهم كيف تقوم قوات أرضية قليلة العدد مثلما هو الحال بالنسبة لأنصار الجهاد الشّيشاني السلفي المسلح، بهزيمة قوات أرضية تفوقها خمسة

(44) وهو نابع من نظرية الشلل الاستراتيجي من قبل الجنرال هاينز غوردريان Hans Gordrian، ومضمونها هو استعمال السرّعة كسلاح بسيكولوجي لا للقتل ولكن للتنقل ولا بهدف القتل بل بهدف تعريض الخصم للجنون، وبغرض التضليل، وكان هدف غوردريان الألماني في الحرب العالمية الثانية هو إحداث الشلّل لا في الأجهزة القيادية المعادية فحسب، بل شلّ الحكومة أيضا. وهو ما اقتبسه الروس وحاولوا تطبيقه.

أضعاف، فبدلا من الانتظار لمدة شهر كامل حتى تنتهي القوات الجوية من القضاء على قوات العدو الأرضية، ثم بعد ذلك تتقدم قوات المشاة، ففي هذه المرة سيتسنى للقوات الرّوسية التحرك منذ البداية، وقبل فترات قليلة من اصطدام القوات الأرضية الرّوسية مع رجال الأنصار الشّيشان، ستكون القوة الجوية الهائلة للناتو قادمة لتقوم بتصفية جميع معاقل وصفوف المجاهدين الشّيشان، وعندما تصل الدبابات والمدرعات إلى ساحة القتال، لا تجد شيئا قد بقي من قوات الأنصار المتضررة من جراء القصف فيقومون فقط بعملية التنظيف النهائي.

وقد يساعد على ذلك انقسام وحدات المجاهدين الشّيشان لتفادي الحصار الجوي والمطاردة المكثفة للقوات الرّوسية لهم، وهو ما سيساعد على نجاح تلك الاستراتيجية، غير أن هذا لن يجُنب الرّوس الوقوع في خطأ فادح آخر، عندما سيحاولون تحريك لواءاتهم العسكرية المدرعة وأسلحتهم الثقيلة وقواتهم الخاصة، خارج العاصمة غروزني ليواجهوا ويوقفوا زحف المجاهدين الشّيشان في حرب أنصار مفتوحة على كل التكتيكات القتالية، فقد أدى ذلك الخطأ (الذي وقعت فيه القوّات الرّوسية إبّان الحرب الثانية) الفادح، إلى تدمير الدفاعات الحقيقية الوحيدة التي كانت موجودة لإبقاء الحصار على العاصمة غروزني، ففي مرتفعات الشّيشان سيتسنى للوحدات الشّيشانية التشتت للتراجع أمام الكم الهائل من الضربات الجوية والاندفاعات الأرضية الرّوسية.

وبناءا على تلك المعطيات، ستحدث التداعيات العسكرية وغير المباشرة لحرب الشّيشان على الفور بدون أيّ تأخير، لتبدأ العقيدة العسكرية الرّوسية نحو صب اهتمامها الخالص على تحصين دفاعاتها بأرض الشّيشان على وجه الخصوص وعلى الهجومات الجوّية بكامل إقليم شمال القوقاز. وبالتالي وضع كافّة جهودهم لتطوير أسلحة تستطيع مقاومة القوّة القتالية لمجاهدي الأنصار الشّيشان. وعلى الرغم من حالة الجيش الرّوسي المتدنية، فقد تم وضع كافة المصادر المتاحة، تحت تصرف القوات الرّوسية لتحديث دفاعاتها وتحصيناتها الأرضية. وكما أشار تقرير لجنة الشؤون العسكرية

والدفاع بالكرملين[45]، فإنّ القوّات المسلحة الرّوسية تُعد لتدريبات غير عادية، سوف تعتمد فيها على الدّروس التي تعلمتها من حرب العراق[46]، والهدف الرئيسي من تلك التدريبات سيكون الانقضاض على قمم المقاومة الشّيشانية كتحصينات طبيعية لها. وبدون شك أن روسيا ستنقل نفسها إلى مواضع الحيطة والحذر، بسبب ما رأته قيادة القوات الرّوسية من العرض غير العادي للقوة الذي أظهره الجنود الأمريكيون في العراق.

ومن الواضح أن القوات الرّوسية تقودها الآن السياسات والرؤى الأطلسية، وستبدأ روسيا في محاولة لتشكيل ناتو مصغر بمنطقة شمال القوقاز تحت غطاء رغبة بعض الدّول أعضاء الحلف الأطلسي (كناتو كبير) في إيجاد تعاون بين كتلة أوروبية خالصة. وهو ما معناه فتح جبهة جديدة لإحداث توازن عسكري مع الصين، ولدفع الإتحاد الفيدرالي الرّوسي إلى توقيع معاهدات الدفاع المشترك مع بقية دول وحكومات الإتحاد السوفياتي السابق كأوكرانيا وبيلروسيا.

ففي خطاب الرئيس بوتين أمام قيادة أركان القوات الرّوسية في 4 سبتمبر 2004م، بعد حادثة بيسلان من جمهورية أوسيتيا الشمالية، والتي قامت بها مجموعة تعمل تحت أوامر القائد الشّيشاني شامل باسييف والمتمثلة في مجزرة أتت نتيجة عملية احتجاز الرهائن في أحد المدارس، صرّح أنّه: "بعض الناس يحاولون أن ينتزعوا منّا لقمة هنية، والبعض الآخر يساعدونهم في فعل ذلك، بافتراض أنّ روسيا كقوة نووية لا تزال تشكل تهديدا لهم. ولهذا يجب إزالة هذا التهديد.. "الإرهاب" بطبيعة الحال ليس سوى أداة لتحقيق مثل هذه الأهداف". ويعتبر التصريح موجها ضد جورجيا وأذربيجان وربما تركيا، كردة فعل ضد هذه الدّول المعروفة

---

(45) Igor (M): *Pour une nouvelle armée: la Russie face aux bourbiers géopolitiques*, traduit par: Michèle Saignon, édition Fayards, 2003, p141.

(46) حيث قدّمت لروسيا مساعدات اقتصادية أمريكية مقابل مشاركتها في الحرب ضدّ العراق الأخيرة والتي تجهل لحدّ الآن طبيعتها حسب تصريحات الدكتور ماتيو كلاريفيتش (Matteau Klaryvitch) في حوار أجرته معه جريدة le Monde العدد 3015، بتاريخ: 25 فيفري 2004م، ص19.

بتسهيلها لوصول الدعم اللوجيستيكي والعسكري إلى المجاهدين الشّيشان. وهو ما يُنذر بأنّ حرب روسيا السياسية ستكون موجهة بالدرجة الأساس نحو دول من آسيا الوسطى وإلى الدّول الإسلامية عامة. فالأشخاص الذين سيشكلون حلقة الوصل التي ستستخدمها روسيا في قطع الدعم اللوجيستيكي على أنصار السلفية الجهادية المسلحة الشّيشانية وإثبات تورّط كلّ من تركيا وأذربيجان في دعم ما تسميهم بالانفصاليين في القوقاز، موجودون في تركيا وأذربيجان ودول أخرى حليفة للمجاهدين القوقاز. وأبرز هؤلاء هم[47]:

- إلياس أحمدوف، وهو موجود في تركيا.
- خوجة أحمد نوكاييف، ويتواجد حاليا في إيران.
- أحمد زكاييف القاطن بأذربيجان.

فحسب الحكومة الرّوسية فهؤلاء الأشخاص على اتصال بالزعيم العسكري الشّيشاني شامل باسييف، ومن القضايا المثيرة، هي علاقة نوكاييف الذي يُعتبر من زعماء المافيا في روسيا في التسعينيات بطبقة الأغنياء الجدد الذين نهبوا روسيا في عهد يلتسين المطلوبون من العدالة ممن يحملون الجنسية الإسرائيلية الرّوسية المزدوجة. من أهم هؤلاء هم: "بوريس بيريزوفسكي" (Boris Byrizovsky)[48] الحاصل على اللجوء في لندن وكان لهذا الأخير دورا كبيرا جدا في عهد يلتسين في المفاوضات مع الشّيشان. لكن اتضح روسيا أنه من مروجي انفصال الشّيشان وفق خطة وضعها نوكاييف في عام 1997م[49].

غير أنّه في حقيقة الأمر، الرئيس الرّوسي بوتين لا يعرف حقيقة ما يجري في الشّيشان. فجنرالاته وضباط مخابراته يخدعونه ولا يقدمون له

(47) د. علا عبد العزيز أبو زيد: **الحركات الإسلامية في آسيا**، مركز الدّراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، 1998م، ص68.

(48) ويعتبر أكبر ممول يهودي- روسي للأنصار الشيشان والذي يكن الكراهية لحكماء روسيا.

(49) مفادها منح الجمهورية الشيشانية استقلالها والاعتراف بها مقابل استفادة روسيا من جوازات اقتصادية بنهر التيريك.

الحقيقة، فلقد منحت الطبيعة والتاريخ لروسيا حدودا طويلة مفتوحة وشعبا موزعا وطرقا سيئة، ففي 15 أكتوبر 2003م، حثت القيادة القديمة للجيش، وهي في أواخر أيام نشاطها على عدم نسيان الموضوعية التالية: " لا يمكن لأي تنظيم لعصابات أو لميليشيا في المستقبل القريب، إلا أن يكون له طابع تحضيري، وكل تقدّم في هذا الصدد ينبغي أن يمليه علينا التحقق الدقيق من النتائج المكتسبة". وفي عام 2004م، أتى عهد جديد وتولى أنصار " المذهب الحربي الرّوسي الجديد" السلطة العسكرية.

وفي الحقيقة إن الجيش الرّوسي كان متناقضا تماما مع مبدأ " الهجوم" و"المناورة" الخاص بالمدرسة المذكورة.

غير أنّه محاولة لإحباط معنوّيات وحدات الأنصار الشّيشانية سوف تعمد قيادة القوات الرّوسية إلى خفض نسبة ميليشياتها التابعة للمظليين والقوات الخاصة الرّوسية من 74 بالمائة إلى 23 بالمائة، يبدو مبالغا فيه رغم كلّ شيء. ومن المُرجّح أيضا أنّ الإدارة العسكرية الرّوسية قد وجدت في ذلك فرصة ملائمة للتخلص من هذا النظام لأسباب سياسية إلى حد بعيد. فالفرق الإقليمية تابعة مباشرة للأهالي الرّوس والبعض من القوقازيين، وهذه ميزة الميليشيا الرّوسية الكبرى. ولكنها في الوقت نفسه ميزة سيئة من وجهة نظر الكرملين.

والمشكلة الرئيسية في تدخل قوات الناتو إلى جانب روسيا في حرب القوقاز، تكمن داخل المعسكر الغربي[50] (الناتو)، حيث أنّ روسيا ترغب دخول النظام الاستعماري الجديد بالشروط التي يعرضها الغرب، وفضلا عن ذلك فهناك شك سببه عدم القدرة على التنبؤ والطموح الغير واقعي، وهذا يرتبط بعدم قدرة روسيا الواضحة في الوقت الحالي على إحداث بعض إجراءات النظام والتنظيم الداخلي، وهذا بدوره يجعل من الصعب جدا أن يوضع في المكان شيئا ما يشابه المظهر الديمقراطي الكاذب للغرب. فإن

(50) لكون مجموع الدّول المشكلة للحلف هي غربية مسيحية، ولكوّن المستهدف إسلامي، يتحول الحلف إلى عسكرة مسيحية ضدّ كيانات إسلامية.

شوفينية دولة كروسيا ترى في نفسها قوة عظمى ونظامها الفاشستي يجعل منها شريكا صعبا للغرب، وفضلا عن ذلك ولأن نواياها الفعلية دائما محل شك فإنّه من الصعب أن تندمج في حركة نحو هدف مشترك، ومع ذلك فإن الغرب ليس في وضع يجعله ينسى ببساطة روسيا، لأنه حتى يفعل ذلك من المحتمل أن يكون أكثر عمقا في إنتاجيته المضادة، كما أدرك ذلك بُناة الإمبراطورية الغربية أثناء الصراع في البوسنة والكوسوفو، فإذا لم يسترض الغرب روسيا، فإن هناك خطرا من روسيا إذا حاولت أن تمشي في طريقها كما تشاء، وهذا بدوره يشكل خطرا حقيقيا يتمثل في مواجهة أخرى عديمة الجدوى داخل المعسكر المسيحي، مسببة ضعفا له من الداخل.

لهذا ما هو الثمن الذي يضطر الغرب لدفعه للسماح له بالتصرف مثلا في البلقان دون تدخل روسي جاد؟ الإجابة بالطبع هي شيشينيا، فتّم السماح لروسيا بأن تطلق يدها في القوقاز، بالمقابل تسمح للغرب بمواصلة أهدافها في البلقان، وهذا يخدم أيضا غرض عقاب العالم الإسلامي الذي ادعى بأن انتصار المجاهدين الشّيشان في سنة 1996م هو انتصاره، ولقد ارتأت الأيديولوجيات المسيحية على النقيض في هذا الانتصار هزيمة لا تغتفر، ولابدّ أنّ تنعكس ضد العالم الإسلامي، حيث تمّ العرض على روسيا بإطلاق يدها كما تشاء في القوقاز إضافة إلى إدراك رأي الغرب في الحرب السابقة، وكل ذلك يعزز الإشارة للروس أنه بإمكانهم التصرف تماما كما يرون، وبمعنى آخر كان لديهم الترخيص بالتصرف كما يحلو لهم دون قيد أو تحفُظ، في البدء بسحق المجاهدين الشّيشان وإنزال الهزيمة بالعالم الإسلامي بوجه عام.

وبالتالي ستحاول القوات الرّوسية التعلم من أخطائها أثناء الحرب الثانية (منذ 1999م)، لتقوم بمحاولة تنفيذ حملة عسكرية سريعة وجيدة التنظيم.

فروسيا لن تخالف أيّة قاعدة جديدة بخصوص سلوكها إزاء القانون الدولي، فهي على ألفة تماما باستعمال "الإرهاب" والإبادة الجماعية كأدوات حرب، فروسيا لن تفعل شيء على خلاف الوسائل التي يستخدمها

المجتمع الدولي، ربما ذلك جزئيا، لأنهم يعترفون بأنفسهم بالديمقراطيات الغربية المزعومة التي تصمت عن جرائم روسيا، وفي نفس الوقت يبحثون عن طرق للحفاظ على علاقات طيبّة.

وإذا ما حاولت شعوب إسلامية أخرى من الجمهوريات السوفياتية السابقة تحقيق حقّهم في تقرير المصير، بعزم وروح كما بدا ذلك في طاجاكستان[51] إثر انهيار الإتحاد السوفياتي، فإنهم سيلقون نفس المصير، فقد تم تدمير البوسنة وكوسوفو جزئيا لأنهما اختارا تحديد مصالحهما من بين الخيارات التي قدمتها لهم زمرة الدولة اليوغسلافية من خلال الأمم المتحدة، ويجدر هنا مقارنتها مع الهجمات الوحشية التي لا نهاية لها، والتي تم القيام بها في كشمير[52] وفلسطين، حيث يتم عمل محاولات لتأسيس دولة إسلامية مستقلة في إفريقيا[53]، وأجزاء أخرى من آسيا، وجريمتهم أيضا: أنهم يبحثون عن تحقيق تقرير مصير حقيقي بشروطهم، وبهذه الأمثلة أصبح النموذج واضحا.

فعندما انحاز المجتمع الدولي أثناء حرب 1994-1996 للشيشان كان لا يدري بالمبادئ التي سوف يستخدمها المجاهدون الشّيشان في بناء دولتهم، وكان لدى قادة الدّول الغربية الأمل في أنهم سينجحون في فرض أيديولوجيتهم وقيمهم وطرق حياتهم على الشّيشان، وأنهم سيكونون قادرين على إدخال الشّيشان في حظيرة الأمم الديمقراطية، وبإيجاز كان لديهم الأمل على الوصول في حالة الشّيشان إلى ما قد وصلوا إليه حتى الآن مع معظم الشعوب الإسلامية في الإتحاد السوفيتي السابق، ومع ذلك برهن المجاهدون والشعب الشّيشاني على أنهم مصرّون على نضالهم غير متراجعين عنه. فقد اختاروا المضي في طريق الشعب المسلم الحقيقي الذي يكرس جهده لإحياء الأمة أي المجتمع الديني الإسلامي، كي يحتلوا مكانهم مع المسلمين الآخرين في أمة إسلامية واحدة، ولهذا رفضوا خيار البقاء مجرد

(51) الد. علا عبد العزيز أبو زيد، مرجع سابق، ص204.

(52) الد. محمد صادق صبور: النقاط الساخنة في أوربا وأمريكا اللاتينية، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، الجيزة-مصر: دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، 2002م، ص276.

(53) نفس المرجع، ص188.

سكان يعتنقون العقيدة الإسلامية، وناضلوا لصالح إتباع طريق الإسلام القويم، وأحد نتائج هذا النضال القويم أنهم أيضا كرّسوا حياتهم لقضية الحرية لإخوانهم المسلمين الذين يعانون الظلم في أجزاء أخرى من العالم، وفضلا عن ذلك قد تحدثوا بوضوح عن ضرورة إحياء الخلافة الإسلامية كي تكون في العالم مرة أخرى، قوة تتصرف وفق القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى. ويدفع الشّيشان اليوم مقابل سموّ هذه المثاليات والطموحات إضافة لإصرارهم على تنفيذها، ولكن الأهداف التي يناضلون من أجلها ما زالت جديرة بالمزيد من المجاهدة.

ومع ذلك فإنّ روسيا وحلفاؤها ستبحث هناك عن وسائل بديلة لحصول الشّيشان على حقّ تقرير المصير، شريطة ألّا تكون مسلمة، ويجادل مهندسو الحرب في القوقاز الرّوس ومؤيدوها بالطبع، في أنّ ظروفا وشروطا خاصّة قد تجعل من تكوين دولة شيشانية أمراً ممكنا، ومع ذلك يوجد مثال حديث على تكوين الدولة، فلقد لوحظ مؤخرا انفصال بتيمور الشرقية عن اندونيسيا وهو انفصال تمّ على أسس دينية، ففي حالة بتيمور الشرقية استخدم المجتمع الدولي القوة والتهديد بالقوة العسكرية ليفصل جزءا مسيحيا صغيرا من سكان دولة عن الجزء الأكبر المسلم، أعلنوها عندئذ دولة، وبهذا العمل حققت زُمرة منظمة الأمم المتحدة عددا من الأهداف:

- فقد قسمت هذه الزمرة دولة إسلامية، وبهذا أضعفتها.
- جعلت السكان المسيحيين تحت حمايتها المباشرة ولتظهر على الدّول الإسلامية الأخرى نتائج عدم الانقياد والإنصياع للأوامر.
- وإضافة لذلك، هناك فائدة إضافية، وهي أن ذلك قد يشجع أصحاب الديانات الأخرى، ليتحولوا عن دينهم للمسيحية بسبب الفوائد الجمّة من وراء ذلك.

وبالطبّع تعمل معايير مزدوجة في هذا المضمار، ومع ذلك فلا يوجد أمر مصادفة أو غير عادي بخصوص ظهور مثل هذه المعايير المزدوجة تحديدا لأنّ هذا النّظام يعمل كمبدأ دائم في السلوك السياسي في الصّراع الدّولي، فكيف يمكن للإنسان أن يفسر شكل الحروب الرّوسية في شيشينيا

التّي استمرّت لقرون حيث يشمل الصّراع شعبين بديانتين وحضارتين وعادات معيشية مختلفة تماما ويعيشان في أراضي منفصلة تماما، ومع ذلك يتّم وصف الصّراع بأنّه شأن داخليّ روسيّ، وفي نفس الوقت في تيمور الشرقية فإنّ انفصال عدد صغير من السّكان المسيحيّين يشتركون بشكل كبير في اللّغة والثّقافة والعادات مع الأغلبيّة المسلمة، ويتمّ تصوير هذا كشأن يتطلب التدخّل بل التورط الدّولي، وهنا يجدر التّساؤل بالطّبع: لماذا تعتبر مسألة تيمور الشرقية موضوع اهتمام دولي بينما مسألة الشّيشان لا تعتبر كذلك؟.

ومع ذلك، فقد تبنّت القيادة الرّوسية طريقة مباشرة أكثر عدوانية في مواجهة الشّيشان، وستنطلق المواجهة مع المجاهدين الشّيشان بالطّبع، من قابلية وميل داخلي قديم العهد في روسيا.

ومن منظور إسلامي فإنّ تراجع حرب الأنصار شيشانيّا، وفقاً للمعطيات السّابقة، هو سّلوك قتالي اضطراري، والذي لا يعني الانسحاب تماما، فغياب أي أثر ضئيل للوحدة يشكل له مغزى عمل القوى العسكرية التي تواجه مجاهدي القوقاز، وفضلا عن ذلك فإن الأمر لا يبدو كما لو كانت مشكلة الوحدة من المحتمل أن تحُل في المستقبل القريب بين القيادة السياسية الشّيشانية، على يدّ خليفة مسخادوف، الرئيس أحمد زكاييف وقيادة حرب الأنصار الانفصالية ونتيجة لذلك فإنه لا يبدو من المحتمل أن الانفصاليين الشّيشان سوف يكونون قادرين على عرض استجابة متماسكة ومؤثرة على المشروع الاستعماري الرّوسي الجديد يمكن القيام بها ضده، ومن الصحيح أنّ بعض الأمم قد استطاعت عرقلة مهندسي هذا التصميم الأمبريالي الجديد، وترد للذّهن إيران وأفغانستان والسّودان وباكستان كأمم عارضت بطرق معيّنة وفي ظل شروط معيّنة- الغرب المسيحي، وإذا ما سّلمنا بقوة المعارضة في هذه البلاد، فإن روسيا وحلفائها وأعضاء عديدين في المجتمع الدولي، قد شكلوا سياسة نحو عزل هذه الدّول والتّقليل من نفوذها، ويمشي هذا يداً بيد مع السياسة التّي تم تبنّيها تجاه الدّول التي لها مقدرة إسلامية قوية مثل تركيا ومصر والمملكة العربية السّعودية، حيث أنّ الهدف هو التقليل من المأمول من هذه الدّول التّي تصبح إسلامية، وبهذا يؤمّنون أنفسهم من بزوغ قيادة إسلامية أصيلة في هذه البلاد، وبالمثل فإن

الدّول المستعمرة جزئيا في وسط آسيا وكازاخستان يمكن استخدامها كحلفاء (ممرات حربية وقواعد خلفية) عندما تقضي الضّرورة.

وممّا سيؤدّي إلى تصعيد دور القوّات العسكريّة الرّوسية على حساب مجاهدّي الأنصار الشيشان، ما يلي[54]:

1 - لا ترتبط قرارات وإجراءات المنظّمات الدولية بالمواقف الفعلية لقادة الحزب تجاه الجهاد في الشّيشان، والواقع أن هذه الأجهزة هامشية، ولا تمثّل التيّار الرّئيسي لسياسات حكومات هذه الدّول أو السّياسات التي تنتهجها في السّاحة الدولية.

2 - لم تلق قرارات وإجراءات هذه الأجهزة أي تأييد من الأجهزة التنفيذية للدول الغربية سواء على الصعيد الوطني أو الصعيد الدّولي، وهذا يثبت أنّ أنشطة وبيانات هذه الأجهزة شكلية من حيث طبيعتها وليس لها سلطة التأثير الفعليّ على مجريات الأحداث، وهذا أمر يتضّح من الواقع المعاش.

3 - لا تتأثّر سياسات المجتمع الدولي بشكل كبير بمبادئ الأخلاق العامّة أو بآراء الجمعيات تجاه انتهاكات حقوق الإنسان وغيرها من الانتهاكات، وإنّ نظرة إلى تاريخ تدخّل المجتمع الدّولي في حالات الانتهاكات الخطيرة على حقوق الإنسان أو ارتكاب جرائم الإبادة الجماعيّة، تُظهر عدم إمكانية اتخاذ إجراءات ذات مغزى ما لم يكن تدخّل المجتمع الدّولي مطابقا للأهداف السّياسية، ومن ثمّ فلا غرابة من عدم اتخّاذ إجراءات ذات فعالية إزّاء تعرض شعب مسلم كالشّيشان لانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان أو حتّى إذا تعرض هذا الشعب لمذابح صارخة، فإذا انخرط شعب من الشعوب في صفوف الجهاد المسلّح والكفاح لبناء دولة إسلاميّة، فلا بد أن يتوقّع هذا الشعب مواجهة تواطؤ ما يسمى مجتمع الدّول الدّيمقراطية، من أجل تدمير هذا الشّعب والقضاء عليه.

---

(54) أبو النّور، محمد فراح: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز: مستقبل العالم الإسلامي، الطّبعة الثانية، المملكة العربية السّعودية: دار هجر للنشر والتّوزيع، 2002 م، ص45.

4 - إنّ شعوب الدّول الغربية المسيحية وحكومات تلك الدّول غالبًا ما تبدو منفصلة انفصالا واضحا من حيث نظرتها للعالم، ورغم ذلك فإن آراءها يمكن أن تتجمّع وتتوحد إذا تعلقّ الأمر بمسائل تنطوي على ما يُشار إليه بصفة عامة في الغرب مسمى سياسة الواقع، وفضلا عن ذلك فإن الوضع يتمثل في أنه لم يحدث إطلاقا أن أسقط شعب حكومته بسبب ردّ فعل هذا الشّعب إزاء المعاملة التي تفرضها الحكومة على الشعب، ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أنه ما يطلق عليها اسم الدّول الدّيمقراطية بالغرب لديها مجتمعة مجموعة من الطرق والوسائل الجماعية، تلجأ إليها للتعامل مع الرأي العامّ وتخفيف حدّة القلق الاجتماعي، وهذه الطّرق يتم استخدامها بمهارة كلّما اقتضت الأمور ذلك.

ولهذا فإنّ الحرب التي تبحث عنها روسيا ستعكس استعدادهم لفعل أيّ شيء لتحقيق هدفهم الذّي يرمي إلى الحيلولة دون تحقيق استقلال الشّيشان.

فلقد كشفت الحرب الشّيشانية الرّوسية بعض الحقائق الرّئيسية عن الحالة الرّاهنة للسّياسات العسكرية الرّوسية، ذلك لأنّ ساحة الاستراتيجية العسكرية الرّوسية شهدت ظهور واحدة من أكثر الاستراتيجيات الرّوسية تعصّبا، كما لاحظ ذلك الرّئيس الشّيشاني السّابق. جوهر دوداييف[55].

وسيضطر بذلك المجتمع الدولي إلى التواطؤ مع الاجتياح الرّوسي، لما له من استثمارات سياسية واقتصادية في الدولة الرّوسية، وبهذا سيكون المجتمع الدّولي قد ربط نفسه بامبريالية جديدة لا حدود لطموحاتها، ومع ذلك فإنّه إذا كانت بقية دول العالم قد قرّرت دعم مطالب الساسة والعسكريين الرّوس وطموحاتهم الإقليمية، فإنّ ذلك لا يعني أنّ المجاهدين الشّيشان سيفعلون ذلك.

ويعتبر العدوان الرّوسي تعبير عن كراهية الرّوس المتأصلّة في نفوسهم

---

(55) الدّكتور، محمّد مجاهد نور الدّين: بحوث ودراسات في المذاهب والتّيارات، الجزء الأوّل، الطّبعة الأولى، المملكة العربية السّعودية: دار هجر للنشر والتّوزيع، 2003م، ص350.

عبر التّاريخ لشعوب القوقاز المحبّة للحرية ولاسيما لشعب الشّيشان، ولهذا سيُظهر العدوان الرّوسي العسكري إصرارهم واستعدادهم لتسخير كمّ هائل من مواردهم من أجل تحقيق التصفية السّياسية والجسدية للمجاهدين الشيشان، وهذا يتماشى مع التوجّهات التّاريخية للقادة العسكريين الرّوس للتعامل مع رجال أنصار السلفية الجهادية المسلحة الشّيشانية وقواعدهم الخلفية الشعبية وعناصر الإمداد والتموين فقط بطريقة عدوانية، ليتضّح في المرّة المقبلة، أن هناك نية للقضاء على شعب الشّيشان، إلى الأبد، وهذا أمر لا يقتصر إثباته فقط على عدوانهم على شعب الشيشان، بل يثبته تعديهم على سجلات تاريخ الجهاد والإسلام بالإقليم، فلقد أخذوا على عاتقهم التدمير الشّامل للمتاحف والمحفوظات والمكتبات التّي تضمّ الوثائق والأشياء التي تسجّل تاريخ الإسلام والجهاد بالشّيشان[56].

وما سيدفع إلى تراجع قوى الأنصار الشيشان هو ضعف الحسّ الوطني للشعوب المجاورة لجمهورية الشيشان، وسيزيد من هذا الضعف في القرار الوطني، الخوف الذّي غرسه في نفوسهم العدوان الرّوسي على شيشينيا، لتشهد هذه الشّعوب شراسة العدوان الرّوسي والأساليب التي يستخدمونها ضد الشّعب الشّيشاني.

وسيلجأ القادة الرّوس لإضعاف شوكة مجاهدّي الأنصار الشّيشان إلى الاستعانة بمقيمين في الشّيشان ليس لهم أي انتماء عرقي، وبعناصر إجراميّة بين صفوف الشعب الشّيشاني لمساعدتهم في أعمالهم العسكرية. هذه الخصائص فضلا عن أعمال البربرية الظّاهرة التي ستتصعد روسيا والمشهودة شيشانيا والمعتبرة من الأمور المألوفة عندهم كون هذه الأفعال مأخوذة من الترسانة التقليدية لروسيا وما تشمله من أساليب إجرامية عند التعامل مع الشعوب التي تأبى الخضوع لسلطتها، ولقد شهد الشّيشانيون وقادتهم هذه الأساليب مرّات كثيرة منن قبل، بدأت من عهد الشيخ منصور حتّى عهد

(56) وهذا تحت تعاليم الكهنة الأرثدوكس الرّوس الذين يحيطون الوحدات القتالية الرّوسية بدعوات المسيح ورضى الرب كما يزعمون، للمزيد إطلع على كتاب: Broxup, Marie Dennigsen (editor): *The nort Caucasus Barrier: The russian Advance towards the muslim world*, London: Hurst, 1992, p333.

الإمام شامل، ومن عهد حسن إسرائيلوف حتّى عهد عبد الرّحمان أفتوهانوف.

وستعمد الممارسات القتالية الرّوسية بذلك إلى محاولة العمل من أجل الإخلال بتوازن دولة الشّيشان وإحباط معنويات المجاهدين، من خلال أعمالها الإجرامية ولصوصيتها واغتيال قيادات الشعب الشّيشاني المجاهدة، ولهذا فستحذو القوات الرّوسية قصد تفرقة المجاهدين الشّيشان إلى شن هجومات مكشوفة والنابعة من مطامع تعدّ من سمات الرّوس والراجعة إلى عجزهم عن تطوير دولتهم، والمحبرة كذلك لحاجاتهم إلى الاغتصاب والتوّسع والتهدّيد.

فتصعيد الدور العسكري الرّوسي بكلّ الأوراق الرابحة التي تم عرضها سابقا معناه تراجع، فتلاشى قوّى المجاهدين الشّيشان كسيناريو تتحكم فيه العوامل التقنية والتكتيكية من جهة روسية، ومصداقية التحالف الرّوسي الذي يمكن أن يضيفه النّاتو للقوة الرّوسية العسكرية بالشّيشان خاصّة وبالقوقاز على وجه التعميم، وهو ما يعكس حالة الانهيار لدى وحدات الأنصار الشيشان كسيناريو مستقبلي.

ثالثاً: السّيناريو الثالث:
إعادة بناء أساليب وتنظيم وحدات الأنصار الشّيشانية

يقول العقيد. دتشكافلوديا (قائد القطاع العملياتي لموسكو): "إنّ المقاومة الشّيشانية ليست فقط تلك المقاومة التي اشتغلت بشكل عفوي في كل أرجاء الخارطة الشّيشانية، بعد أن تشكّلت من الشّيشانيين الشّرفاء الذين هالهم مشهد سقوط قلاع غروزني، ولكن هذه المقاومة كما صارا واضحا تضم شرائح واسعة مختلفة من المجتمع الشّيشاني، سرعان ما اتحدّت ونسقّت وضعها العملياتي والسّياسي في إطار موحد تقودها في ذلك عصابات مسلحة تحت المسمى الدّيني، وهي شرائح فيما يبدو: كانت لها رؤية تنظيمية واضحة حتّى قبل سقوط غروزني، والذي كان متوقعا طبقا للسّيناريوهات الأكثر تشاؤما من قبل هؤلاء، ولذلك ستتضافر كلّ القوى

الشيشانية الشعبية والتنظيمية في فرق قتالية غير معلنة للعصابات ربما لم يشهد التاريخ من قبل مثيلاتها[57].

فهناك معطيات توحي باستمرار صمود المجاهدين الشّيشان على إثر مقولة هذا القائد العسكري الرّوسي، الكفيلة بتحقيق نجاحات قصد بعثرة القوات الرّوسية، فبعد استشهاد كل من خطّاب ثمّ أبو الوليد، لن يجد شامل باسييف أمامه سوى إعادة توحيد فرق الأنصار الشّيشان تحت قيادة موحدة خاصّة بعد أن كشف أنصار الجهاد السلفي المسلّح الشّيشاني حقيقة الجيش النظامي الرّوسي وما حققّه الشّيشان من ضربات قاسية على القوات الرّوسية حتّى صارت مكشوفة الأهداف، وحتّى صارت مُخترقة وعاجزة عن القيام بأيّ إجراء من شأنه استعراض العضلات الرّوسية.

فالجهاد الشّيشاني وأنصاره في تصاعد مستمر ومتوازن، وهو ربمّا ما جعل كثيراً من المتابعين وعلى رأسهم قادة الرّوس أنفسهم يطرحون علامات استفهام كثيرة حول سرّ هذا البناء والإتقان الشّديد في عمليات الجهاد المسلح، سواء من ناحية:

- التنظيم
- أو اختيار الأهداف
- والتوّقيت المناسب لضربها

وهو ما كان كفيلا بوصف حرب الأنصار الشّيشانية بـ "الجهاد المنّظم"[58] بل ووصف من ورائها بأنهم" عناصر على درجة عالية من التدريب والإتقان، حسب الوصف العسكري الرّوسي بلسان قائد قوات رماة الجوّ الرّوسية بـ نشيتشكا "B Niyetckka)[59].

---

(57) Alain Barner et Xavier Ranfer: *La guerre ne fait que commencer*, Paris: J.C lattes, 2002, p200.

(58) الجهاد المنظّم هو الحرب المشروعة في الإسلام، حيث اعترف الإسلام بها حيث لا تقع الحجة والبرهان، وهو وسيلة عملية لمكافحة البغي ورد العدوان وإزالة العقبات والقضاء على مفاسد الطغيان للمزيد انظر كتاب الإمام محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثامنة، سنة 1407هـ 1987 م ص337.

(59) Alain Barner et Xavier Ranfer, Op.cit, p337.

وهو ما سيكون له أثرا واضحا في وضع خطوط عريضة أسفل كثير من الكلمات التيّ صارت متداولة في شيشينيا، لتبرز بعض الحقائق التي حاولت الإدارة الرّوسية وعملائها إخفائها، وهو ما الذي يساهم في تجديد عزائم المجاهدين لمزيد من الأعمال ضد القوات الرّوسية، ودعمها بمزيد من ثقة الشعب الشّيشاني المسلم الذّي صار واثقا من حتمية النصر من خلال الجهاد المسلح، مؤمنا بضرورة مجاهدة الخطر المحدق بالأمة والذّي اختار شيشانيا مدخلا له، خاصّة بعد أن تأكّد الشعب الشّيشاني بما لا يدع مجالا للشك من أهداف الرّوس وطموحاتهم في شيشينيا، وأيضا بعد أن عن انكشف الدوّر الصهيوني- الرّوسي فيه يوما بعد يوم، ولذلك فقد بدت عدّة أمور أكثر وضوحا عنها من ذي قبل، ليس أمام الشّيشان فحسب، ولكن أمام المتابعين والمحلّلين السّياسيين والاستراتيجيّين العسكريّين.

ولعلّ هذا ما سيفسر سرّ فشل الرّوس وعملائها في اختراق تنظيم الأنصار أو إلقاء القبض على أيّ من عناصرها، بالرغم من سديد المجاهدين لضربات متتالية موجهة لقوّات موسكو وأعوانها. خاصّة بعد تداول أنباء كثيرة عن وجود نساء وأطفال وشيوخ بين صفوف دعم الجهاد المسلح الشّيشاني، وهو الأمر الذي سيُصعب من مهمة القوات الرّوسية في تتبع تنظيم الأنصار أو رصد وحداته أو حتّى توقعه، إذ يتعيّن على قيادة أركان روسيا وقواتها أن تراقب الشعب الشّيشاني بأطفاله ونسائه وشيوخه لتفادي أعمال الجهاد المسلح، بل سيتعيّن على الرّوس تعيين حارس لكل حارس حتّى يحرسه، في دائرة مفرغة ستجد قوات روسيا فيها أنها تدور حول نفسها وهذا أمام نية القائد العسكري الشّيشاني شامل باسييف في تشغيل ورشات للأسلحة الشعبية بالشيشان وبدعم من بقية الجمهوريات الإسلامية بالقوقاز، وهو ما سيكون له أثر الصدّمة على قوات روسيا، وخاصة عندما ستكتشف القوات المعادية أسلحة شيشانية عالية التقنية رغم بساطتها. ومن ثم وبمثل نفس المنطق إمكانية تكوين جيش لكل وحدة من وحدات الجهاد المسلّح بكامل القوقاز أيضا في الخفاء، عندما تضمن هذه الجماعات المنسقة مصدرا دائما لإمدادها بالسّلاح، وهو ما يعني أيضا في حقيقة الأمر فشل الإدارة الرّوسية في تحطيم إمكانيات التفوق النفسي والتّكتيكي الشّيشاني المتمثل في العقل

الشيشاني القادر على التفّكير والإبداع والنهوض مهما كانت الظروف.

إلّا أنّ خطوة تصنيع الأسلحة في شيشينيا ستكون لها أبعاد أخرى بالنسبة للإدارة الرّوسية، حيث إن التكاليف المادية لهذه الأسلحة لا تتعدى ربما واحداً على المليون، أو حتى واحدا على الألف من تكلفة إنتاج الأسلحة الرّوسية، وبغضّ النظر عن إمكانيات الأسلحة الشّيشانية، فإنّ إصابتها وإعطابها لأهداف وأسلحة روسية تعني في مثل هذه الحرب انتصارا نوعيا واقتصاديا لمجاهدي الأنصار، وهو ما يمكن أن يضّمن تجديدا لوحدات المجاهدين الشّيشان مع ضمان أكبر الخسائر في صفوف قوات روسيا بأقل من الإمكانيات والتكلفة للأنصار والجهاد بشيشينيا.

كما أنّ فكرة باسييف لإنتاج الجهاد الشّيشاني للأسلحة، قد يعود منطقياً لأكثر من سبب، ربمّا بسبب عوز الأنصار للسلاح أو استنفاذها لكل مخزونها من الأسلحة، وهو سبب تتمنى الإدارة الرّوسية أن يكون حقيقيا، ولكن السبب الآخر المرجح والذّي لا تتمناه الإدارة الرّوسية، هو أن يكون إنتاج الأنصار للأسلحة بدافع الرغبة في توسيع المواجهات وعمليات الأنصار المجاهدة ضد القوات الرّوسية، وليس العوز الشديد للسلاح، وهو ما سيثير قلق مسؤولي الإدارة العسكرية الرّوسية، خاصّة مع إعلان القائد باسييف أن معركة غروزني الكبرى[60] لم تبدأ بعد، وأنهم -أي المجاهدين الشّيشان- يعدّون بشكل عسكري وسياسي لتلك المعركة المصيرية الكبرى، والتّي ستقضي تماما حسبما يعلنون على الرّوس ليستعيد الشّيشان حرّيتهم وسيادتهم.

فلقد حذّر المستشار العسكري الروسي "ندريتشكا كاترين" (Ndrytchka Katryne) رئيسه بوتين، ومدير دائرة الأمن القومي بمصالح المكتب الفدرالي السّري الرّوسي (F.S.B)، من أنّ روسيا ستخسر الحرب مع

---

(60) ويرى قادة الأنصار أن هذه المعركة ستكون آخر معارك روسيا بالشيشان وبالقوقاز عامّة، حيث ستلقى حتفها في العاصمة غروزني، للمزيد انظر كتاب مراد بطل الشّيشاني: الحركة الإسلامية في الشّيشان (الصراع الشيشاني- الرّوسي)، الطبعة الأولى، عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2002م، ص168.

الشّيشان، إذا لم تغير سياستها الدّاخلية والدّفاع، وتنتبه إلى أنّ ما تقوله قيادة العصابات يلقى صدى.

وقال نفس المسؤول العسكري- وهو صاحب كتاب عنوانه "الجيش الرّوسي: من الأكاديمية إلى الثكنة"، أن سياسات وخطط بلاده الحالية تصب في خدمة الأنصار الشّيشان والقوى المعادية لروسيا من القوقاز ولحلفائها في العالم. وهزيمة روسيا في الحرب شبه أكيدة، بسبب الانحياز الرّوسي لأمريكا والعداء للمسلمين. ولفت مسئول الـ (أف.أس.بي) (F.S.B) "ماريلوف (marilov) والذي قاد عمليات وكالته في غروزني بين عامي 1997م و2000م، وكُلِّف خلالها بملاحقة باسييف وقتله، قبل أن ينتقل إلى موقع آخر في الوكالة، النظر إلى أنّ روسيا "لجأت إلى الحلول العسكرية بعد فشلها في تحقيق حلول سياسية"(61).

ويضيف قائلا: "يُعد موقف المسلمين القوقاز من السّياسات الروسية، التي لا يمكن أنّ تمثل إلّا خسارة صافية لروسيا مهما فعلنا لأنها خاطئة" ويضيف الرّئيس فلاديمير بوتين قائلا: "لم نعِ بعد المشكلة وتداعياتها بالنسبة إلى روسيا، لأننا نواصل القول أن قيادة العصابات الإرهابية، وما تمثله، هي الرغبة في القضاء على حريتنا وأسلوب حياتنا والحقيقة هي أن أعدائنا لا يحبون طريقة حياتنا، لكن مشكلتهم ليست في ما نقول، بل في ما نفعل. الرّوسيون لا يعون مدى الكراهية لسياساتنا في العالم، وبهذا لا نربح الحرب مع العصابات، لأننا لا نفهم طبيعتها"(62).

وتعتبر الإدارة الحربية الرّوسية، أن هناك اقتناعا عاما في وكالات المخابرات الرّوسية بأن تجدُّد طاقات حرب الأنصار في الشّيشان، ستؤخر حربهم على الإرهاب، ولن تساعدهم. وهذا على حد مقولة الرئيس الأمريكي السابق "أبراهام لنكولن" (Abraham Lincoln): "إنّ حربا واحدة

(61) Alain Barner et Xavier Ranfer, Op.cit, P.,128.

(62) Isabelle Facom: *La Seconde Guerre de la Tchétchénie: les aspects politico-militaires*, France: Strasbourg: I.E.P, 2001, p103.

تكفي»[63] وهذا في سياق رفضه فتح جبهة جديدة إلى جانب الحرب ضد بريطانيا.

ويرى المحلّل السّياسي الرّوسي: " إيغور. ف Igor. V" أنّ "إدارتي يلتسين وبوتين لم تعيا مدى استياء المسلمين القوقاز من سياساتنا، فنحن نسيء تقدير أهمية الإسلام عند المسلمين بشيشينيا أو القوقاز عامة، إذ أن الدّين يلعب دورا صغيرا في حياتنا، لذلك نفهم أهمية الإسلام لدى المسلمين بالقوقاز أو حتّى عند العصابات المسلحة بالإقليم»[64]. وتابع يقول: " عندما تحدث القائد الشيشاني خطاب عن الدين والإسلام، بصرف النظر عن صحة ما يقول، لا نهتم، لكن هناك جزءا من مسلمي القوقاز وحتى من العالم الإسلامي يشن حربا على روسيا، ولا أعتقد بأن الإدارة الحالية تفهم ذلك".

وبالتالي تعتبر قضية إعادة بناء التشكيلة العسكرية للشيشان، في موقع يحسد عليه روسيا، لكونهم واعون أنهم في هذا البلد لم يتعاملوا مع شعوبه بجدية، وهو أمر يعيبها على الرّغم من كون هنالك سابقة، فيها عدوّ لروسيا، يتركها تطرح عدة تساؤلات حوله، من جملتها:

1 - ماذا يزعجه؟

2 - وماذا يريد؟

3 - وكيف سينفذ حربه ضدنا (ضد الرّوس)؟

فالقوات الرّوسية عسكريا تفقد فرصة عندما لا تستمع لقيادة الأنصار الشّيشان. وتعترف المدرسة الروسية، من أن العصابات الشّيشانية تكتسب شعبية، ونبّهت إلى أنّ هاته الأخيرة ستنجح في تغيير أسلوب حياة الرّوسيين، ويقول رئيس الحرس الرئاسي الرّوسي "نيكيتا كاريلا nykita karila": " إنزل إلى موسكو وانظر إلى الإجراءات الأمنية حول المبنى

(63) François Gére: *demain, la guerre*, Calmann Lévy, 1997, p71.
(64) Ibid., p110.

الرّئاسي. هذا لم يحدث حتى عندما كانت روسيا إمبراطورية مُحاربة"(65).

وتحُدث المفكّر والإداري الروسي "تينشاي دي ديتشه"(tinchay de ditchah) عن سابقه "حالة الخوف" في روسيا، من تجديد قوى العصابات بعد مقتل القائد أبو الوليد، مشيرا في كتابه (العصابات الأبديّة)، إلى أنّ ذلك التغيير عسكري تاريخي لم نشعر بمثله حتى خلال الحرب العالمية الثانية"(66).

واستنتج أنّ تجديد الطاقات المقاتلة داخل الأنصار الشّيشان، معناه استمرار تعرّض روسيا لهجومات شيشانية، قد تؤدي إلى انتكاسة أكبر، لكونهم لا يفهمون ماذا يحاربون، وبالتالي سيبقى القرار والمبادرة في أيدي مجاهدي الأنصار الشّيشان، وهذا حسب قانون الاستلزام (Concelator law).

وبالتالي بناء الأنصار مجددا، ستصحبه محاولات لتأسيس أعمال قتالية ثأرية- جرّاء سلسلة الإغتيالات الروسية في صفوف قياداته العسكرية، كتدابير قسرية، ستتخذها قوات المجاهدين الشّيشان، وترمي من وراء ذلك إلى:

أ- فرض احترام الأنصار وسيادة الشّعب الشّيشاني على الإدارة الرّوسية.

ب- التعويض عن الأضرار الحاصلة من جرّاء اغتيال قياديين من الأنصار الشيشان.

ج- تصحيح الوضع القتالي لصالح الأنصار الشيشان.

وعلى الرّغم من أن تدابير الثأر هذه هي في مجملها أعمال غير مشروعة في القانون الدّولي بحدّ ذاتها، بيّد أنّ شيشينيا بتبريرها على أنها تكمن في كونها ردّا على أعمال قتالية روسية غير مشروعة سابقة، بغية الرجوع عن هذه السلوكات، فقد تتخذ شيشانيا نوعين من الإجراءات الثّأرية:

---

(65) Revue Militaire Suisse: *éditorial Tchétchène: les grandes cimitières sous la lune*, Suisse: R.M.S; Juin, 2000, p43.

(66) Ibid. p56.

1 - أعمال الثأر المسلّحة (كالحصار السلمي لمدن روسية محاذية للقوقاز، أو اقتحام برّي لنقاط المراقبة الاستراتيجية الروسية).

2 - أعمال الثأر الغير مسلحة (كاحتجاز رهائن، أو اغتيال سياسيين وجنود روس، حجز عتاد حربي روسي ومصادرته، ووضع مباني إطارات الدولة الروسية تحت القنص أو الحراسة).

وعمليات الثأر هذه ستعقبها تغيرات في نمط الجهاد الشّيشاني المسلح وهذا من حرب أنصار (عصابات) إلى حرب شبه نظامية[67]، كما خطط لها من قبل القائد خطاب، ليتطور مفهوم الجهاد المسلح الشيشاني، تحت تأثير مناهج السلفية الجهادية التقليدية[68]. أكثر من العصرية، وهذا معناه محاولة لتبني نظرية الأمة المسلحة الصادرة عن الثورة الفرنسية، والتي في حقيقة الأمر مقتبسة من نظرية الأمة المجاهدة للإمام المجاهد سيف الدين قطر، حيث من خلالها سيسعون إلى استخدام أقصى الطاقات الشبانية المتدينة لكسر عزم الخصم الرّوسي.

وتتميز الحرب التي سيخوضها المجاهدين الشّيشان، بالدرجة الأولى، باتساع رقعتها. فهي:

أ - حرب إقليمية، على نقيض الحروب التي كانت تنشب في جهات أو أجزاء من الإقليم.

ب - حرب يتجاوز مسرحها أراضي المتحاربين (حرب مقدسة).

ج - حرب تمتد إلى جميع الأشخاص، بما فيهم غير المقاتلين.

وستعرف أيضا هذه الحرب بامتدادها الزمني، وذلك من وجهتي نظر:

---

(67) الحرب شبه نظامية هي تعتمد على أسلوب وتنظيم الجيوش النظامية في تقسيم الخطط والوحدات وتوزيعها على ميدان المعركة غير أن المناهج القتالية المستخدمة هي مناهج غير قانونية تتراوح بين اللصوصيّة والإجراءات القسريّة.

(68) السلفية الجهادية التقليدية، هي دعوة سلفية للكتاب والسنة، والدين الصحيح والإسلام النقي. وهي أتباع سبل المؤمنين من السلف الصالح وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين من الجيل الأول لهم.

أ - سينعكس مفهوم الأمّة المجاهدة على التدابير القانونية التي تضع حدا للقتال المسلّح (الهدنة- الاستسلام- والاستسلام غير المشروط)، وهي تدابير تتجاوز آثارها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، نطاق المتحاربين، لتصيب أضرارها دولا أخرى.

ب - وستمتد هذه الحرب إلى ما بعد انتهاء القتال حيث تتحوّل إلى دعوة سلفية*.

ومن اليسير أن ندرك أنّ الجهاد الشّيشاني من شأنه تعديل موقف القانون الدوّلي إزاء الحرب. فقد كان القانون الدولي يعتبر الحرب الوسيلة القصوى، بل المشروعة لتسوية المنازعات الدولية، وأنها لا تتعلق إلا بالمحاربين وحدهم(69). أما اليوم فإنها تبدو بمثابة حدث يتناول الأسرة الدولية بكاملها، من حيث تعاون أعضائها المتبادل للتفرقة بين الجندي والمجاهد من جهة وبين حرب كلاسيكية وحرب دينية (مقدسة).

وتجديد تنظيم الجهاد الشّيشاني لا يقتضي بالضرورة تجديد للهدف المشترك، فلا يُتصوّر وجود فرقة شيشانية بهدف مغاير تسعى لتحقيقه، وإلا انعدمت وجود قيادة موحدة للجهاد في الشيشان أصلا، ولابد للقيادة العسكرية أن تكون تحتها أكثر أفراد المجاهدين قدرة على تحفيز القوات الشيشانية المجاهدة لتحقيق والحفاظ على وحدة الهدف والإبقاء على وحدة الصف.

وبنقل هذه الصفات التي كان يتميز بها القائدين خطّاب وأبو الوليد، إلى مجاهدين آخرين قد تتحقق في شخصيتهم الكثير من الصفات القيادية الإسلامية، فضلا عن ذلك عدة أمور تستوجب في تجديد لبنية المجاهدين الشيشان، مثل:

أ - الحرّص على تعميق أدب الخلاف، فسابقا: لم يُسمع قطّ خلافا وقع بين خطّاب وباسييف برغم اختلاف العرق بينهما، ولكن كان خطّاب

---

(69) انظر: شارل روسو: القانون الدولي العام، ترجمة: شكر الله خليفة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1987 م، ص337.

ذكيا في استمالة هذا القائد، وجعل الجهاد المسلح والفريق الذي يمثله في انسجام ممتاز بين القيادات والأتباع. وكذلك علاقته مع رئيس الشيشان "مسخادوف"، وكثيراً ما راهنت روسيا ومن معها من وسائل غربية على تفجّر الخلافات بين خطّاب وباسييف من ناحية، وبين فريق مسخادوف من ناحية أخرى. وعندما سُئل خطّاب عن أجواء العلاقة بين المجاهدين والرئيس الشّيشاني مسخادوف، وماذا عمّا يتردد عن وجود خلافات، بينهم، فأجاب خطّاب قائلا: "مسخادوف هو رئيس جمهورية الشّيشان، وجميع المجاهدين يقاتلون تحت قيادة واحدة، وهي قيادة مسخادوف، وأحّب أن أقول: إنه لا يخلو قوم من خلاف، فهذه طبيعة البشر، إلّا أنّ أي خلاف قد نحي جانبا، وما يشغل الجميع هو مواجهة الجيش الروسي المتهالك"[70].

ب - إعداد كوادر جديدة تتولى الراية، من بعد قادتها، لا مجرد أن تعتمد على أشخاص يتمتعّون بمواهب قيادية عالية، وعلى استعداد لبذل الرخيص والغالي في سبيل قضيتّهم.

وبالتالي فالمعارك ستدور من جميع الاتجاهات، والقوات الروسية ستكثف قصفها الجوي والصاروخي والمدفعي بلا رحمة أو تفكير في المدنيين.

وسقوط آخر لغروزني بعد تجديد تنظيماتها وطاقاتها (مجاهدي أنصار السلفية الجهادية المسلحة الشيشانية) لن يعني شيئا بالنسبة للمجاهدين الشّيشان فقد سقطت هذه المدينة قبل ذلك ثلاث مرات في الحرب الأولى (1996م- 1999م) فقتال المجاهدين لن يصبح من أجل الحيلولة دون سقوط غروزني، وإنمّا سيكون من أجل دحر الرّوس وطردهم من منطقة القوقاز.

وسيُصبح بإمكان المجاهدين استرجاع أي مدينة تسقط في أيدي الرّوس، بدليل ما حدث في معارك عيد الفطر[71]. التي استعاد فيها رجال

---

(70) حقائق عن الحرب (كرونولوجيا 1999)، www.chechen.online.com بتاريخ 19/ 12/ 2004م.

(71) سميت كذلك لكونها وقعت في 02 سبتمبر 1999م، وهو موسم عيد الفطر، =

الأنصار مدينتي أرغون وشالي، وكبُّدت القوات الروسية بخسائر كبيرة، فقتال المجاهدين سيتّم وفق معطيات المعركة، وبهذا سيحاول المجاهدون إثبات صدقهم في مواصلة طريقهم، وسيثبتون كذّب الإدعاءات الروسية طوال الفترة الماضية بالقدرة على إنهاء الوضع في الشيشان بحلول عام 2000م، وجاء عام 2000م ولم يتحقق شيء فقيادة الأنصار الشيشان على دراية بأن الجيش الروسي أصبح يعامل المجاهدين الشيشان على أنهم جيش متكامل، وذلك على عكس الحرب السابقة (1994م-1996م)، حيث كانوا ينظرون إلى المجاهدين على أنهم عصابات، ولذلك فإن الروس سيستخدمون كلّ الخطوط والأساليب والإمكانات والاحتياطات التي تستخدم في الحرب بين جيشين من رصد دقيق على كل المحاور وخطط محكمة في الهجوم، وهم على علم أن الرّوس لن يكتفوا بالجيش النظامي وإنما سيجدون "مرتزقة" من كل مناطق الإتحاد الرّوسي والقوقاز، لاستخدامهما في العمليات الاقتحامية.

وتجدر الإشارة أنّ قيادة الجيش الرّوسي تعتبر أنّ المدنيين فقط هم الأطفال دون سنّ العاشرة، أمّا من هم فوق سن العاشرة من النساء والشيوخ فهي تعتبرهم من صفوف المجاهدين، وهو ما يفسر عدم سماح القوات الروسية بخروج أي فرد من غروزني وبقية المدن والقرى الشيشانية خوفا من أن تكون حركتهم لمساعدة المجاهدين، وهو ما يبرر حالة الحصار العامة التي يعيش عليها الشعب الشّيشاني.

وهو تأكيد روسي من أنّ الشّعب الشّيشاني يقف إلى جوار المجاهدين الشّيشان وليس ضدهم. وهذا لصدق الرسالة التّي يحملها المجاهدين في الدّفاع عن عقيدتهم، والسعي للتخلص من الإحكامات الروسية.

وإنّ أيّ تغيير أو حتىّ تجديد في تنظيم البنى القتالية الشيشانية، سيقتضي تعديلا في الاستراتيجية العسكرية وتكتيك حرب الأنصار:

= حيث إختار الأنصار أيام العيد لشن المعارك ردّا على الرّوس الذين يتخذون من أعياد المسيح كتاريخ لمعاركهم وعملياتهم حتى تأخذ طابعا دينيا وحتى يعطي أحد الطرفين المنتصرين، ويعطي للنصر مفهوما دينيا (إنتصار ديني).

1 - على المستوى التكتيكي لجبهة دفاع الأنصار: فعندما تكون قوى الأنصار قليلة أمام القوات العسكرية الرّوسية، فحرب الأنصار ستتخذ شكل كمائن صغيرة (Small Ambushes).

2 - عندما- من وجهة ثانية- تكون هناك حالة توازن وتعادل في إمكانيات التحّرك للأنصار والقوّات الرّوسية، فعدد كبير من فرق الأنصار ستوّظَف في استراتيجية الحروب المتحركة[72]، حيث عمليات الأنصار ستنتقل وتُنقل إلى مساحة وميدان أوسع.

3 - وأخيراً، سيعمّد الأنصار إلى تحطيم القوّات الحكومية الشيشانية الموالية لإدارة روسيا، ويحاصرون مركز المدينة (العاصمة) غروزني وقواتها الواسعة والمشتركة (شيشانورسيّة).

فالمرحلة الأولى، تقتضي حركية وحذر، معتمدة على الأساليب التالية:

- ملاحقة القوات الرّوسية من دون انقطاع.
- التظاهر أمام القوات الروسية أنها انقضت أو حُطّمت.
- جذب القوّات الروسية واستدراجها لأراضي وأقاليم أخرى لتشتيتها ولإضعافها ومن ثمّ الانقضاض عليها.
- إنشاء جماعات جديدة عند الضّرورة، عندما يتعلّق الأمر باستعادة أقاليم أخرى (التوسع والانتشار).
- بداية إستراتيجية الهجوم ضد القوات الروسية تكون على أراضي الأنصار.
- أفضل عنصر تكتيكي للأنصار الشّيشان هو المفاجأة، قصد تخييب آمال القيادة والجنود الروس العملياتيين.

---

(72) بمعنى أن الحرب ستكون ميادينها واسعة، ومفتوحة على عدة جبهات، والأهداف تكون فيها متحركة، وقد تصيب مناطق محايدة أو غير محايدة، تأخذ معها المقاتل والغير مقاتل وتقتضي مرونة وسرعة في الحركة وردّ الفعل لدى المقاتلين، للمزيد انظر الد. إبراهيم نوفل: معجم المفردات الحربية، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1999م، ص418.

ولتنفيذ هذه الخطوات استوجبت العناية بقوات الأنصار ولتغذيتها وتطويرها بصورة دائمة- لأنّها قد تصاب بالإنهاك بسرعة- حتى يبقى ضغطها على القوات الروسية متزايدا. وهذا يتطلب جهازا أوليا لتهريب الأسلحة، متبوعا قدر الإمكان بإقامة قواعد قريبة من الأرض المهاجمة التي يؤمّن عدم انتهاكها وخرق حرمتها وتنظيم هذه القواعد بداغستان أو أوسيتيا سيُعّد عاملاً حاسما في هذا النوّع من الحروب. وإذا كانت حرب الأنصار الشّيشانية ليست حاسمة بحدّ ذاتها، إلّا أنّ اقترانها بالمبادئ وعقيدة المجُاهدة الإسلامية أصبحت عظيمة الأهمية. والاستعانة بالمدرسة الجهادية المحمدية تعد كجوهر الإعداد القتالي لتنظيم أنصار الجهاد السلفي المسلح الشيشاني، والمتمثلة في(73):

1 - وحدة الصفّ في المعركة، لكونها السبيل إلى النصر، مستشهدين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصّف: 4] صدق الله العظيم.

2 - الثّبات في وجه الأعداء، عن طريق الاستهانة بالموت، وهذا بدفع المجاهدين إلى الموت، وهم مستبشرون بوعده سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

وبهذا تكون العقيدة الجهادية محفّزا على إيقاظ همم المجاهدين وتصعيد نشاطاتهم عن طريق إعادة ترتيب أوراقهم وتوحيد صفوفهم في إطار الإيمان بالقضية والتوحيد، كأساس لاستقرار وحدات الأنصار الشيشانية في المستقبل.

---

(73) اللواء الركن عبد المنعم خليل: في قلب المعركة: إستراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل، الطبعة الأولى، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2004م، ص161.

رابعاً: السيناريو الرابع:
من الجهاد الإقليمي إلى الأممية السلفية الجهادية

سينتقل الجهاد السلفي المسلح الشّيشاني في شكل حرب أنصار حسب المتتبعون[74] لمسيرة الحركات الإسلامية والتنظيمات الدعوية والجهادية المسلحة من العمل القتالي الإقليمي إلى أممية سلفية جهادية[75] جديدة، تقف موعد العداء لكل ما هو غير إسلامي ويهودي وصهيوني، لينتقل بذلك المجاهدون الشّيشان من المستوى الإقليمي إلى المستوى العالمي، علما أن العرب الأفغان يُشكلون في تنظيم الأنصار قوافل جهادية متنقلة. ينظم تحت لوائه الأنصار الشّيشان إلى التيار العالمي الدعوي والجهادي تحت مسمى "الأممية الإسلامية ضد اليهود والنصارى" لتنتقل ضرباتها من القوات الرّوسية إلى ضرب حلفائها كأمريكا وأعوان الصهيونية في العالم، على اعتبار أنّ اليهود هم (رأس الشرّ).

ويعتمد وفقا لذلك رجال الأنصار، على منهج التغيير، حيث يعتمد هذا المنهج على قيم التيار السلفي الجهادي المتمثل في نشر أفكارهم العقائدية والشرعية القتالية بين أكبر عدد ممكن من الشباب المؤمن في العالم، والتعريف بمفاهيم التوحيد والشرك والكفر، من خلال العمل الدعوي، بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وستتخذ الأممية السلفية الجهادية هذه المرة المجاهدين الشّيشان كرأس حربة لها، لتتخذ بذلك طابعا عسكريا في العديد من الساحات الدولية، ليستخدم السلاح كحامي الجانب السلمي للجهاد والمتمثل في "الدعوة"، وعلى الرغم من كون "الحرب على الإرهاب" التي تقودها الولايات

---

(74) مراد بطل الشّيشاني: الحركة الإسلامية في الشيشان (والصراع الشيشاني- الروسي)، الطبعة الأولى، عمان: مركز القدس للدراسات السياسية 2002م، ص316.

(75) وهي عالمية الجهاد السلفي، ومصطلح الأممية هو وليد الفكر المذهبي حيث مجموع مصالح وطنية تتحد في مصلحة وطنية فوق- قومية ويقابلها بالفرنسية مصطلح internationalisme ومعناها في الموضوع هوية أهداف مجموعات دينية سلفية ينتمي لعدد كبير من الدّول في العالم، اتحدت في أصل هدف ديني عقائدي فوق قومي، (دعوة، وتبشير).

المتحدة الأمريكية وحلفائها ومن بينهم روسيا، ضيقت الخناق على التنظيمات الإسلامية بشقيها (الدعوي والمسلح)، غير أنه مازال هناك تخوّف من قبل الأجهزة الرسمية العربية والإسلامية من احتمالية تأثر الشباب في هذه الدّول بنموذج الجهاد الشيشاني، فيلجئون بذلك إلى طرق ووسائل العنف الأعمى، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى اتهام العديد من الشباب المسلم بالتخطيط لعمليات مسلّحة.

وتستند هذه الأممية إلى أدوات التثقيف والتنشئة الدينية (الدعوية)، وأهمها[76]:

- كتابات سيّد قطب.
- كتابات أبو الأعلى المودودي (خاصة كتابة "المصطلحات الأربعة").
- كتاب أبو قتادة (الجهاد والاجتهاد).
- كتاب أيمن الظواهري (الحصاد المرّ).
- كتب الجماعات الإسلامية في مصر مثل: - ميثاق العمل الإسلامية.
- الفريضة الغائبة.
- حتمية المواجهة.
- كتب أبو حليمة ("قواعد في التكفير"، " الطاغوت"...).

بينما تُعدّ كتب ورسائل المقدسي (مُنظّر التيار السلفي الجهادي)، من أهم المصادر الفكريّة للأممية السلفية، مثل:

- كتاب (ملّة إبراهيم وأساليب الطغاة في تمييعها).
- كتاب (كشف شبهات المجادلين عن أنصار وعساكر القوانين).
- كتاب (الديمقراطية دين).
- كتاب (الإشراقة في سؤالات سوّاقة).

---

(76) الشيخ، بن نادر المشاري: **القائد الأعلى**، الرياض: مكتبة الزّهراء، 2003م، ص516.

فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001[77] تأثر الأنصار الشيشان كغيرهم من التنظيمات الإسلامية المسلحة الممّثلة للتيار الجهادي والحركات الجهادية بشقيها في العالم، لكون الحرب المشنة أُعلنت ضدّ العقيدة الإسلامية وذروة سنامها (الجهاد)، وما شهدته هذه الفترة من أنباء عن استشهاد عدد من الشباب الذين غادروا في الأصل للجهاد في أراضي المستضعفين من المسلمين، وكانت انطلاقتهم من أفغانستان وكثيرهم من الشّيشان قصد انتعاش الحالة الجهادية في مناطق عديدة كالعراق والفلبين.

ومع ظهور هذا التيار الجهادي العالمي على يد المجاهدين الشيشان وبقيادة العرب الأفغان، وأفراده ملاحقون ومطاردون، كما أنّ مواطن الجهاد في أفغانستان (باعتبارها تحتوي على قواعد التيار الجهادي العالمي)، ونظرا للحصار المفروض على قواعد المجاهدين بها، سرعان ما نقلت أقطاب الجهاد العالمي إلى القوقاز وبالضبط إلى شيشينيا حتى لا تتلاشى ولا تزول: هذه الظّروف القاسية، التي بدأت تفرض نفسها بقوة على أبناء هذا التيار، والذين آن الأوان لهم ليقوموا بعملية مراجعة كاملة وكبيرة في العقيدة الجهادية والفكر والحركة الإسلامية، وهو ما يعتبر مؤشرا مهما للأممية السلفية الجهادية المتتلمذة على أيدي علماء السلفية التقليدية كابن عثيمين وابن باز، آخذة بذلك أحكامها من القرآن والسنة.

فانتقال الأنصار الشيشان إلى هاته الأممية التي مرادفها اصطلاح الفتح شرعا، ما هو إلّا مشروع ضخم كتتويج لسلسلة من الإنتصارات الصغيرة، ولا يمكن أن يقع شيء في مجال النصر والهزيمة بصورة طفرة مفاجئة تُباغت المنتصر أو المهزوم، إذ الطّفرة التي لا مقدّمة لها لا وجود لها إلا في عقول بعض المشايخ والقادة فقط.

يقول أحد المجاهدين الشيشان: "إنّ جهادنا هذا ليس فقط لأرض الشّيشان بل هو من باب أولى لرفع راية الإسلام... سيحكمهم قائدنا شاءوا

(77) وهي أحداث تفجيرات برجي مركز التجارة العالمي بالولايات المتحدة الأمريكية، المسفرة عن ضحايا كثيرين، والمنسوبة لتنظيم القاعدة ولتيار الجهاد المسلح الموصف بالإرهاب على حسب مزاعم البيت الأبيض الأمريكي.

أم أبوا، وسنحكمهم بالإسلام ومن رفع رأسه قطعناه، لأنّ التمكين وصل إلينا بفضل الله وحده، فليس لنا أن نهتّم إلا برضاه وحده، نفعل ما يأمر وإن غضب الناس، وننتهي عما نهى، لم نعقد الصفقات مع الشرق والغرب مقابل تنازلات مبدئية، ولم نصل إلى التمكين بقرار من الكريملين أو بيت أبيض أو أسود، بل بعبوديتنا لله وحده، وببراءتنا من كل طواغيت الأرض"[78].

وعليه فاحتمال انضمام المجاهدين الشيشان إلى الحملة الجهادية العالمية، هو اختيار قد يثير غضب العالم بأسره، مدركين أنّ هذا الطريق سيُبعدهم عن الرّاحة والنعيم ورضا الناس. وقد يجلب لهم هذا الطريق نقمة أقرب الناس إليهم من الدعاة والعلماء[79] مثلما كان الحال بالنسبة للتنظيمات الجهادية المسلّحة في العراق والبوسنة سابقا وكشمير.

غير أنّ الإيمان والتمسك بالمنهج والبنية الفكرية السلفية مع وضوح الرؤية وعمقها يرى المجاهدين الشيشان أنّه كفيل بأن يكون نموذجا للنصر الإسلامي، حيث يقول القائد شامل باسييف: "نحن مجاهدون يحركنا أمر الله... ويقودنا كتاب الله... ويحدّد معالم طريقنا رسول الله..."[80].

وعليه فخيار المجاهدين الشيشان سيكون عن كامل وعي وبقدرات واقعية على أساس أنّ كافة أنحاء الكرة الأرضيّة (ذات أغلبية مسلمة أو غير مسلمة) في مجال مفتوح للعمل المسلح من بالي اندونيسيا إلى الغابات الكينية.

وسينطلق العمل الأمنيّ للأنصار الشيشان من مبدأ الطّهرية (Puritanisme)، المستمد أساسا من أفكار عبد الله عزام وأيمن الظواهري

---

(78) الد. ول وايريل: قصّة الحضارة: عصر الإيمان، ترجمة: محمد بدران، الجزء الثاني من المجلّد الرابع، بيروت- لبنان: دار الجيل، 1998م، ص95.

(79) مؤخرّا يلاحظ تبرأ بعض العلماء والدعاة من التنظيمات الجهادية الحقة، ليتحولوا من علماء ربانيين إلى دعاة وعلماء البلاط، ولعلماء عالمين وليسوا بعاملين، ما عدا القلة القليلة كمفتي العصر الشيخ ويوسف القرضاوي والشيخ بدر نادر المشاري.

(80) قصة بلاد وشعب، line.com www.checheneon بتاريخ: 19/ 12/ 2004.

وبدرجة أقل عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري)، المتميزة ببعد تحليلي أعمق، حيث إن علاقة حرب الأنصار الشّيشانية بالقوات الرّوسية، هي علاقة "الجهاد" ضد "الكفار الأصليين" حسب معتقدهم، مستندين في ذلك إلى تشبع الأفغان العرب بأفكار عزام في كتابه "الجهاد فقه واجتهاد" لقضية "دار الإسلام" و"دار الحرب"، حيث بذلك يعتبرون أن الجهاد العالمي أصبح "فرض عين" منذ اللحظة التي احتلت فيها قوات غير مسلمة أراضي في دار الإسلام، مشيرين على هذا الأساس إلى أن تاريخ انبعاث هذا الفرض يرجع أساسا إلى تاريخ سقوط غرناطة في أيدي القوى المسيحية. وسيتضح هنا أن مجاهدي الأنصار الشيشان سيشكلون بشكل خاص على مواجهة العدو الخارجي وعلى الأراضي التي تقع تحت احتلال أجنبي، وهذا تحت فكرة محورية، وهي أن الطرف الوحيد القادر على الممارسة الجهادية وتحرير دار الإسلام، وهو الطرف المتمسك بـ "الشريعة الإسلامية"، وهو ما يعني طبعا التمسك السلفي السني بالشريعة لا غير.

إلى جانب ذلك يستند مبدأ الطّهرية إلى فكرة تحرير الإنسان والأوطان تحت راية القرآن، توضع فيها مسألة "تحرير الأوطان" كمسألة ثانوية وتابعة لمسألة محورية يتوقّف عليها كل شيء وهي: "حاكمية الشريعة"، وقد يسلك الأنصار طريقا معقدا من الناحية التنظيمية للوصول إلى المشاركة في تأسيس تنظيم شيشاني للأممية السلفية الجهادية، وستعكس ذلك المسار التنظيمي مسارا فكريا وبرامجيا، غير أنه طيلة ذلك المسار الذي سيكون مليئاً بالتحولات والتحويرات، سيحافظ المجاهدون الشيشان على إيمان أساسي وهو رئيسية مسألة "تطهير الأراضي الإسلامية من المشركين والمرتدين" كوسيلة للدفاع عن دار الإسلام. وهنا من الضروري التذكير بمحطة نظرية أساسية ليس في مسار جهاد الأنصار الشيشان فحسب، بل في التأصيل للتيار السلفي الجهادي الأممي بشكل عام، وهي كتابات عبد السلام فرج، الزّعيم الرئيسي لتنظيم الجهاد المصري قبل تزعمه من قبل الظواهري، لمؤلف "الفريضة الغائبة". والتي نقلت أفكاره من مجرد تنظيم الجهاد الداخلي (كفار الداخل)، إلى توسيع الرؤية والعمل على ترجمتها إلى الواقع من خلال تركيز الخطّة العسكرية لتنظيم الجهاد على الجبهة الخارجية، وهو ما

يصطلح عليه بـ"الجهاد على رأس الكفر الخارجي، كتعبير عن تحوّل المجاهدين الشيشان عن أجندة الصراع الإقليمي مقابل تبنّي أجندة للصراع مع أطراف خارجية أخرى ساندت القوات الروسية من قريب أو من بعيد، وهو سيكون تعبيراً عن توسيع جبهة الصرّاع لا غير، مستندين في ذلك على عقيدة بالغة الأهميّة وهي: عقيدة الولاء والبراء، وهي قاعدة فقهية تعني خندقة[81] الواقع داخليا وخارجيا كضرورة لمحاربة "الكفار الأصليين المسيحيين اليهود... الخ).

ومن المتنبئّين باحتمال أخذ النموذج الجهادي الشيشاني طابعا دولياً هو علي الخانوف (وزير الداخلية ومرشح الكرملين في الانتخابات الشيشانية المرتقبة 15 فيفري 2006م)، والذي قد أعرب عن مخاوفه من احتمالات إقدام المقاتلين التابعين لشامل باسييف، على عمليات جديدة في المستقبل القريب، من أجل إثارة عدم الاستقرار ليس في الشيشان وحدها، بل وفي كل منطقة شمال القوقاز وفي روسيا وخارجها بأسرها[82].

ولقد أكّد ذلك جنرال الجيش الروسي فياتشيسلاف تيخوميروف (Viatchislav Tikhomoyrov)، قائد القوات الداخلية ونائب وزير الداخلية الروسي أن المستقبل سيعرف ازدياد أعداد ونشاط المقاتلين الشيشان، الذي سترافقه محاولات لإنشاء قواعد خلفية عدة لضرب المصالح الروسية وحلفائها، خاصة مع تقاطع مصالحها مع مصالح تنظيمات إرهابية (جهادية) عدّة على حد قوله[83].

فالغارات والمداهمات العسكرية الشيشانية، مثلما ألحقت أضراراً ملموسة بالقوات الروسية، لها من المؤهلات والخبرة لشيّشنة الأممية السلفية الجهادية ونقل نفس الأضرار إلى القوّات المعتديّة على الأراضي الإسلامية.

---

(81) الولاء للإمامة المجاهدة والبر لهم واجب، وبالتالي خندقة العالم (تحويل العالم إلى معسكرات جهادية أمر واجب على المجاهدين وكل مؤمن بعقيدة التوحيد حسبهم.

(82) Steven. J. Main: *North Caufacus District: Defending Russia's Interests in the Caucas, (1996- August 199)*, Conflit studies Research centre, June 2000, p191.

(83) Ibid., p210.

ويذكر أحد الضباط الروس أنه أكثر من ثلث العصابات الشيشانية تعتقد بأنها تتحرك خارج الحدود الجغرافية للإتحاد الروسي بشكل متكرر. والكثير منهم يعمّد إلى ضرب استقرار القوات الروسية وحلفائها من خلال عدد من الإجراءات منها: التحرك المستمر ومحاولة تكوين شباب ممّن يرغبون في الجهاد بالشيشان أو خارجها(84).

ويصنف الضباط الروس نصف مقاتلي العصابات الشيشانية تقريبا على أنهم أعضاء نشطين في الجهاد الأفغاني ضدّ قوّات الاتحاد السوفياتي سابقا وفي الجهاد الطاجكستاني، ويُعتبرون حاليا كمركز عبور التحركات والحملات الإرهابية ضد روسيا وكل من يدعمها في حربها على ما يسمى بـ"الإرهاب"(85).

ويستمر محللي الاستخبارات الروسية في النظر إلى الأنصار الشيشان على أنهم خلايا منظمة لقيادة مركزية. وإن كان رجالها في قائمة المطلوبين من الجيش الروسي، يشتبه في أنهم يقدمون إسهامات مهمة فيما يتعلق بنقل الخبرة القتالية (الجهادية) أو التنسيق التكتيكي بغية تحقيق إدارة أفضل لجهود التنظيمات المسلحة الدينية التي تستهدف ضرب الدوائر العليا في القوات المسلحة الغربية(86).

وسوف تتطلب هذه المقاربة (الأممية السلفية الجهادية) لوضع أولويات بأهداف أكثر تحديدا، وتجريب أساليب جديدة على الرغم من النجاحات المحررة إبان المعارك السابقة مع الحفاظ على الهيمنة السنيّة في رسم مناهج القتال وطُرق التنسيق وإدارة المعارك.

وينأى خبراء الاستخبارات العسكرية الروسية بأنفسهم عن تقديم أي تقديرات جديدة جرّاء سوء التقديرات السابقة التي كانت تستخف بحجم

---

(84) Dr. Françoise Dance: *Les représentations de l'OTAN dans la politique intérieure russe*, Paris, Juin 2001, p357.

(85) Migel Angel Miron El Hernequin: *Guerre Mondial Sainte et «de longue durée»*, Mexique: Chiapas: centre d'investigation économiques et politiques d'actions communiés, 2001, p300.

(86) Ibid., p328.

الجماعات الشيشانية المسلحة، أما في السر فإنهم يسيرون إلى أنهم يتطلعون بقوّة للأساليب المحتملة الجديدة لتقدير حجم وقدرات المجاهدين الشيشان(87).

فإلى جانب الهيبة التي أكسبها الجهاد الأفغاني، فالنمّوذج الشيشاني سيُعطي لمسألة (فريضة) الجهاد العالمي دفعاً آخر، وسينعكس على أوضاع القوات المتمركزة في أراضي المسلمين، المُقرة بالحالة السيئة التي يعيشها جنود الغرب، المتزامن مع أحاديث وتحليلات وطروحات كثيرة أخرى، تحاول أن تكرّس الخروج من الأراضي الإسلامية كالعراق مثلاً (والتي يحبذ تسميتها أنصار الجهاد السلفي ببلاد الرافدين)، تطلق على ذلك تسمية (استراتيجية الخروج)، ومن بين المعنيين بهذه القوّات سواء روسيا أو الولايات المتحدة الأمريكية.

وكما سبق وأن أشرنا إليه، فإن أوراسية القوقاز عامة وشيشينيا خاصة يعطي لمقاتلي باسييف بعدا جيو استراتيجي وقيمة عسكرية مهمّة. حيث ستتلاحق، ولو ببطء المؤشرات على أن تيارا داخل التنظيم العسكري الشيشاني يدفع باتجاه القبول بالتوجه الجديد، وأحيانا حتى التشجيع عليه، من حيث اشتراك مسلمين آخرين من غير القوقازيين في التوجه، ومن ثمّة المشاركة في تأسيس العملية الجهادية خاصة على المستوى الآسيوي (آسيا الوسطى)، وحتى الغربي منه (تكون أغلب الفئات القائدة في صفوف الأنصار الشيشان هم عرب).

وسيواكب هذا التوجه الجديد، صحوّة دينية قوية إسلامية (يخطئ البعض في اعتبارها خالية من أية أبعاد عسكرية أو سياسية حتى وإن بدت كذلك)، في الدول الإسلامية وغير الإسلامية.

وإن حصل وأن جُسّدت هذه المقاربة في أرض الواقع، يكون المجاهدون الشيشان قد أفلحوا في فتح جبهة عسكريّة للإسلام:

---

(87) Alain Barner et Xavier ranfer: *La guerre ne fait que commener*, Paris: J.C Lattes, 2002.

فحسب تقديرات عديدة، يوجد ما بين 1,3 بليون و1,5 بليون مسلم في العالم، والمسلمون يتواجدون في كلّ مكان، غير أنّ مراكز تجمعهم تجدها في آسيا وإفريقيا وبعض مناطق أوروبا، ويُعتبر إلى جانب ذلك الإسلام الدّيانة الأسرع انتشاراً ونمواً في العالم، وليس ذلك فحسب، بل هو الديانة الأسرع نموا في الدول الصناعية المتقدمة كذلك، وتضمّ الشعوب الإسلامية نحو خمسة وخمسين دولة يُطلق عليها مسمّى "الدولة الإسلامية".

وقد كوّنت الشعوب الإسلامية أيضا بصفة شرعية دولاً لم تحظ باعتراف المجتمع الدولي، وتضمّ هذه الدول جمهورية الشيشان، شمال قبرص، كشمير وجمهوريات شمال القوقاز وسيبيريا فلقد تمّ الاعتراف بجمهورية الشيشان من قبل أفغانستان، ومع ذلك لم تنضم أي من هذه الدوّل إلى الأمم المتحدة أو أيّ من المنظمات الدولية الأخرى، ومن وجهة نظر المجاهدين الشيشان فإنّ عدم الاعتراف بهذه الدول أمر يثير القلق. لكنه في نفس الوقت له دلالته، ويكشف عن النوايا المحاطة بكل ما هو إسلامي. وهو ما يدفع بالمجاهدين الشيشان إلى إعلان الجهاد على كل من تقف أمام الإسلام كرقعة جغرافية أو دين علما أن المسلمين الحقيقيين والمناصرين لقضية أمّة الإسلام قد تحولوا إلى منبوذين لا في أوطانهم فحسب بل وفي كل العالم.

فالأمميّة السلفية الجهادية التي سيندمج إليها المجاهدين الشيشان، ما هي إلّا مرحلة للنهوض بالمكانة التي اختصّ الله بها الأمّة الإسلامية وترسيخها لن يتأتّى بالنسبة إليهم إلّا إذا اتخذّت شعوب هذه الأمّة وشبابها المؤمن المجاهد، وهذا أمر سيكون في متناول أيديهم، بفعل تنامي ظاهرة الجماعات الإسلامية المجاهدة الحقّة (ولنضع جانبا تلك التنظيمات المؤسّسة مخابراتياً)[88] في العالم، وخاصة إذا كانت لديهم القدرة على التعايش وفقا لمبادئهم ومصالحهم المشتركة، وهذا الأمر يصدق على الجماعات الإسلامية الجهادية.

---

(88) وهي تنظيمات أنشأت مخابراتياً قصد التضليل أو التغلغل، غالبا ما تكون عملياتها الاحترافية من تشويه صورة المنظمة الأصلية أو لتنفيذ اغتيالات في صفوف الأعضاء النشطين أو المؤسسين مثلما وقع ذلك في حركة فتح الفلسطينية.

وبهذا يكون موقف المجاهدين الشيشان موقف نمطي لباقي التنظيمات الجهادية في العالم، إذا وضعنا في الاعتبار الحالة الراهنة للأوضاع في العالم الإسلامي، وحتى المجتمع نفسه الذي لا يمكن أن نطلق عليه صفة الدولي إلّا من قبيل التجاوز، يجدّد نفسه أمام صعوبات قانونية وهيكلية وسياسية، فالمجتمع الدولي هو الذي خلق هذا الوضع، فهناك قرارات دون آليات لحل المشاكل التي تنوه إليها هذه القرارات، فهناك حديث عن القانون الدولي، ولكن ليس ثمة قانون يمكن أن يُتصور أنه سيوضع موضع التنفيذ، وإذا كان القانون أو ما يطلق عليه مسمى القانون غير ذي أثر أو كان ينفذ بالمخالفة لما جاء به من مقاصد، كما هو الحال اليوم، فأين هو القانون؟ وكيف يمكن لهذا القانون أن يكون قانونا دولياً بالمعنى الصحيح لهذا المسمى؟ هي تبريرات التنظيمات الجهادية قصد استرجاع الحقوق وإقامة العدالة الربّانية عوض عدالة وضعية غير محايدة.

فالأممية السلفية ستكون ردّة فعل المجاهدين الشيشان لمقاومة هذا الجمود من جانب الآخرين في العالم (خاصة المسلمين) إزاء هذا المجتمع الزائف الذي يشيرون إليه عن طريق الرجوع إلى القرآن الكريم وسنة النبي محمد كحل لكل مشاكل العالم بالنسبة لكل الشعوب وكل مخلوق من المخلوقات، والعودة إلى الله الخالق الحقّ وربّ يوم الحساب.

فالجهاد هو أكثر ما يدعوا إليه المجاهدون الشيشان كحلّ للمشاكل التي تواجهها الإنسانية، بل هو الحل الوحيد بالنسبة إليهم، عن طريق عالمية للجهاد الإسلامي بشقيّه الدعوي والمسلح، حتى يقام منهج حياة وفقا لشرع الله، فالأنصار يؤمنون(89) بأن حل المشاكل لا يكمن في أقطار أو نظم أخرى لأنها أفكار ونظم معاديّة للإسلام، وأنه ليس ثمّة دولة أو أمّة على مدى التاريخ تحقق لها البقاء والدوام، ولن يحدث ذلك مستقبلاً، والعبرة والمعيار الذي تقاس به حياة الشعوب هو الإخلاص للعقيدة.

وتجدر الإشارة أن لجهاد الأنصار الشيشان مشروع أممي سلفي

---

(89) الشيخ أبو إسحاق الحويني: أسباب النصر والهزيمة، الجزائر: دار الفوائد للنشر، 2004م، ص416.

جهادي[90] قائم على الخطوات التالية:

أ - يجب على المجتمع الدولي المزعوم أن يعترف فوراً بجمهورية الشيشان المسلمة، وجعلها عضوا كامل العضوية في الأمم المتحدة، ومنحها كرسيا في مجلس الأمن.

ب - ضرورة الدعوة لعقد اجتماع موسّع لممثلي الأقليات العرقية والشعوب الموجودة بالاسم فقط، ومنحهم حق التصويت في الأمم المتحدة ودعوتهم للمساعدة في إيجاد جهاز حقيقي وشرعي ليتولى حكم المجتمع الدولي الحقيقي.

جـ - ضرورة إنشاء منظمة مهمتها تغيير الأسس القانونية للعلاقات الدولية، وبالنسبة للأمم المتحدة يجب أن يشمل ذلك تغييرا في هيكل الأمم المتحدة ومعايير عضويتها، والشرط الأساسي وغير القابل للمناقشة في هذه الإجراءات، هو بالطبع منح الأولوية لإقامة شرائع الله في حلّ المشاكل المُعقّدة.

ولهذا فتبنى هذا النّهج الأممي السلفي هو تجديد ثقة بالمجاهدين الشيشان والذين سيتعين عليهم خلق تلك الظروف الإستثنائية (الخطوات السابق ذكرها) لهم، تبعا لما يلي:

أولاً: الظرّوف المطلوبة شيشانيا، يجب ألّا ننظر إليها - حسبهم - على أنّها ظروف استثنائية، وإنما هي ظروف عادية وعادلة.

ثانياً: يرون أنه لا يجب أن يُنظر إلى الشيشان بالمفهوم العرقي أو القومي فقط، بل الأحرى أن يُنظر إليهم كقوة رسخت فيها روح الحرية والعدالة بصورها المتكاملة.

ثالثاً: كون الشيشان هم الذين أثبتوا قدرتهم على الصمود من أجل تحقيق أسمى غايات وأهداف الإنسانية، دون هوادة أو تنازل، وهذه الغايات هي بطبيعة الحال: الإيمان الحقّ والاستقلال والعدالة.

Céline Françis: *Le courrier Tchétchène: le compte -Rendu en langue française* (90) *de l'actualité Russo Tchétchène*, Paris: Groupe Tchétchénie, Novembre, 2004, p71.

رابعاً: أنّ ما يطلق عليه ما سميّ الجهاد في الشيشان هو في حقيقته جهاد شامل، وهذا بالنسبة إليهم لا يخضع للشك حتى من قبل أعدائهم. وزيادةً على ذلك فإنّ كلّ من يتطلّع ويتعطّش لتحقيق العدالة والحرية على الأرض، لابدّ له أن يشارك في هذا الجهاد بشكل أو بآخر.

خامساً: كونهم يؤمنون بأن الله قد عرفهّم بآيات صدقه وقوّته من خلال المجاهدين الشيشانيين.

وعلى الرّغم من أنّ اختيار هذا النهج، قد يؤدي إلى اتهّام المجاهدين الشيشان بالتطرف، فهم يعتبرون أنّ التطرف مصطلح أُطلِقَ على العمل والحركة في العالم المزيف الذي يعايشه الناس، والقصد منه هو مواجهة الأفكار ولأفعال التي تسعى لطمس حقيقة دور الجهاد اتجاه الأنشطة الاجتماعية والسياسية، التي تحتاج لأن تكون نظرة شاملة بالمعنى الحقيقي.

ويرى باسييف أن الجهاد يجب أن يصبح من المبادئ القيادية في علوم وتطبيقات الدين الإسلامي، ومعنى الجهاد ومكانته بالنسبة للمسلمين في كافة أرجاء العالم الإسلامي، حيث يجب أنّ يتمّ التأكيد عليها وترسيخها وفقا لأحكام القرآن وسنة النبيّ، وعند القيام بهذه المهمة يجب أنّ ترسم الدّول الإسلامية لها طريقا ومساراً إسلامياً مستقلاً بعيدا عن أي مؤثرات أو تدخلات خارجية.

وعليه فحلول الأممية السلفية الجهادية، ستكون نتيجة انعدام أي تحالف عسكري بين الدول الإسلامية، المطالبة بأن يكون لها حضور دولي نشط، لتصبح هذه الأممية شيشانيا مجرد تحالف عقائدي يجب أنّ يقوم على أساس أن مفهوم الجهاد هو المبدأ الأساسي المُنظِّم لهذا التحالف، بما يكفل إثبات وتأكيد أن الإسلام له حضوره النشط والمستقل والمتطلع لآفاق المستقبل في العالم.

إنّ كل ما ذُكر أعلاه له مغزى هام في فهم مكانة الإسلام في المنظومة العسكرية العالمية، وسيادة هذا الدين التي تنبع من حقيقة أنه هو خاتم كلمات الله، وأنه من ثم يضّم بين جنباته كافة جوانب الحياة البشرية

والمجتمع، كون هذا الدين وضع ليكفل خير وحماية المؤمنين ورعايتهم، وذلك بأن أوضح لهم كيفية مواجهة القوى التي تتهددهم سواء كانت قوى من الداخل أو من الخارج، وهذه القوى التي تتهدد المؤمنين تشمل قوى الأعداء وقوى من بين صفوف المسلمين. والجهاد من خلالها يعتبر الآلية التي حمي الإسلام نفسه من الفساد والعدوان.

فإعلان الجهاد على من يسمونهم الأنصار الشيشان بقوات الكفر أمرٌ وارد في المستقبل، وهو الأمر الذي يرون من خلاله القتال كأحد وجوه الجهاد الذي فرض على المؤمنين، وقد ورد في تفسير القرطبي: "قال ابن عطية، والذي استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمّة محمد صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فرض كفاية، فإذا اعتنقه من قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلّا أن ينزل العدوّ بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عيّن"(91).

وتستند العقيدة القتالية للأممية السلفية الجهادية المشيّشنة إلى الإسناد الفقهي لأئمة الأمة والسلف الصالح: حيث ستكون من مبادئ الحرب الجديدة هي: التعرض، ويمكن أن نسميه المبادأة، ويقصد به مبادرة العدوّ بالقتال: فالمهاجم غالباً هو صاحب النصر، وهناك قول مأثور أو قاعدة عامة في القتال تقول: الهجوم وسيلة للدفاع، وهي بمعنى قول الإمام علي رضي الله عنه: "ما غُزيَ قوم في عقر دارهم إلّا ذلوا"(92).

فالخروج عن الحدود الإقليمية لشيشينيا من أجل حمل راية الجهاد العالمي سيدرك من ورائه المجاهدون الشيشان أن الطريق شاق على النفوس، ففيه مفارقة للأرض ورفاق الجهاد، وفيه نقص الأموال والأنفس، وفيه إراقة الدماء، وذهاب الأرواح، إلّا أنه كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 216]. وبالتّالي اليقين أنّ

(91) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثالث، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

(92) إبن أبي طالب، الإمام علي: نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه، د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب اللبناني، سنة 1980م، ص69.

النصر من عند الله، بعد إعداد القوى ورباط الخيل كفيل بأن تتيسر وتفتح أبواب الاجتهاد والجهاد لأنصار السلفية الجهادية المسلحة الشيشانية. روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم، قال: "انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلّا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجحه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنّة، ولولا أن أشق على أمّتي ما قعدت خلف سرية ولو ذدّت أني أقتل في سبيل الله ثمّ أحيّا ثمّ أُقتل ثم أحيّا ثمّ أُقتل"، مادام المجاهدون في ذلك يعتمدون على أوامر ونواهي المدرسة المحمدية.

وسيكون هذا الاختيار مسبوقا باحتياطات وحذر وفقاً لما ذكره ابن العربي في تفسير أحكام القرآن 116/1 عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: 195]. وفي التهلكة خمسة أمور:

1 - لا تتركوا النفّقة.

2 - لا تخرجوا بغير زاد.

3 - لا تتركوا الجهاد.

4 - لا تدخلوا على العساكر التي لا طاقة لكم بها.

5 - لا تيأسوا من المغفرة.

وبالتالي سيكون خروج مجاهدي الأنصار من العمل الإقليمي (القوقاز) إلى العمل الدولي وفقا لما يجب من ضرورة إعداد الرباط من أجل الجهاد حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: "**رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم من الجنّة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو العدوة خير من الدنيا وما عليها**" (رواه البخاري: 43/4)، فرسم الحدود الأمنية لأمة الإسلام شيشانيا تبتدئ من أراضي العدوّ (دار الحرب)[93]، ولهذا شنّ ضربات وفق

(93) أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية: بعد مضي الفتوحات النبوية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، 1997م، ص121.

مبدأ المبادأة[94] سيضمن للسلفية الجهادية المشيشنة في عالميتها النصر، ونرى أن هذا السيناريو هو أقواها احتمالاً ووقوعا نظرا لتصاعد دور العرب الأفغان في التنظيم وتزايد أعدادهم (حيث انتقل عندهم من 300 مقاتل - مجاهد- ستة 1996م إلى 3050 مقاتل - مجاهد- سنة 2003م)[95]، وهو ما سيؤدي إلى تعزيز حضور هذا الهدف عند المجاهدين الشيشان (من غير العرب الأفغان)، والذي سيكون من جملة أهدافه [96]:

1 - إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

2 - استرجاع الأراضي الإسلامية التي فتحت (وهو ما يصطلح عليه بفتح رومية).

3 - إمامة نظام الخلافة الإسلامية والعمل بشرع الله.

وتُعتبر طبيعة قيادة هذا المشروع من أصعب المشاغل التي ستشغل الأنصار، غير أنّه من المحتمل أن يوّسع مفهوم الإمامة العسكرية من مفهومها الإقليمي إلى ما فوق ذلك، كون الرسالة الجهادية الإسلامية، بوصفها رسالة عقائدية، قد خطّطت لحماية نفسها من الانحراف والاعتداء الخارجي، وضمان نجاح التجربة خلال تطبيقها في نهج الجهاد السلفي الأممي، مقرون بالدرجة الأولى بتحويل قيادة وصيانة التجرّبة وتوجيهها دينيا وعسكريا إلى أئمة من ذوي الخبرة الجهادية (الدعوية والمسلحة)، بوصفهم أشخاصاً عقائديين بلغوا في مستواهم العقائدي درجة من التثبيت من الانحراف والزلل والخطأ ليتحول الأنصار (وهو واقع أغلبية التنظيمات الإسلامية المسلحة في العالم) إلى جيش عقائدي مكونا من الصفوة المختارة من العلماء والدعاة الشباب المسلم المقاتل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: 69].

---

(94) نفس المرجع، ص 199.

Le monde, N° 18552, du: France Métropolitaine, le Samedi 18/09/2004, p16. (95)

(96) الشيخ، بدر نادر المشاري، مرجع سابق، ص608.

الخاتمـة

وبناءا على ما سبق، فإنه نظرًا لأهميّة حرب الأنصار الشّيشانية، ونظرا لأهمية العقيدة الإسلامية الجهادية فيها، وضرورة خلوّها من الشك، وسلامتها من شوائب كدورات المنطلقات المادية للحرب.

ونظرا إلى الهزات العنيفة القوية التي تتعرض لها العقيدة القتالية الإسلامية في نموذجها القتالي الشّيشاني جراء طغيان الحضارة المادية من جهة، ومن طفرة العلوم العسكرية المادية من جهة أخرى.

نظرًا إلى هذا وذاك، فقد رأيتُ أنّ الحاجة جد ماسة إلى وضع حرب الأنصار (العصابات) الشّيشان كنموذج مناسب لأثر العقيدة في تكوين وتوجيه حرب الأنصار على ضوء كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهج السلف الصالح، على أن يكون لهذا الأثر دلالات قطعية وحجج قوية، مستندين في ذلك إلى أدلة علمية عسكرية، وأخرى دينية شرعية، منارا بالحجج العقلية النظرية القياسية.

إنّ هذا البحث ما كتبته إلّا لعلمي بحاجة الشّباب المؤمن الأكيدة اليوم إلى علمية في القراءة العسكرية والدينية لكل ما يدخل في وعاء " الدولي " وما يمس نماذج الجهاد في العالم الإسلامي، مع محاولة لتصحيح بعض المفاهيم من خلال عرض لمسيرة أنصار الجهاد السلفي الشّيشاني المسلح. إلى جانب افتقارهم الشديد إلى مثله، إذ يعيشون في زمن أصبح من الصعب فيه قراءة الأولين، والاستفادة منها. وذلك لعدة عوامل من أهمّها ما يلي:

أوّلاً: ضعف الملكة العلمية التي يتأتى بها للقارئ أن يفهم ما يقرؤه، ويستفيد منه ما هو في حاجة إليه من تصحيح معتقد، أو فهم حكم، أو تحقيق مطلب.

ثانيا: قلّة الباحثين الدّارسين لكتب العقيدة القتالية الإسلامية، المحققين لها، العالمين بما فيها، الذين يرجع إليهم الطالب اليوم فيما خفي عنه منها، أو أشكل عليه فيها.

ثالثا: انعدام الهمم العوالي (إلّا ما شاء الله)، تلك الهمم التي كانت تحمل أصحابها على الصبر في الطلب، وعلى المثابرة في الدرس حتى يلين الصلب، ويسهل الصعب، فتنكشف خلفيات المعاني.

رابعا: ما طبع به العصر اليوم أهله من حب العجلة والعاجلة، والرغبة عن الأجلة والآجلة والعلم من شروط اكتسابه، والحصول عليه: الصبر والأناة والرّغبة فيما عند الله.

هذه بعض العوامل التي جعلت الحاجة إلى مثل هذا البحث الذي نقدم له حاجة ماسة، والعمل في كتابته وعرضه من الأعمال الصالحة النافعة[1].

فحرب الأنصار الشّيشان، هو نموذج "لعقيدة المؤمن القتالية" الحاوي لمعاني ومفاهيم الجهاد، مشتمل على أصولها، جامع لفروعها، لم يترك فيها مجاهدي الأنصار من أصول العقيدة القتالية الإسلامية ما يخل بها ولم تغفل الإمامة الجهادية الشّيشانية من فروعها ما يُضعفها أو يُوهنها، فقد اشتملت حرب الأنصار (العصابات) الشّيشانية على أهم عوامل الإعداد القتالي ومقومات حسم أمور المعركة ومسائل النصر والهزيمة والتي تشمل على:

- الإيمان بالله تعالى وأدلته ومراتب المؤمنين فيه.
- توحيد الله تعالى.
- إعداد القوى ورباط الخيل.

فدعوى استغناء المقاتل عن العقيدة هي دعوى باطلة يكذبهّا الواقع

(1) أي المتعدي نفعها إلى غير عاملها.

العسكري ويبطلها تاريخ الجهاد الشّيشاني الطويل، إذ واقع الأنصار الشّيشان شاهد على أنّ المقاتل حيثما كان، وفي أي معركة أو ظرف وجد، وعلى اختلاف تكتيكاته وتنظيماته، وتباين إعداده العسكري والظروف الطبيعية والسياسية بجبهتيها (الداخلية والخارجية منها) لا يخلو من عقيدة أبدا، وسواء كانت تلك العقيدة حقا أو باطلا، صحيحة أو فاسدة، حتى الجنرالات الرّوس كغيرهم من نظرائهم الأمريكيين الذين يدّعون اليوم أن العلوم العسكرية والتقدم التقني والفني قد أغنى عن العقيدة وعن التدين في إعداد المقاتل وخوض الحروب، وأنّ الجنود والجيوش أصبحوا في عصر لم يصبحوا في حاجة إلى الإيمان بالله تعالى، وبالغوا في الكفر والإنكار في حسم مسائل الانتصار والهزيمة في المعارك.

فالقصد من إدراج نموذج الجهاد الشّيشاني الآخذ شكل حرب الأنصار هو تقرير حقيقة علمية ثابتة بكل القوانين العقلية والشرعية وهي أنّ الجندي في حاجة إلى الإيمان، والعقيدة وأنّ الدين ضرورة من ضرورات إعداده للقتال، وحاجة من حاجات المجاهدين، فلا غنى لهم عن الإيمان بربهم، وعن الجهاد في سبيله كعبادة ربانية بحال من الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين(2)، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، والمراد من النذير نبي أو رسول، أو عالم وارث لعلم النبوة ينذر الأمة عاقبه الكفر بالله، بكتبه ورسله، وشرائعه، ويحذرها من نتائج التقاعس عن الجهاد في سبيله، وما يتبع ذلك من اتجاه السلوك بالظلم والشر والفساد، وهو ما هي عليه الآن البيئة الدولية بفاعليها (دول، منظمات دولية... الخ).

فالمجاهد الشّيشاني بفطرته يشعر بضعفه وحاجته إلى ربه في إعانته وتوفيقه ورعايته وحفظه، ولذا فطلب معرفة الرب، والتعرف إليه بما يجب من أنواع القرب وضروب الطاعات والعبادات كان شرطا من شروط إعداد القوى.

(2) قال بازماك الإغريقي مقرّرا الحقيقة التي قررناها وذكرها القرآن الكريم، قال: قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور ولا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد مدن بلا معابد".

فلأنصار الشّيشان عبر مراحل الحروب التي خاضوها أو التي سيخوضونها مستقبلا ضدّ الجيش الرّوسي أو غيره كشفوا عن مواهبهم وأفكارهم ومشاعرهم وأحاسيسهم طالبين دائما من الفعل الجهادي المسلح المزيد من لسمو والرفعة والعزة والتمكين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعرَاف: 128].

أمّا الجيش الرّوسي، هو في أحواله الثلاثة مفتقر في فعله القتالي إلى تشريع ديني، إلهي يلائم فطرته وينظّم له علاقته فيما بينه وبين أفراده لتوفير أسباب النصر وبقائه صالحا في ميدان المعركة.

فالعقيدة الصحيحة (الإسلامية)، تمد المقاتل (المجاهد) بفيض علمي كامل عن الجهاد والشهادة عبرها يمكن أن يعرف حقيقة الوجود، والعلة من الوجود واستعمار الأرض وعلة النصر أم الشهادة، وأسباب السمو والكمال والهبوط والنقصان التي تطرأ عليه في مسيرته الجهادية.

فحاجة المقاتل إلى دين إلهي صحيح أشد من ضرورته إلى العناصر الأوّلية لحفظ حياته، واستمرار وحدته من سلاح وخبرة وتقنية وإستراتيجية أو حتى سياسة، ولا ينكر هذه الحقيقة، أو يجادل فيها إلا معاند، مكابر، لا يؤبه لعناده، ولا يلتفت إلى جداله.

كما أنّ دعوى التمكين بالعقل والتكنولوجيا العسكرية التي بإمكانها الاستقلال بالجيوش إلى ما يثبتها وينصرها، دعوى باطلة ساقطة لا وزن لها ولا واقع، وذلك لأنه رأينا الكثير من الجيوش والوحدات القتالية على عكس وحدات الأنصار الشّيشانية. لما فقدت هداية الوحي الإلهي لم تعن عنها هداية العقول والتكنولوجيا العسكرية شيئا، فضلت وهلكت. ومما قاله القرآن في هذا الموضع قوله تعالى من سورة الأحقاف: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: 26].

وذلك لأن التكنولوجيا العسكرية لا تهدي إلى معرفة كل ما ينفع

الجيوش في إعداد العدة وخوض المعارك لتأخذ بها، ولا إلى معرفة كل ما ينقص ويسيء الجيوش في حروبها لتتجنبها وتنجو مما قد يلحق بها الهزيمة أو حتى الفناء إلّا في ضوء الشرع الإلهي ونور وحيه. لأن التكنولوجيا العسكرية لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التي هي آلة إبصار. والعين قطعا لا تبصر ومهما كانت سليمة وقوية إلا في الضوء والنور، ولا يمكنها أن ترى وتبصر في الظلام أبدا. وفي أي حال من الأحوال، الإعداد المادي للحرب مثل العين سواء بسواء.

كما أن العين لا تبصر إلا في الضوء والنور، فإن الإعداد المادي للحرب لن يتوج بالنصر إلا على ضوء الشرع الإلهي ونور وحيه تعالى إلى أنبيائه ورسله. ومن رأى غير هذا فإنه يغالط نفسه، ويكابر في شيء من الخطأ والضلال والمكابرة فيه، لكونه من المحسوس المشاهد.

كما أن دعوى الاكتفاء بالمعرفة والعلوم العسكرية عن الوحي الإلهي الذي يمثله الشرائع الإلهية الصحيحة، السليمة من التحريف، والزيادة، والنقص والتبديل كالدين الإسلامي مثلا دعوى باطلة قطعا، ومن وجهين أيضاً:

الأول: أن ما عند الجيوش من بعض العلوم العسكرية، والمعارف في الفنون الحربية، والأخلاق والآداب القتالية إنما هو نسب إلى بعض كبار قادة الجيوش العالميين مغالطة وتضليلا لا غير.

والثاني: أن العلم العسكري المادي مقصور على نفع الجيوش في الجانب المادي منه، وهو التقنية الحربية ومتطلباتها. وأما الجانب الروحي وهو الأهم فإن العلم العسكري المادي لم يخدمه في شيء، ولم يقدم له أي نفع البتة لأنه لم يكن روحيا متجانسا للروح فيقدم له ما هو في حاجة إليه.

إن العلاقات الدولية اليوم في حالات الحرب (النظامية منها أو غير النظامية) أصبحت مبتورة وخالية من تفسير أسباب الانتصار والهزيمة للقوى الدولية (الصغيرة والكبيرة منها)، إلى الإسناد العقائدي القائم على الوحي الإلهي. حيث لم تعد إلى الكشف وتحليل بعض الظوّاهر الدولية المادية فقط، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: 7]، فكيف إذا نستطيع أن تقدم أي خدمة للروح وهي لم تكسر حجاب المادة

بعد، ولم تعرف أي سر عن حقائق الحروب الدولية وعللها.

وقد اعترف علماء العقل ضمنيا بالعجز الكامل من معرفة العلل والأسرار لأية ظاهرة من ظواهر هذا العالم، كأنهم يقولون اسألونا بكيف، لا بماذا، يعنون قولوا لنا كيف وقع الشيء الفلاني؟ فإننا نجيبكم. أما لماذا وقع فإننا لا نعرف الإجابة عنه ولا نملكها أبدا. وذلك لحرمانهم من علوم الوحي الإلهي.

وشيء آخر: أليست العلوم العسكرية المادية والتنظير للعلاقات الدولية قد بلغت الذروة في التطور بعد أن قطعت شوطا بعيدا في التقدم والشمول في كلّ المجالات؟، ومع هذا التطور فإن التفسير العسكري والسياسي الدولي في شقاء دائم. ولم تخط يوما خطوة إلا شقاء آخر أكبر والواقع يشهد. وكفى به شهيدا. ولذا فإنه لا مناص من الاعتراف بالحقيقة، والتسليم بها، وهي أن الدين الحق ضروري لانتصار وبقاء الجيوش، لا غنى لها عنه بحال من الأحوال. وأن انتصار الجندي وتمكينه - مثلما هو لدى المجاهدين الشّيشان- متوقفان عليه توقف المعلول على علته، والمسبب على سببه.

فالعقيدة التي نعني ضرورتها للجيوش لتوقف نصرتها واستمرارها عليها، إنّما هي العقيدة الحقّة الصحيحة، الدّين الذي شرعه الله، وصحت نسبته إليه تعالى. أما الأديان الباطلة المفتراة كالبوذية والمجوسية والمحرفة المبدلة كاليهودية والنصرانية فإنها وإن سميت أديانا فإنها خالية من الوحي الإلهي الذي يمثل فيها شرعا إلهيا متكاملا يقدّم للجيوش كل ما تحتاج إليه لتقويم جنودها وروحها القتالية. والدليل الواضح على لذلك أن لجيش الرّوسي المتدين نصرانيا أرثوذوكسيا لم يحرز أيّ تقدم عسكري حضاري إلا بعد التمرد كغيره من الجيوش الأوربية المتدينة بالنصرانية والكفر بالدين الذي كانت تعيش عليه زمنا طويلا وهو يكبلها ويقيدها.

فالدّين الإسلامي هو الدّين الكفيل بدعم الجيوش الإسلامية والزحف على غير الإسلامية منها. والخروج بها للنصر، التي سلبتها الحضارة المادية العاتية حتى صيرت الأمة الإسلامية بقعة لا فهم ولا معنى لها، ولا تقدير لها ولا احترام . . .

وبالنظر في هذا والتأمل فيه نجد أن الإيمان وسيلة للحصول على تلك الثمرات التي يثمرها كل جزء من أجزائه، كما نجد أنّ تلك الثمرات هي وسيلة تؤدي إلى غاية من أشرف الغايات وهي كمال الإنسان الذّاتي والروحي، وسعادته في الدنيا والآخرة، فكل نصر وتمكين لقوة عسكرية إسلامية له مردّها إلى طاعة الله ورسوله، تلك الطاعة المزكية للنفس، والمؤهلة للإنسان لدخول دار السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النّساء: 69-70]

فللعقيدة بذلك أثر بالغ الأهمية في انتصار حرب الأنصار الشّيشانية، وهو ما يعكس الدور الذي يجب أن تحذوه الأمة المسلمة في عالم الغد. فمن البديهي أن يبدأ دور الأنصار الشّيشان من مذهبية إسلامية سديدة، واضحة المعالم محددة الاتجاه، إذ من نافلة القول أن يدعي أي باحث: أن الانتقال التكتيكي في أي جيش أو وحدة قتالية، لا بد أن ينطلق من أسس واضحة، يخضع لها بالتالي إلى المنطق الداخلي الذي يربط بين أفراد التنظيمات القتالية الإسلامية خاصّة.

فأنصار الجهاد السلفي الشّيشاني المسلح الذين قادوا أوسع حركة جهادية شاملة سنوات عدة، بموجب ذلك القانون المطرد، بدورهم لهم منطق داخلي مترابط متوازن، يشكل" المذهبية السلفية الجهادية المسلحة" التي تجيب على مشكلة المسلمين أمام التغيرات الدولية وأمام خالقهم، وفي داخل الحركة الإسلامية نفسها إبان في تطورها الخاص بها، لاسيما أن العقيدة الإسلامية القتالية المجسدة في الفعل الجهادي المسلح للأنصار والشّيشان على مدى تصعدها هي عقيدة قتالية مفتوحة، تجمع دائما فضائل إعداد القوى ورباط الخيل، من منطلق قول النبي -صلى الله عليه وسلم -: **"الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"**[3].

ومن هنا نلاحظ أن حسم مسائل الانتصار والهزيمة على عكس ما طبق

(3) سنن الترمذي: علم 19، مع شرحه: تحفة الأحوذي، 3/ 382، بيروت: دار الكتاب، 2002م، ص103.

عند الأنصار الشّيشان، والمطبق في المعسكرات الإسلامية أو غير إسلامية منها في العصر الحديث، لم تؤت ثمارها المنتظرة، لأنها كانت تقليدا محضا لما حصل خارج العالم الإسلامي من حركات التغير العسكرية استراتيجيا النابعة من الحضارة الغربية التي تختلف اختلافا جوهريا في مصادرها ومناهجها المادية، وتطور تاريخها وأعرافها عن العقيدة القتالية الإسلامية.

إنّ الوجود الحقيقي لحرب الأنصار الشّيشانية هو كيانه الديني والعسكري المتميز عن الموجودات العسكرية الدولية الأخرى. فمنهج الحرب الشّيشاني السلفي الإسلامي يريد أن يوجد للمجاهد، (كجبهة أمامية عاملة للإنسان المسلم) وجودا حقيقيا لا وجودا أوليا مكتوبا في الموسوعة العسكرية أو دفاتر الاستراتيجيات الدولية، بينما وجوده الحقيقي يكون تابعا لسياسات دفاعية غربية، كوضع الأمة الإسلامية اليوم.

فهي لظروف تاريخية معيّنة من الخمود والجمود والسقوط وإهمال سنن الله في الوجود، وجهل حقائق الإسلام، وعدم فهم طبيعة المرحلة وفضيلة الجهاد في سبيل الله، وقعت فريسة للعسكرية المسيحية التي تريد أن تبتلع الكيان الحقيقي للحضارات والثقافات وأصالة الأمم والشعوب، لأنها تؤمن كروسيا إلا بطريق واحد، وتصر على أنّ كل من لا يعدل ويلغي ما كان عليه تاريخه وحياته الحاضرة ويمشي في موكبها بدائي ومتأخر.

فمنهج الأنصار الشّيشان هو من منطلق الوحي الإلهي إلى الحاضر والمستقبل ذلك الوحي المستقل عن الزمان والمكان، المتجسد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من خلال ضوابط تفسير النص الإلهي والنبوي، التي أجمع عليها علماء الإسلام وهي النقل الصحيح عن أساليب الدفاع عن الأمة وآداب الجهاد المسلح عن النبي -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وقراءة جهاد الأنصار الشّيشان قراءة دينية علمية معاصرة، وقوانين العقل، والمعرفة القتالية والنفسية المتجددة في التعرف الحقيقي على مقاصد الشرع القتالية (الجهادية).

فمن خلال التعّرف على حرب الأنصار (العصابات) الشّيشان، يتضح

أنّ قوّة الفعل القتالي (الجهادي) مستمدة من العقيدة الإلهية (منهج أهل السنة والجماعة)، كمنهج صاف مباشر يخاطب الكينونة الإسلامية المجاهدة (دار السلام) مجتمعة، ويوقظ فيها الحمية والفطرة النظيفة. فالعقيدة هي كل شمولي لا تضع خطوطا فاصلة بين إعداد العدة (الجانب المادي للحرب) والتنشئة الدينية (الجانب الروحي للحرب) وإنما يجمعهما ويؤطرهما على صعيد واحد، يأخذ بعضها بشروط بعض ليُشكِّل المنهج الذي تتولد منه أسباب عزة وتمكين الجيوش المستمدة من حقيقة معرفة حقائق التوحيد والحاكمية المطلقة في الوجود.

فحرب الأنصار الشّيشان في مواجهتهم للقوات الرّوسية، هو تقديم لقدوة عسكرية دفاعية في وجود الأمة الإسلامية، التي تحولت من عبادة رب العباد إلى عبادة الأنداد التي تستعبدها وتسحقها وتسلب آدميتها تحت عجلة الإستيلاب والطغيان.

فإذا رجعنا إلى مساحة الصراع الشّيشاني الرّوسي الواسعة والتي أشغلتها اصطدامات مكتفة مسلحة بين المقاربة القتالية الإسلامية والمقاربة القتاليّة غير الإسلامية، رأينا أثر العقيدة الصحيحة في استمرار وانتصار قوة عسكرية وإن قلّت على حساب أخرى فلا يستوي في ميدان المعركة بين جيش التوحيد وجيش التثليث شأنه في ذلك شأن المقاومة (الجهاد) بمدن أفغانستان أو حتى بالعراق ضد الآلة العسكرية الأمريكية، كونها وحدات قتالية ربانية قامت بإرادة الله تعالى وتوجيه وحيه، لم تتخذ من القوة المادية والخبرة العسكرية نقطة الاستناد الأساسية في المسيرة الجهادية، وإنما استعملت العقيدة كقوة عسكرية ذات قيمة أخلاقية متوازنة مع قيم الغلظة والرحمة في الحرب، كون العقيدة الحربية الغربية الممثلة روسيا لم تكن لترتدع عن المظالم عن طريق الدعوة السلمية واللين في المعاملة، فعقيدتهم كانت تحتاج إلى قوة تحول بينهم وبين الإنفراد بالمستلبين والمظلومين من الشعوب المقهورة، لإنقاذهم من جورهم وإعادة كرامتهم إليهم وإشعارهم بإنسانيتهم ثم الإقرار لهم بحرية التدين: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البَقَرَة: 256].

ومن وراء حرب الأنصار الشّيشانية، والفعل الحربي للمجاهدين الشّيشان، يجب أن ندرك أنّ الرصيد القتالي الشّيشاني الضخم، ليس فكرا وفعلا اجتهاديا وجهاديا مرحليا فقط، وإنما فيه الجوانب التي رسمها منهج السلف الصالح.فعند مراجعتنا لذلك الرصيد، بكل أبعاده وإنجازاته لابد لنا أن نتبنى شروطه التي استمدها من جهاد السلف الصالح، الذي نقل المسلم وفعله القتالي من مجرد مقاومة ودفاع إلى مجاهدة وحركة تغيير ثورية عنيفة ومسلحة مستمرة وفي تجديد دائم، فالوحدانية والربانية والإنسانية والعالمية والقيمية والواقعية والمثالية والعقلانية والإبداع والسلام والخلود والحق والعدالة والوسطية والأصالة، هي صفات عالية تتجسد في مراحل تطور جهاد أنصار السلفية الجهادية المسلحة الشّيشانية، انداحت تداعياتها، لا على أجندة الفكر القتالي (الجهادي) الإسلامي فحسب وإنما على دائرة المعارف العسكرية العالمية وما تحمله من مفاهيم دولية لحالات وشروط الحرب وإقامة السلم المتعلقة بانتشار القوات المسلحة (حالة الحرب) أو انسحابها (حالات من الهدنة أو السلم أو حتى الاستسلام).

فحرب الأنصار الشّيشانية تكون بذلك نمطا من التغيير والتجديد الشاملين في العقيدة القتالية الإسلامية المنشودة المنقذة، البادئة من القاعدة الشعبية، والقتالية المعنوية منها والمادية، وليس بوصفات مؤقتة لملء الثغرات الخطيرة في البنيان الجهادي في جبهته الأمامية (المجاهدين)، أي أن التجديد يجب أن يدخل في المفاهيم العسكرية العميقة، وفي تفسير العلاقات ما بين الدّول أثناء الحرب، حتى تسترجع الأمة الإسلامية من هذه الأخيرة برمتها العافية. فمراكز التأثير العسكري الاستراتيجي الرّوسي قد بدت إلحادية ولا دينية، لم تتمكن من الطاقات الشبانية الإسلامية الشّيشانية المجاهدة المنتمية للمجتمعات الإسلامية القوقازية، ولم يعيقوا بناء كيانها العسكري من جديد، لكونهم يظهر ذلك عليهم من خلال جهلهم لحقائق الدين وحكمته وجمود عقولهم، والاستسلام إلى التفسير المادي والخرافي لأحداث المعارك، وعدم الفهم والإيمان بالسنن الإلهية في الوجود، إلى جانب خواء الروح واضطراب الأحوال والهزائم النفسية، التي تتقاسمها في ذلك الأكثرية المسحوقة من الأمة الإسلامية، التي تمكّن منها الجهل والمرض.

فالمجاهدين الشّيشان يجسدون وحدة العقيدة القتالية الإسلامية، التي هي قبل كل شيء تجسيد للفعل الدعوي والقتالي للعرب الأفغان، فتنوع الأفكار ويقظة العقل واستقرار الأحوال على نهج السلفية الجهادية، هو الذي ساعد الأنصار ومسلمي القوقاز في إيقاظ الروح الجهادية وبنائها بناءا جديدا، قصد تحصينهم أمام ما يمكن تسميته بالحرب الصليبية في الشرق.

فالمنهج السلفي الجهادي هو الكفيل والمتكفل بنقل حرب الأنصار (العصابات) الشّيشانية من المنظومة الجهادية الإقليمية إلى المنظومة الإيمانية الجهادية العالمية (الأممية السلفية الجهادية)، بمعناها الشامل.

وهو منهج الإسلام وطريقته في بناء حماة العقيدة. وهو منهج وعامل مستقل يختلف جذريا عن الأصول العلمية العسكرية النصرانية واليهودية الإلحادية التي سيطرت على أفراد القوات الرّوسية الممثلة للمدرسة الغربية الحربية، في معظم جوانبها ومنظوماتها الفكرية والتكتيكية.

غير أنّ أهمية العقيدة في جهاد الأنصار الشّيشان لم يلغ جهود الآخرين في بناء الفكر العسكري الإنساني، لأنهّا انطلقت من أن الإنسان -وليس المسلم فحسب- هو خليفة الله في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، بمعنى أن الإنسان شاء أم أبى يحمل في فطرته نصيبه البشري من كل اسم من أسماء لله الحسنى، فهو من تلك الأرضية يتعامل مع قوانين الحياة، فينشئ مناهج ووسائل للدفاع، بمعناها الواسع، من الحضارات البدائية إلى الحضارات المعقدة.

فالأنصار الشّيشان عندما جابهوا القوات الرّوسية من خلال عدة معارك، كانوا يقتبسون من ثمرات (انتصارات) تلك الوحدات فيجمعون فضائلها كلما كان التوجيه سديدا. فمثلا أخذ العرب الأفغان من علوم الرّوس وخبرتهم العسكرية، ومنطقهم وبعض مناهجهم في التفكير العسكري، إلا أنهم لم يأخذوا من معاركهم، لأنها كانت تمثل تحدي التكنولوجيا العسكرية لمشيئة الله، بينما منطق الأنصار كان يقوم على أساس التوحيد الخالص، وفهم أسباب التمكين فهما شرعيا وعقلانيا.

ولقد وعى الأنصار بذلك وعيا تاما، فأخذوا الإمامة العسكرية

والحكمة والعلم من ارتباطهم بالعقيدة الإسلامية. ولم يقفوا قط مغلقين أمام التطورات والتغيرات التي تمس المعارف العسكرية من جهة، وما يحدث في الأراضي الإسلامية من جهة أخرى، بل انفتحوا انفتاحا ذكيا منضبطا في كثير من الأحيان أمام جهود الجماعات الإسلامية المسلحة (المجاهدة) في العالم العاملين من أجل بناء واضح لشرع الله وإقامة حاكمتيه، في ظل ما يجعل المسلمين أكثر قوة وأكثر تقدما وأكثر أصالة، حرصا منهم على تقديم النموذج الجهادي الإسلامي الأمثل.

فمن وراء الحرب الشّيشانية-الرّوسية يتضح لنا مخططات الرّوس كلها، السرية والعلنية، الذين عقدوا العزم على ألّا يقوم للإسلام كيان في القوقاز، وألّا ينتصر الجهاد في أيّ جبهة من الجبهات القتالية.

فحقيقي انه الجولة في هذا العصر لهم ولحلفائهم من المعسكر المسيحي، والقوة المادية بأيديهم، قوة السلاح، قوة المال، قوة العلم، وقوة التخطيط والدهاء، وهم متعاونون في ذلك، عاقدون العزم على تحقيقه.

غير أنه مثلما كان الشّأن للأنصار الشّيشان، فالكيان العسكري الرّوسي ليس كتلة واحدة، بعقيدة إيمانية راسخة واحدة، وإنما هو منظومة عسكرية ضخمة، تعمل فيه أسباب وعوامل الهزيمة والفناء من داخلها، ففيه تناقضات فكرية وسياسية واجتماعية كثيرة، وأفراده ينتمون لمذاهب دينية متعددة قابلة للانفجار في لحظات تاريخية حاسمة تدمر كل شيء.

أما شيشانيا، فأثر العقيدة واضح على فعل الأنصار القتالي والذي يعكس الشّعور بالإنتماء إلى الأمّة الإسلامية الواحدة، فمظاهر التضامن التكتيكي والشعور بالمصير الواحد والإطلّاع على مشاكل ومعاناة الأمة الإسلامية والتعاون العسكري وتبادل النصح وإنشاء وحدات المجاهدين للإغاثة، وغيرها من التجمعات العسكرية الجهادية، كلّها دليل على وجه العموم.

فحرب الأنصار (العصابات) الشّيشانية قد ظهرت، ويكون تطورها إلى القوة وصنع القرار الموحد بقدر مستوى تطور العالم الإسلامي، وامتلاك الوعي الكامل بخطورة المرحلة. ومجرد ظهور حرب الأنصار لدليل على

الاعتراف بالأفكار الكامنة وراءها (دينية-عقائدية). أما انتشارها وتمكينها، فتحققها رهان بمدى ارتباط المجاهدين بعقيدتهم علما بأن النصر من عند الله.

ففاعلية الفعل القتالي الشّيشاني للأنصار تجلت ثماره باقترانه بالوحي الإلهي، وهو ما انعكس على أرضية المعارك، وعلى حتى القاعدة الشعبية من ظهور وعي شعبي عام، نتيجة لحالة اليقظة الطبيعية، واستجابة للتحديات القائمة، يدعو إلى الثورة على الأوضاع القائمة، وإلى الجهاد ضد تواجد الرّوس بالأراضي الإسلامية القوقازية.

فحرب الأنصار الشّيشانية تكون بذلك حربا عقائدية وحرب أنصار دينية لكونها مرتبطة بأرض ومنهج الإسلام في القتال، وإلى السلفية الجهادية المسلحة كتيار أصبح يأخذ أبعاده العالمية، الذي يعمد إلى توحيد جهود المجاهدين والمسلمين للدفاع عن عقيدة الأمة، أصالتها ومصالحها.

والدلائل الموردة في البحث تشير أنّ المجاهدين الشّيشان شأنهم شأن دعاة الصحوّة والجهاد الإسلامي، يتوجهوّن إلى العقيدة القتالية الإسلامية بخطوات ملحوظة، قصد الإنضمام إلى قافلة الجهاد المسلح الإسلامي، حينئذ يتوجه جهود الأنصار إلى نقل مفاهيم حرب الأنصار في ضوء عسكرية إسلامية شاملة، عقيدة وشريعة وتكتيكا، والذي يضم الكل في توجه ديني وإماماتي واحد.

فالأنصار الشّيشان يعكسون الحالة الفطرية للحركات الإسلامية المسلحة، المحاولة من جهتها أن تتخلص من عقدها الصدامية السابقة (الصراع بين التيارات الإسلامية: الوهابية منها والسلفية الجهادية)، وسيان المآسي التي حلت بأبنائها وبمجمل قضايا الأمة المصيرية- التاركة مهمة تكفير الحكام، نحو مهمة الدعوة للجهاد ونشر الوعي الإسلامي سواء بين أبناء الشعب القوقازي أو الإسلامي بأكمله، من خلال تقديم صورة لما يجب أن يكون عليه شباب الإسلام من ربانية وعقائدية وتنافس على الجهاد في سبيل الله، صانعين جسورا مشتركة من التفاهم على الأولويات بينهم وبين المسلمين الآخرين على تنوع اتجاهاتهم. حيث من خلال ذلك يفهم

الناس أن دعاة الجهاد هم دعاة الإسلام يؤمنون بتوجيه القتال إلى صدور الأعداء في الخارج.

فحرب الأنصار الشّيشانية هي عقائدية لكونها تترجم عملا عسكريّا مغايرا لما اعتادت عليه حروب العصابات في التاريخ العسكري وتاريخ العلاقات الدولية، فهي تهتم بصياغة أجيال مقاتلة صياغة ربانية إسلامية أخلاقية عالية.

وبهذا يثبت نموذج حرب الأنصار الشّيشاني، في ظل الاستمداد المادي التقني العسكري الغربي، أن المجاهدين، لا يقلّون ذكاءً وقدرة عن عسكرية الرّوس أو الغرب، ويعني ذلك أن هناك إمكانية كبيرة جدا لأن تستعيد الأمة هيبتها وهمتها، قصد تمكينها داخليا ودوليا.

فأهم عوامل النصر ومرتكزات تمكين المقاتلين، أن توجد في الوحدات المقاتلة التي تريد أن تتمكّن وتتقدم في معاركها، إرادة النهوض بدينها الصحيح وعقيدتها السليمة (الإسلامية)، فهذه الروح تكون بذلك موجودة بأجلى مظاهرها في المجاهدين الشّيشان، منذ نزول قوافل العرب الأفغان عليهم، الذي زاد من بزوغ مظاهر الجهاد الإسلامي على جنباته الواسعة.

على أنّ ما تمّ إلى حد الآن، هو علامة واضحة مشجعة بالإمكانات الهائلة التي يمكن أن تتحقق في ظل إرادة التصميم والنهوض، وفي جو الجهاد الدعوي والمسلح والتي لا تقوم للأمّة الإسلامية قائمة، وعلى الوجه الأكمل إلا بها.

فتقدّم حرب الأنصار الشّيشانية المؤثر والهائل، هو تتويج لحاجة جيوش الأمة إلى خصوبة الطّاقة والقوى الكامنة في بيئتها الدولية. والأمة الإسلامية بحمد الله تعالى، تمتلك تلك الطاقات، بأوفر وأجلى مظاهرها.

فأسباب النهوض والتقدم متوفرة في مجاهدي الأنصار، من مذهبية سلفية جهادية شاملة واضحة المعالم، وكتل شبانية مقاتلة، بكل إمكاناتها الجسدية والعقلية والروحية. وتتويج ارتباط المجاهدين بالعقيدة هو السر في

أن تظهر إلى الوجود " أمة الشهادة" ، لإضاءة حياة المسلمين، وتذكيرهم بخالقهم وإلههم وقيادتهم إلى الخير.

ففعل الأنصار القتالي بذلك، هو قبل كلّ شيء فعل إلهي ونتيجة التوكّل عليه. ومن ضمن التوكل اتخاذ الأسباب، وتجديد الإيمان، وإدامة التخطيط والعمل الدءوب لأداء حق الخلافة والأمانة، وتمكين أنصار الجهاد الإسلامي المتوازن، حتى يكونوا نموذجا للآخرين، فيخدمون بذلك أمّتهم وغيرهم من الأمم المتخبطة في عفن الإلحاد والضياع.

فحرب الأنصار لدى الشّيشان المجاهدين تكون نوع من نماذج الواجب الديني، فإذا توقّف واجب أهمّ على مقدمة محرمة فلابد من الحفاظ على ذلك الواجب الأهم، وفي سبيل حرمة المقدمة لا يجوز تبرير ترك الواجب الأهم وهو جهاد الأنصار حينما يقال ذلك إذا توقف إنقاذ نفس محترمة من الغرق على اجتياز أرض مغصوبة لا يرضى صاحبها باجتيازها فلابد من اجتيازها حيث تسقط هنا حرية هذا المالك وعدم رضاه، لأن النتيجة أهم من هذه المقدمة، كما فعل قادة الأنصار الشّيشان في بعض معاركهم مثالا مشابها لهذا المثال، حيث كانت وحدات الأنصار مضطرة للخروج إلى داغستان وأوسيتيا مخترقين سيادة هذه الجمهوريات، إلّا أنّ شعوب هذه الأخيرة ما هانت عليها السيادة الترابية لبلدانها في سبيل الله وفي سبيل الرسالة.

كلّ ذلك لأنّ النتيجة كانت أهم من المقدمة. كانت وحدات الأنصار تسير لأجل تغير وجه الإقليم، ولأجل تغيير وجه العالم الإسلامي إذا تلفت سيادة ترابية، إذا ضاعت هناك أنفس وثروات لأشخاص ما، في سبيل أن يحفظ مقياس استخدام العقيدة وتفعيلها في العالم على الخط الطويل، وهو أمر صحيح ومعقول.

ولابدّ أيضا من الالتفات إلى نقطة هي، إن الإمامة العسكرية الشّيشانية المجسدة في القائد خطاب أو شامل أو أبو الوليد، كانوا حرصاء على أن تدرك الأمة كأمة أن واقع الحرب بينهم وبين خصومهم الرّوس، بين شامل وبوتين، ليست معركة بين شخصين أو بين دولتين، وإنما هي معركة بين الإسلام وأعدائه من الخارج.

هذا الإسلام الشّامخ العظيم الذي يأكل الدنيا شرقا وغربا، هذا الإسلام الذي بُني بدم الأفغان تليها بدماء الشّيشان، كان فيها الأنصار عبارة عن شركاء في هذا البناء بكل آلام وتضحيات جهادهم المسلح.

فجهاد الشّيشان من أجلّ العقيدة، يُعتبر هو القاعدة لقيام الجهاد بالإقليم من جهة أو بالعالم الإسلامي من جهة أخرى، ولقيام كذلك حاكمية الله بهذه الأراضي، وبالتالي محاولة لتسلم زمام التجربة وزعامة هذه القضية الإسلامية، عن طريق التوفيق بين الوجه الظاهري للفعل القتالي (الجهاد المسلح) وبين الوجه الباطني للفعل القتالي (العقيدة الإيمانية)، حيث استطاعا التوفيق بينهما توفيقا كاملا، عن طريق قدرة الإمامة العسكرية الشّيشانية على تطويب الفعل القتالي، على أسس من بينها:

- تربية المجاهدين على الانتصارات على أنفسهم.
- اليقين بأنهّم أصحاب الأهداف لا أصحاب الأشخاص.

وهو الخطّ الأول لمحاولة تسلمهم لزمام التجربة الجهادية الإسلامية ولبلوغ الهدف الأعز وهو الأغلى، وهو نصرة ربّ الكون، الذي يجد فيه الأنصار أنفسهم يشعرون بأنه يملكهم، بأنه بيده مصيرهم، أنه هو الذي يمكن أن يعطيهم نتائج جهادهم المسلح.

فحرب الأنصار الشّيشانية تكون في وضع يقدمها على أساس أنها الاتجاه العسكري الصالح، الاتجاه الجهادي العنيف (أنصار السلفيّة الجهادية المسلّحة) الذي يمثله العرب الأفغان الذين قد يتحول مسماهم إلى عرب الشّيشان الواعون من أصحاب خطّاب الذّين كانوا يعملون من أجل أن يقدّموا نموذجا للجهاد الإسلامي لمجموع الأمة الإسلامية، حتى يكون طرحاً لهم، وهذا في إطار خطّين:

- خط بناء المسلمين الصالحين.
- وخط ضرب مثل عليا لهؤلاء المسلمين، بغض النظر عن كونهم ينتمون لتيارات ومذاهب مختلفة وليست متخالفة.

فاتجاه الأنصار ليس منفردا، فهو اتجاه عسكري ديني واسع، لا على

مستوى القوقاز فحسب بل وعلى مستوى الأمة الإسلامية كلها، لأجل أن يعرّفوا الأمة الإسلامية وأن يحُصّنوها بالجهاد، وبأهدافه.

وحرب الأنصار الشّيشانية بخلفيتها العقائدية، تقف على أسئلة بالغة الأهمية هي:

- هل قيادة الأنصار هي من تعطي نتائج الجهاد المسلح؟.
- هل أي إنسان على وجه الأرض يمكن أن يعطي الإنسان نتائج جهاده؟ نتائج عمله؟ نتائج إقدامه على صرف شبابه؟ حياته؟ عمره؟ زهده على تحمله الآلام؟ تحمله للجوع وتحمله للظلم؟ تحمله للضيم؟ من الذي يعطي أجر كل هذا؟ هل الذي أجر هذا القادة المجاهدون وبقية المجاهدين؟.

لتجد الإجابة لدى الأنصار أنّه لا القادة المجاهدون ولا بقية المجاهدين من يعطي أجر هذا، وإنما الذي يعطي أجر هذا هو الهدف فقط. هذا هو الذي يعطي النتيجة والتقييم لأي واحد من مجاهدي الأنصار مرتبطين كلهم مع أكبر من أي واحد من المجاهدين الشّيشان، هذا الأمر الذي هو أكبر، هو الله سبحانه وهي سنة المصطفى -صلوات الله عليه- هو حماية الإسلام وحراسة العقيدة، هو العمل في خط الأئمة الأطهار، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، فالقتال الشّيشاني سلاح وعقيدة، وإذا كان من الممكن إحصاء السلاح بين طرفين متنازعين لكي نعرف أيهما يتفوق على الآخر فإن قياس العقيدة وحسابها بالغ الصعوبة، لأنه يختلف من مقاتل إلى آخر، ومن وحدة قتالية إلى أخرى.

إن العقيدة الدينية هي إحدى العوامل الرئيسية لتحقيق النصّر، فهي تضيء للمقاتل طريقه إن صحّت، وهي الباعثة للسكينة في النفوس، حتى وإن اهتزت الأرض من حول الشّيشان بقنابل القوات الرّوسية، وهي المثبتة لأقدامهم، وهي التي تبشرهم بالنصر، وهي التي تعد من يستشهد منهم بجنات عرضها السماوات والأرض.

فالقيم الروحية والمثل العليا النابعة من العقيدة القتالية الإسلامية،

تعتبر بذلك الأساس المتين للحصول على النصر في المعركة. ومن هذه العقيدة، يمكن أن نستخلص خير المناهج لإعداد المقاتل الكفء تعتبر فيها المعرفة رأس مال المقاتل، كما قرر الإسلام الحرية والكرامة الإنسانية، ومقاومة العبودية لغير الله تعالى في كلّ ميدان من الميادين.

وبالتّالي يشعر مقاتلي الأنصار الشّيشان المؤمنين بمظلة الإيمان، تحميهم بقدرة الله سبحانه وتعالى، والسرّ يكمّن في دور الإمامة العسكرية الشّيشانية التي استطاعت بناء عقيدة إيمانية صادقة على أساس سليم، بوصولها إلى عقل وقلب المجاهدين، حتى يتحقق بناء العقيدة القتالية المنتصرة. وبهذا يلغي الشّيشان مقولة نابليون بونابرت (Napoléon Bonaparte) والتي مفادها: "الجيوش تمشي على بطونها"، ليكون مفتاح الحل لدى الأنصار الشّيشان هو المدخل الديني إلى قلب وعقل المقاتل، والحقيقة أن عنصر الإيمان عندما يحتمي في ظلها المجاهد، يجد نفسه مدفوعا إلى الرضا والاطمئنان، ويدرك أهمية الرضا بما كتبه الله وأراده، ويفهم أن على العسكريين-جنود أو قادة- أن يجعلوا جهادهم منزهاً عن الغايات الظرفية، حيث يربطون حياتهم ومماتهم بواجب مقدس، تصغر إلى جانبه الألقاب والرتب. ليؤثروا ما عند الله، وليوقفوا أمانيهم على التضحيّة المرتقبة والفداء الغالي. وبهذا يتم الدخول إلى عقل وقلب المقاتل بإزالة الرهبة من شعوره.

وعليه، فحرب الأنصار (حرب العصابات) الشّيشانية هي شكل خاص من أشكال القتال يدور بين قوات نظامية (روسية)، وبين تشكيلات مسلّحة تعمل في سبيل عقيدة، بالاعتماد على الله وإعداد العدة، وتستهدف تهيئة الظروف الكفيلة بإظهار العقيدة إلى حيز التطبيق.

فأوّل مبدأ بالتالي من مبادئ الاستراتيجية في حرب الأنصار، هو إدارة الحرب عن طريق تنظيم دينيّ عسكريّ قائد، وهو الفارق بين حرب الأنصار وغيرها من حروب العصابات وأنواع المقاومة الأخرى.

كون لهذا المبدأ مجموعة من لأسباب، أهمها -حسب ما تم التعرض إليه سابقا -:

- الطبيعة الدينية لحرب الأنصار.
- حاجة الأنصار إلى عنصر الإلتزام.
- فضلا عن اعتمادهم التام على مركزية التخطيط.

فأما عن الطبيعة العقائدية لحرب الأنصار، فقد أوضحنا من قبل أنّ نواة هذه الحرب مجموعة من الرّجال باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل العقيدة وليس من سبيل هذه المجموعة إلا الاعتماد على التوجيه والتثقيف الديني العسكري (الجهادي)، لتواجه به التفوق المادي المعادي، ولتقنع به رجالها بالتقشف والمثابرة والصمود.

وأمّا حاجة الأنصار إلى عنصر الإلتزام الدّيني، فقد ثبت أنه بدون هذا العنصر لا يستطيع قادة الأنصار أن يعملوا على جمع الشاردين، وكبح الجامحين فضلا عن تقديم المعاونة لمن يحتاج إليهم من تشكيلات الأنصار المنتشرة هنا وهناك. والطريق الوحيد هو خضوعهم لتنظيم عقائدي قائد، إذ لا يملك رجال الأنصار الشّيشان تلك الوسائل التي تمكن الجيوش النظامية (كالرّوسية منها) من فرض الطاعة بأسلوب الضبط والربط القهري.

فحرب الأنصار هي حرب العقيدة في مواجهة القوة المادية، حرب الالتزام العقائدي في مواجهة التجنيد الإجباري، أي أنها حرب الأضعف في مواجهة الأقوى ماديا.

ولا سبيل مع هذا الواقع شيشانيا، إلا إذا تجنبوا الحسم العسكري واستبدلوه بالحسم الديني، حيث يعمد رجال الأنصار إلى إطالة أمد الحرب بأي ثمن، ولو أدى ذلك إلى التراجع المكاني، ما دامت الرقعة الجهادية تتزايد يوما بعد يوم.

ولإطالة أمد الحرب، ينتهج رجال الأنصار "عقيدة قتالية إسلامية" من الناحية العسكرية، وتعني هذه العقيدة الديناميكية الدائمة، فضلا عن الفعالية والمبادرة وسرعة اتخاذ القرار في مواجهة الأوضاع المتغيرة، بحيث تظلّ الحرب سائرة إلى الأمام دوما. فالعقيدة تعني بالنسبة لرجال الأنصار الشّيشان الحماية التامة من الفتور وفقدان الحماسة، فتزداد قوتهم كلّ يوم،

بينما تعني بالنسبة لعدوهم (القوات الرّوسية) اليأس الكامل من هذه الحرب التي لا تريد أن تتوقف ولا يبدو لها نهاية ما.

بينما ينبذ رجال الأنصّار فكرة الحسم العسكري، ولا يرون الحلول النابعة منها إلّا حلولا نابعة من فقدان الصبر وتعجل الواقع، فإنهم يحرصون تماما على الحسم الدّيني، ويستخدمون في سبيله كل وسائلهم المتاحة.

وتنحصر بذلك مبررات هذا الفعل في تسليم رجال الأنصار الشّيشان بعدم جدوى الوسائل العسكرية وحدها، فضلا عن اقتناعهم التام بأنهم لا يحاربون من أجل غرض مادي، وإنما من أجل تحرير وفتح عقائدي ولهذا فإن الحرب بالنسبة لهم تنتهي مع العدو حالما يسلم لهم بأهدافهم، ويترك لهم حرية العمل على نشرها وتطبيقها.

وبالتالي فحرب الأنصار وأشباهها تحتاج إلى إعداد من نوع خاص، يرجع ذلك إلى أن نقطة البدء في حرب الأنصار، هي مجموعة من الرجال المؤمنين بعقيدتهم والذين لا يملكون من أسباب القوة إلا فيض هذه العقيدة على ذواتهم فقط.

فحرب الأنصار العقائدية أو ما يسمى بحرب أنصار السلفية الجهادية المسلحة الشّيشانية، تصبح مقرونة بثلاثة مسائل، هي:

1 - واجب الجهاد في سبيل الله:

وما تقتضيه هذه المهمة البطولية من تضحيات وفداء، وما فيها من اختيار وابتلاء الله عز وجل، والصبر على ما فيه من مشقة، كون ما يليه من حلاوة ولذة أعظم شأنا وأدوم حالا، إذ يقول الله تعالى في سن هذه السنة لهذه الأمة العظيمة: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 7]، فجهاد الأنصار الشّيشان هو أمر لابد منه، حتى تمضي جحافل الحق وتدحر جيوش الكفر والإجرام فسفينة الإسلام لا تبحر ما لم تكن روافد الحق أنهارا من دماء الشهادة الزكية.

2 - اليقين بوعد الله:

فاستيفاء المقدمات والأسباب السابقة لا يجدي شيئا ما لم تكن الثقة بوعد الله تعالى مطلقة، لأن الرحلة شاقة، والطريق موحشة، والقرح والجراح أمر لابد منه، فما هو شيشانيا وقود المعركة إذا فترت الهمة؟ وما هو الزاد إذا أوحش الطريق؟، يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110].

فلا سبيل للأنصار لصد جرائم الجيش الرّوسي إلا باليقين والثقة المطلقة بوعد الله بالغلبة والنصر، وإلا فإن ما عند الأنصار من أسباب لا يُركن إليه، وما عندهم من قوة وعتاد لا يعول عليه، بل إن شهود الأسباب وعدمه لديهم سواء، إن هم أعدّوا فأحسنوا العدة وتوكلوا فأحسنوا التوكل وآمنوا حق اليقين، وجاهدوا في سبيل الله حتى يروها عين اليقين.

3 - التدبر في عاقبة المجرمين:

ولابد للسائر في طريق الجهاد وتعقب المجرمين، من إدراك أنّ المجرم روسيا كان أو غير ذلك، فمهما كانت له صولة وجولة وعزّة ومنعة ظاهرة، فإن مصيره السّوء، وعاقبته إلى الخسران، وهذا بأمر من الله بالتدبر في هذا الأمر ليكون عونا لهم على اجتناب سبيل المجرمين من جهة، وعلى عدم الوهن في ابتغاء هؤلاء المجرمين ومحاسبتهم ومعاقبتهم بما يليق بهم في الدنيا، مع إيكالهم إلى الله تعالى في الآخرة. فالقاعدة القرآنية في تقرير هذا الأصل العظيم تقول: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النّمل: 69].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 38-39].

وفي الحديث الذي رواه أبو داود عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"**.

لتتقاطع في الأخير رسالة الدّراسة مع رسالة الأنصار، في كون أن ترك الجهاد في سبيل الله إثم عظيم، وخطر كبير يترتب على المتخلفين عنه العذاب الأليم والهلاك، وقد بينت النصوص أيضا أن نصر المؤمنين- وخاصة في ظل التغيرات الدولية التي لا تعكس طموحات وتوجهات الأمة- وهزيمة الكافرين يكون من خلال الجهاد في سبيل الله سبحانه، وما حرب الأنصار الشّيشانية إلا نموذجا من جملة نماذج الجهاد المسلح. قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14].

وعليه فحرب الأنصار لن تقوم لها قائمة حتى يكون لها شأن في العقيدة، فجيش ليست له عقيدة صحيحة، لن يعرف طعم الانتصار ولو بعد حين، فالعقيدة هي من أسباب العزة والنصر والتمكين الذي لا ريب فيه، وترك الجهاد على شاكلة حرب الأنصار في غياب صحوة إسلامية لدى الجيوش بالبلاد الإسلامية يجعلها النموذج الوحيد حاليا لمواجهة التفوق المادي العسكري للبلاد غير الإسلامية روسيا كانت أو أمريكياً، سيعد من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى فشل المسلمين وضرب الذل عليهم، غير أن اتساع العقيدة القتالية لحرب الأنصار، تقتضي خندقة أوسع عالميا، والأمر هنا سيكون مغايرا تماما في حالة انخراط الجهاد الإقليمي على غرار الشّيشاني منه إلى قوافل الجهاد العالمي تحت مسمى "الأممية السلفية الجهادية المسلحة"، وفي هذا الأمر شأن آخر.

المراجع

أ - الكتب:

1 - باللغة العربية:

- القرآن الكريم.
- أبو خليل شوقي: الحضارة العربية الإسلامية- وموجز عن لحضارات السابقة-، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان: دار الفكر المعاصر، 2002م.
  ـــــ. عوامل النصر والهزيمة: عبر تاريخنا الإسلامي، سورية: دار الفكر بدمشق، 2002م.
- أبو زهرة محمد: العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- أبو زيد علا عبد العزيز: الحركات الإسلامية في آسيا، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، 1998م.
- أبو سعيد الدارمي: تاج الوقار لخيرة الأبرار لمعسكر الأحرار، المجلد السابع، الرياض - المملكة العربية السعودية: مطبعة التقوى والكرامات، 2003م.
- أبو شبانة ياسر: النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
- أبو طاحون عدلي علي: سوسيولوجيا التطرف الديني- جذور ومظاهر التطرف الديني بين أتباع الديانات السماوية مع دراسة للواقع المصري، الأزاريطة، الإسكندريّة: المكتب الجامعي للحديث، 1999م.
- أبو النور محمد فراج: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز- مستقبل العالم الإسلامي-، السنة الثانية، العدد 5، شتاء سنة 1992م.
- أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الطبعة الثانية، الرياض: دار طيبة، 1411م.

- أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية: بعد مضي الفتوحات النبوية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، 1997م.
- أسعد السحمراني: لا للإرهاب نعم للجهاد، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار النفائس، - 2003م.
- أشتون كارتر، ويليا بيري: الدفاع الوقائي: استراتيجة أمريكية جديدة للأمن، ترجمة: أسعد حليم، الطبعة الأولى، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2001م.
- أندريه بوفر: مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الطليعة، 1970م.
- إبراهيم ابن عبد العزيز: عوامل هزيمة الأمة، التنفيذ الطباعي والتوزيع، طهران: مؤسسة الفكر الإسلامي، 2005م.
- إبراهيم مشورب: المقاومة الوطنية والقانون الدولي، بيروت: الحياة النيابية، المجاد رقم 21، 1996م.
- الإمام أحمد: الزهد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.
- ابن أبي طالب، الإمام علي: نهج البلاغة، ضبط نصّه وابتكر فهارسه الد، صبحي الصالح، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب اللبناني، سنة 1980م.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، ضبط ونشر وتقديم: الد. محمد الإسكندراني، الطبعة الثالثة، بيروت: لدار الكتاب العربي، 1422هـ - 2001م.
- بدر بن نادر المشاري: القائد الأعلى، الرياض: مكتبة الزهراء، 2003م.
- توفيق سلامة: الإسلام المدافع؟!، الطبعة الأولى، سوريا: منشورات مكتبة الأكاديمية بدمشق، 2003م.
- جان بوديلار: ذهنية الإرهاب، ترجمة وتعليق: بسام حجار، المركز الثقافي العربي، 2003م.
- جان غيتون: الفكر والحرب، ترجمة: المقدم هيثم الأيوبي- أكرم ديري، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بدون تاريخ.
- جمال حمدان: استراتيجية الإستعمار والتحرير، القاهرة: دار الشرق، 1998م.
- جون.ف.س.فوللر: إدارة الحرب، تعريب: أكرم ديري، دار اليقظة العربية، 1971م.
- حسان حلاق: مدن وشعوب إسلامية: ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية (التاريخ الاجتماعي والإقتصادي والثقافي والحضاري)، الكتاب الثالث، بيروت: دار الراتب الجامعية، بدون تاريخ.
- حسن أحمد محمود: الدولة الإسلامية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م.
- حماد كمال: الإرهاب والمقاومة في ضوء القانون الدولي العام، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1994م.

- الداعية. الد. بن مالك رياض: في الشهيد والشهادة، الطبعة الثانية، الدوحة: مطبعة الرسائل للنشر والتوزيع، 2001م.
- ديورانت ول وايريل: قصة الحضارة: عصر الايمان، ترجمة: محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد الرابع، بيروت- لبنان: دار الجيل، 1998م.
- راتب عرموش أحمد: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، بيروت: دار النفائس، سنة 1423هـ - 2002م.
- زليم خايندربي: الشيشان: السياسة والواقع، داغستان: مطبعة اقرأ، 1421هـ - 2000م.
- سامي ريحانا: العالم في مطالع القرن 21، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين، جوان 1998م.
- سنن الترميذي: علم 19 مع شرحه: تحفة الأحوذي، بيروت: دار الكتاب 2002م.
- سيد قطب: في ضلال القرآن- تفسير سورة الأنفال - سوريا: منشورات اليقظة، 1981م.
- شارل روسو: القانون الدّولي العام، ترجمة: شكر الله خليفة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1987م.
- شلتوت محمد: من توجيهات الإسلام، الطبعة الثامنة، القاهرة: دار الشروق، سنة 1407هـ - 1987م.
- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي: الذخيرة، تأليف: محمد حجي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994م.
- الشيخ أبو إسحاق الحويتي: أسباب النصر والهزيمة، الجزائر: دار الفوائد للنشر، 2004م.
- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: الاستقامة، تأليف: الد. محمد شاد سالم، الطبعة الأولى، الرياض: منشورات جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، بدون تاريخ.
______. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، قصر الكتاب بالبليدة، بدون تاريخ.
______. الصارم المسلول، تأليف: محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، 1417هـ.
- الشيخ صالح ابن عبد العزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي: تسهيل السنابلة لمريد معرفة الحنابلة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2001م.
- الشيخ اليازجي: درّ الإسلام، فصل في أقوال العلماء فيمن هجم العدو وحده بإذن الله، الكويت: مطبعة اليقين، 2002م.
- الشيخ: عبد الله الفؤني: بيان أحكام جهاد الطاغوت، الجزء الثالث، الرياض: دار التبليغ، 2005م.
- صحيح الإمام البخاري، تأليف مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ
- صحيح الإمام المسلم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

- طه محمد: فروض علمية في تفسير علاقات الحرب والسلام، بيروت: منشورات جامعة بيروت العربية، 1974م.
- طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1997م.
- عبد الحليم عويس: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، دار إحياء التراث العربي، 2003م
- عبد السلام ف: فيالق الشهادة، القاهرة-مصر: مطبعة الأكاديمية، 2002م.
- عبد المنعم خليل: في قلب المعركة: إستراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل، الطبعة الأولى، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1999م.
- العسلي بسام: المذاهب العسكرية في العالم، بيروت: دار النفائس، سنة 1423هـ-2002م.
- عصمت فوزي: مدخل للقيادة العسكرية، القاهرة: مكتبة الأكاديمية، 2004م.
- العقيد. دي فالكو قوندا: حرب العصابات، ترجمة: أكرم بدوي، سوريا: دار النهضة للنشر والتوزيع، 1999م.
- علاء طاهر: العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة، الطبعة الأولى، باريس: مركز الدراسات العربي-الأوربي، 1998م.
- عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: كتاب الإجتهاد في طلب الجهاد، الطبعة الأولى، عنيت بنشره جمعية التأليف والنشر الأزهرية بالقاهرة، عام 1974م.
- عماد فوزي شعيبي: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وساحة عملياتها العسكرية، سوريا: مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية، 2004م.
- فون كلوز فيتز: علم الحرب، ترجمة: أحمد عطية، دار الطليعة للنشر، القاهرة، !)م.
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثالث، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- اللّواء الركن. زكريا سماحي: المصير المجهول لكتائب العرب الأفغان - بين الإبادة والأممية- طبعة نادرة، مصر: مكتبة الأكاديمية العربية بالقاهرة، 2003م.
- ليدل هارت: الاستراتيجية وتاريخها في العالم، تعريب: الغالي عبد الحفيظ، سوريا: الميسرة للكتاب، 1977م.
- ليدل هارت: الدفاع أم الهجوم الرادع، تعريب: أكرم ديري، القاهرة: منشورات الدار القومية للطباعة والنشر، 1975م.
- محمد أحمد نابلسي والد. عماد فوزي شعيبي: الجغرافيا السياسية والاستراتيجية الجغرافية، سوريا: مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية، 2002م.
- محمد صادق صبور: النقاط الساخنة في أوروبا وأمريكا اللاتينية، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، الجيزة- مصر: دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، 2002م.
- محمد عبد الحي الكنوني الهندي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة، 1998م.

- محمد عبد السلام فرج: الجهاد: الفريضة الغائبة، بيروت: دار ابن حزم، 1981م.
- محمد فاروق النهيان: الفكر الخلدوني- من خلال المقدمة-، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ-1998م.
- محمد القحطاني: حرب الأنصار في نهج الأبرار: دراسة نقدية في مناهج العمليات الإستشهادية لما يسمى بالحركات الإسلامية المسلحة، بيروت-لبنان: المنار للطباعة والنشر، 2004م.
- محمد قطب: حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ط1، جمهورية مصر العربية، الإسكندرية: دار الدعوة السلفية، 2004م.
- محمد مجاهد نور الدين: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: دار هجر للنشر والتوزيع، 2003م.
- محمد ناصر الدين الألباني: أسباب النصر والتمكين، الرياض: دار منار السبيل للنسخ الشرعية الوحيدة، 2002م.
- مراد بطل الشّيشاني: الحركة الإسلامية في الشّيشان (والصراع الشّيشاني الرّوسي)، الطبعة الأولى، عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2002م.
- موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام: العهد المعاصر- بحثا عن حضارة جديدة-، ترجمة: يوسف أسعد داغر، الطبعة الرابعة، بيروت: منشورات عويدات، 1998م.
- نابع الريان: فتاوى تجميلية لخيرة المجاهدين في الأمة القوقازية، دار التقوى، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.
- ناصر الأحمد: المجاهد سيف الدين قطز، الجزائر: مكتبة الطيب العقبي، 2003م.
- النبهان محمد فاروق: الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، 1998م.
- هاني أحمد الدرديري: المدخل للثقافة العسكرية، الطبعة الأولى، قطر: مطبعة التوحيد، 2004م.
- الهزايمة محمد عوض: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه السياسية المعاصرة، الطبعة الأولى، الأردن- عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1997م.

2 - باللغات الأجنبية:

- باللغة الفرنسية:

- Alain Barnier et Xavier Ranfer: *La guerre ne fait que commencer*, Paris: j.L. Lattes, 2002.
- Alexander Popovic et Gilles Viernstein: *Les vois d'allah: Les ordres mystiques dans le monde musulman- des origines à aujourd'hui*, Fayard, 1996.
- Andrei Kosovoi: *Le caucase dans les livres d'histoire russe: comment les manuel, russe, partent du caucase*, Switzerland strategic studies, 2002.
- Balencie j-m et George (A): *Les mondes rebelles*, Michalon, 1999

- Balie (B): *La fin des territoires*, fayard, 1995.
- Bruce Hoffman: *La mécanique terroriste*, traduit de l'anglais par: Bertrand dietz, calman- lévy, 1999.
- Bertrand Degoy: *La Russie en quête de doctrine militaire: bases technico-militaires de la doctrine*, institut de stratégie comparée, 2002.
- Boualem Bessaih: *De l'émir Abdelkader à l'mam chamyl -le héros des tchétchénes et du caucase*, première éditions, édition Dahleb, 1997.
- Barcin (t.h): *Les grandes questions internationales de puis la chute du mur de Berlin*, economica, 2001.
- Carrére d'Encausse (H): *L'empire éclaté*, Flammarion, 1978.
- Daniel Kiniécik: *Le retour de l'époque glacière rapport est ouest au seuil du nouveau siécle*, Cettoslavica, 2000.
- François Gère: *Pour quoi les guerres? un siécle de géopolitique*, Larousse- V. U. E.F,2003.
- Dr. François Dance: *Les représentations de L'OTAN dans la politique intérieure russe*, Paris: juin 2001.
- François Burgat: *L'islamisme en face*, Paris: la découverte, 1996.
- François Géré: *Demain la guerre*, Calmman Lévy, 1997.
- Groupe de chercheurs: *Repli de la guerilla en colonie*, Fayed, 2005.
- Garland Yron: *La guerre dans l'antiquité*, 3ème édition Nathan, Paris, 1999.
- Isabelle Facon: *La seconde guerre de tchétchène, les aspects politicomilitaires*, I.E.P, Strasbourg, France, 2001.
- Igor (M): *Pour une nouvelle armée, la Russie face aux bourbies géopolitiques*, traduit par: Michel Saignon, éditions fayards, 2003.
- Jacques Chateaux: *La fin de l'ordre militaire et le retour des mercenaires, 1991-2001*, France: Institut d'Etudes Politiques, aix-en- Provence, 2003.
- James Town: *Les forces fédérales russes restent incapables d'émerger du bourbier Tchétchène*, défense fondation, mai 2002.
- Jean Latéguy: *Les mercenaires*, Paris: presse de la cité, 1960.
- Lise Willar: *Le commondo Tchétchène*, Fayards, 2003.
- Miguel Angel Miron et Hernequin: *Guerre mondiale sainte et de longue durée*, centre d'investigation économiques et politiques d'actions communes, Chiapas, Mexique, 2001.
- Mouhamed Said al-Ashmawy: *L'islamisme contre l'islam*, paris: préface de: richard Jacquemond, édition la découverte, 1989.
- Philippe Chapleau et françois misser: *Mercenaires S.A*, paris: desclée de brower, 1998.
- R. G.Landa: *Les musulmans dans l'histoire de la russie*, Moscou: académie des sciences, 1997.
- Sapir (j): *Le déclin de la stratégie soviétique*, La Découverte, 1991.
- Van creveld (m): *La transformation de la guerre*, édition la rocher, 1998.
- Vassiliev Bartold: *Le rôle de l'islam dans la formation des cultures impériales dans les états crées par les nomades de l'eurasie*, Moscou: 1992

- باللغة الإنجليزية:

- Andrew Sinclair: *Guevara*, London: fontana modern masters, 1973.
- Broxup, Marie Berrigsen (editor): *The north Caucasus barrier: the Russian advance towards the muslim world*, London: hurst, 1992.

- Berrigsen and et. al: *Soviet strategy and Islam*, London, Marrillan, 1989.
- Carrer d'encause, Helene: *Islam and the Russian empire*, Tauris, 1988.
- David shearer: *Private armies and military intervention*, oxford university press, 1998.
- Edward price j: *The strategy and tactics of revolutionnary terrorisme: contemporary studies in sociology and history*, 1977.
- Jhon Keegan and Richard holmes: *Soldiers: a history of man in battles*, Harmish Hamilton, London, 1985.
- Jesica Stern: *The ultimate terrorists*, Harvard university press, 1999.
- Mao-tsé-tung: *On guerrilla warfare*, introduction by: B, Griffith, London: cassell, 1962.
- M. handle: *The masters of war*, T3, London: C. S. A. 2001.
- Michael Bonner: *Aristocratic violence and holy war: studies in the Jihad and the arab- byzantine frontier*, New- Heaven, 1999.
- Peter Calvert: *Terror in theory of revolution*, London: Wheat Sheaf books, 1986.
- Roy Allison and Christopher Bluth: *Security dilememas in russia and Eurasia*, R.I.I.A., 1999.
- Roy Allison, *The Chechenia conflict: military and security policy implications*, R.I.I.A.,1995.
- Steven. j. Main: *North caucaus district: defending Russia interests in the caucausus (1996-August 1999)*, conflict studies research centre, June 2000.
- Steven.J.main: *Counter- terrorist operation in chechenya on the legality of the current conflict*, conflict studies research centre, Sandtrust, June 2000.
- Tamerlan Sultanov: *The Chechen times*, R.I.I.A, 2005.
- Timothy, K Thomas: *Atale of two theaters: Russian actions in chechenya in 1994 and 1999- analysis of current events-*, vol.12, foreign military studies office, Toronto, 2005.
- Timothy.L. Thomas: *Grozny 2000: urban combat lessons learned*, C.R.M, 2000.
- Walter Laqueur: *Guerrilla: weidenfeld and nicolson*, London: 1977.

ب - دراسات

- ماثيو لوفيت: رعاية الإرهاب: سورية والجهاد الإسلامي، مركز الاستخبارات والمعلومات الخاصة بالإرهاب في مركز الدراسات الخاصة، تشرين الثاني- كانون الأول- 2003م
- المركز العربي للدراسات المستقبلية، سيكولوجية الإرهاب ومتغيرات عصر النهايات، بيروت، لبنان، 2003م.
- هشام محمّد الحرك: بداية النهاية لطغاة العالم، الرياض: مطبعة التوحيد، 2005م.

ج - موسوعات وقواميس:

- باللغة العربية:

- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: الإسلام والدول الإسلامية الغير العربية بآسيا، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2001م.
- إبراهيم نوفل: معجم المفردات الحربية، القاهرة: مكتبة الأكاديمية، 1999م.

- أحمد الموصلي: موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: مركزات دراسات الوحدة العربية، 2004م.
- رفيق العجم: موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي، الطبعة الأولى، الطبعة الألفية، مكتبة لبنان ناشرون، 2000م.
- شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم (الإسلامي) -جغرافي-تاريخي-اقتصادي، إعادة الطبعة الأولى، سوريا: دمشق: دار الفكر، 2001م.
- كلوس كريزر، فارنر ديم، هانس جورج ماير: معجم العالم الإسلامي، ترجمة: الدكتور.ج.كتورة، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998م.

- باللغات الأجنبية:

باللغة الفرنسية:

- Chaliand (G) et Rageau (j.p): *Atlas stratégique*, Fayard, 1983, réédition, complexe, 1998.
- Dominique janine sourdel: *Dictionnaire historique de l'islam*, presses universitaires de France, 1996.
- François Grée: *Annuaire français des relations internationales 2001*, Brylant, 2003.
- François Grée: *Annuaire français des relations internationales 2001*; Brylant, 2002.
- Serge Cordellier: *Le dictionnaire historique du 20ème siècle*, Paris: édition la Découverte et Syros, 2000.
- Yves thorval: *Dictionnaire de civilisation musulmane*, La Rousse, 1995.

باللغة الإنجليزية:

- T.N. Dupuy, c. jhonson and G.P.hayes, *Dictionnary of military terms: a guide to language of warfare and military institutions*, New-York: the H.W. Wilson company, 1986.

د - مقالات:

- باللغة العربية:

- الفضل شلتوت، الحرب غير الأخيرة على الإرهاب: جريدة المستقبل، بتاريخ 11 سبتمبر 2003م، ص15.
- قاسم مالكي، نظرة على جمهورية الشّيشان المستقلة وتطوراتها الحالية، مقال من كتاب: ندوة أحرار الشّيشان والدب الرّوسي، المركز العربي الدوّلي، 1955م. ص24.
- محمد حرب، معلومات أساسية لفهم المسألة الشّيشانية، مجلة الأزهر، شعبان 1415هـ، ص28.

- باللغات الأجنبية:
باللغة الفرنسية:
- Les Tchétchènes et leur lutte désespérée pour une tchétchénie libre, *Le monde diplomatique*, 1987, P., 8.
- Le Caucause en feu, *Le monde diplomatique*, 1991, P., 4.
- Les milles et une guerre du caucause, *Le monde diplomatique*, 1990, P., 11.
- Les musulmans dans l'histoire de la Russie, *Le monde diplomatique*, 1992, p., 4.

باللغة الإنجليزية:
- Franklin.A. Lindsay, Unconventional warfare, *Foreign affairs*, vol. 4. Oct 1961, P., 22.
- James. C. Moore, When morality disappears from the battle field, the war is lost, *Kavkase times*, January 1999, P.,18.

هـ - مجلات:
- باللغة العربية:
- اللجنة العسكرية لتنظيم القاعدة بجزيرة العرب، معسكر البتار، العدد الرابع عشر، شهر جمادي الأولى، 1425هـ، 2005م.
- مصطفى دسوقي كسبة، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، هدية مجلة الأزهر، ذي القعدة 1415هـ

- باللغات الأجنبية:
باللغة الفرنسية:
- Céline Francis:*Le courrier Tchétchène: le compte-rendu en langue française de l'actualité russo- Tchétchène*, Groupe Tchétchénie, paris, novembre 2004.
- *La revue internationale et stratégique*, n°31, paris, automne 2004.
- *Regard sur l'est*, numéro 21, Paris: mai-juin 2000.
- *Revue militaire suisse: édition tchétchénie -Les grandes cimetières sous la lune*, Suisse: R.M.S. Juin 2000.

باللغة الإنجليزية:
- "Ikhwanouna fi al-kavkaze-the chechen times", n° 1093, London: June 2001.

هـ - جرائد وصحف:
- باللغة العربية:
- القوقاز: "تقرير صحفي لجريدة الخبر الأسبوعي"، مع الخبير السياسي: أرسلان شيخاوي، العدد 289، في 23/ 4/ 2004م، ص4-5.

- باللغات الأجنبية
باللغة الفرنسية:

Le figaro, n° 1035, du mardi 3 novembre 2004, P., 18.
- Le monde (Week-end), n° 18552, du: France métropolitaine, le samedi. 18 septembre 2004, P., 4.
- Le monde, n° 3015, du 25 février 2004, P., 19.

و - الإنترنت:

- "قصة بلاد وشعب"، www.chechenonline.com بتاريخ: 19/ 12/ 2004م.

- "حوار مع القائد الشّيشاني شامل باسييف"، www.qoqaz.com بتاريخ: 5/ 12/ 2003م.
- Magellan geographix (800) 929-4627, http://www.maps.com.
- www.graphicmaps.com.